

الأقباط

الكنيسة .. السياسة .. التاريخ

طارق البشرى

مينا بديع عبد الملك

فكرى أندراوس

أيمن الصياد



أكثر من
٢٠٠٠ مصري
بيخدموك من القلب

موبينيل

شبكة المحمول الأولى في مصر

الكتب
وجهات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر



تصدر عن:

الشركة المصرية

للنشر

العربي والدولي

رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم المعلم

رئيس التحرير

سلامة أحمد سلامة

رئيس التحرير الفني

حلمي التوسوني

مدير التحرير

أيمن الصبيح



كتب العدد :

- ١ - أحمد مستجير .. أستاذ بكتية الزراعة جامعة القاهرة.
- ٢ - أيمن الصبيح .. صحفي.
- ٣ - جمال بيومي .. أمين عام اتحاد المستثمرين العرب وساعد وزير الخارجية المصري سابقاً.
- ٤ - روف عيسى .. أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة.
- ٥ - طارق البشري .. كاتب ومؤرخ.
- ٦ - فكري النواويس .. كاتب مصري مقيم بالولايات المتحدة.
- ٧ - محمد السمك .. كاتب لبناني.
- ٨ - محمد عبد الحظ .. أستاذ البلاغة والنقد الأدبي بجامعة عين شمس.
- ٩ - محمد فؤاد الهادري .. باحث في التراث العلمي من سوريا.
- ١٠ - مينا بدیع عبد الملك .. أستاذ الرياضيات بالجامعة الأمريكية في القاهرة.
- ١١ - ليل أكرسون .. كاتب بريطاني.
- ١٢ - هشام السلاموني .. ناقد أدبي وقص.
- ١٣ - هنري سمعان .. الرئيس السابق لليغز اليهودي الأمريكي وميل بارز في مجلس العلاقات الخارجية.
- ١٤ - وند محمود عبد الناصر .. كاتب مصري مثقف في الشغل.

رسوم العدد للفنان :

محمد حجي



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على صماغات ورقية
أو عبر الحاسبات لكل أو بعض القالات المنشورة أو أجزاء
منها، بغیر إذن كتابی مسبق من الناشر.



الرسائل :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي
٢ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت : ٢٩٣٠٤٩٨ / ٢٩٣٠٤٩٩ / ٢٩٣٠٤٩٦ - فاكس : ٢٩٣٠٤٩٨ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني (التحرير) : info@alkotob.com
البريد الإلكتروني : www.weghatnazar.com
الوقوف على الإنترنت :

الاشتراكات :

السنة الواحدة (اثنى عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر، ١٠٠ جنيه مصري -
اتحاد برید عربي، ١٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا، ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا
وكندا، ٨٠ دولاراً أمريكياً - باقي دول العالم، ١٠٠ دولار أمريكي.
إدارة الاشتراكات، شارع سيويه المصري، ص. ب. ٢٢، هليانوراما - مدينة نصر
هاتف: ٥٠٣٣٣٩٩ - فاكس: ٥٠١٨٥٤١ - e-mail: weghat@alkotob.com

ثمن النسخة :

في مصر ١٠ جنيهات مصرية. السعودية ١٥ ريالاً - الكويت ١٠٥ ديناراً - الإمارات
١٥ درهماً - مملكة البحرين ١٠٥ ديناراً - قطر ١٥ ريالاً - سلطنة عُمان ١٥ ريالاً - لبنان
٥٠٠٠ ليرة - سوريا ١٥٠ ليرة - الأردن ١٥ ديناراً ونصف - ليبيا ٣٠ ديناراً - الجزائر ٣٠٠ دينار
المغرب ٣٠ درهماً - تونس ١٠ ديناراً - اليمن ٣٠٠ ريالاً - فلسطين ٣ دولارات.
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £ 3 - USA \$5.

طبع بمطبعة الشرق بالقاهرة

محتويات العدد :

- ١ - طارق البشري ..
- ٢ - وفاء فسلطن .. بين الدولة والإدارة الكنسية
- ٣ - هنري سمعان ..
- ٤ - لا تراهنا على ديوجول إسرائيل .. الرجل الذي لا يتغير!
- ٥ - محمد السمك ..
- ٦ - الخطر الأقصى على المسجد الأقصى
- ٧ - جمال بيومي ..
- ٨ - رغم ترحيب المستفيدين .. QIZ .. المخاطر واردة!
- ٩ - روف عيسى ..
- ١٠ - تحت القبة وسم!
- ١١ - صفحات من كتاب «مشيناها خطى .. سيرة ذاتية، تأليف روف عيسى
- ١٢ - مينا بدیع عبد الملك ..
- ١٣ - الحياة اليومية عند الأقباط
- ١٤ - عالم الأقباط: الحياة اليومية عند الأقباط قديماً «بالألمانية،
- ١٥ - تأليف: هيرمان هارز .. هيلموت برشهولزن - أولريكا هوراك
- ١٦ - «فكري النواويس ..
- ١٧ - «حين أصبحت الكنيسة .. مصرية،
- ١٨ - هشام السلاموني ..
- ١٩ - نجيب محفوظ .. الحائر بين الغائب والمترود!
- ٢٠ - محمد عبد الحظ ..
- ٢١ - «الاستطورة الشخصية،
- ٢٢ - أحمد مستجير ..
- ٢٣ - «ديولوجيا الوسيقي .. خصلة من شعر بيتهوفن،
- ٢٤ - محمد فؤاد الهادري ..
- ٢٥ - «هجوم التراث العربي،
- ٢٦ - وليد محمود عبد الناصر ..
- ٢٧ - «نماذون عاماً بعد لئلين،
- ٢٨ - ليل أكرسون ..
- ٢٩ - ثلاثية ثروتسكي: مرتبة الانتصار هي هزيمة،
- (1) The Prophet Armed: Trotsky 1879- 1921
- (2) The Prophet Unarmed: Trotsky 1921-29
- (3) The Prophet Outcast: Trotsky 1929- 1940
- ٣٠ - تأليف: إيزاك دوتشر
- ٣١ - «إصدارات جديدة ..
- ٣٢ - كتاب «دفاع عن الإنسان»، تأليف: د. عبدالوهاب المسيري، عرض محمد
- ٣٣ - صلاح يسين غازي
- ٣٤ - رسائل ..
- ٣٥ - أيمن الصبيح ..
- ٣٦ - قراءة: «ما هكذا ثورة الإبل».

الدولة و "الإدارة" الكنسية

[٣]

فأبلغ بأمور القسم مباحث أمن الدولة واستدعيت إليه السيدة المذكورة، وأن أسرة السيدة وقاء لم تبلغ عن غيابها حتى أبلغ أخوها عن ذلك في قسم، أبو المطامير، صبيحة اليوم الثاني من ديسمبر.

في اليوم الثاني من ديسمبر فيها يبدو بدأ التحرك القبطي لفظاً وشيخاً وشائعات، وانتشرت شائعات تقول أنها اختطفها وأنها هربت مع زميل لها مسلم تريد أن تتزوجها وأنها لم تطلق العشي مع زوجها المريض، وأن ثمة من اغراها وحرضها وأن، غسيل مع، حدث لها، وكل ذلك كان ظاهراً واثبت عدم صحته، ولم ترع الشائعات حرمة السيدة ولا ثمة نافذ الأخبار، وأقول ذلك لأنني مسلم يتكلم عن سيدة انتقلت إلى الإسلام، ولكن أقولها نقلاً عما قاله الأبنا باخوميوس مطران محافظة البحيرة وأنا يعرف السيدة وزوجها ويتبعه روحا ويتبعه محال عمل السيدة وزوجها وحاصل سكتهم، قال غيبطه لصحيفة صوت الأمة في ١٣ ديسمبر، كانت سيدة تمتاز بالخلق الهلواني... وحتى اليوم الجمعة ٢٦ نوفمبر وقبل أن تختفي بساعات كانت تراقق زوجها، بل قامت بتغيير جرح زوجها الذي يعاني من بثر على ساقه اليمنى وفي اليسرى غرغرة سر، وكانت رفيقة بارة بأسرتها وتصلحت زوجها أثناء فترة مرضه، كما أنها أحسنت روحا، ولديها منبر، خرج اليها من الكنيسة التي تدرس بكلية العلوم جامعة الإسكندرية، ولم تكن الأسرة تعاني أي مشكلات مالية، فأحضرها ولحقوف زوجها المرضية كانت تلزم لها كل شيء ولم تشكك من أي شيء... وزميلتها في العمل فيغير عصمت الخريوطي تذكر في «المصور» أنها مشكلات للأكل والألب وعصف اللسان وحفظ السر كالحفاظ على غيبطه جداً والسكان يعرف الرحمة وكريمة مع الجميع وسخية وأسلوبها راق ولا تحسن حياة أحد، (بعد ١٧ ديسمبر ٢٠٠٤)، كما قال ذلك منها الأب مينا صبيح في أبو حمص بالبحيرة إذ كانت تسهر على مرض زوجها بالمستشفى ثلاثة أشهر وأنها من بيت طيب (الحريس في ١٢ ديسمبر ٢٠٠٤).

وتذكر صحيفة العربي في ١٢ ديسمبر ٢٠٠٤ أن شائعة الاختطاف انتشرت كالثار في الشيشيم فتجسعت أعداد من السبعين في المطرانية بالبحيرة يطالبون بعودة السيدة وقاء وتسليمها إلى زوجها، باعتبار أنها أجبرت على الإسلام وأنها تزوجت زميلها واعتمد المتجهرون، ويدا أن الألبا نجوم جديس يعمل على تحويل المسألة إلى مسألة عامة وسياسية فذكر «أناس لهم اتجاهات، سبق أن أبلغ عنهم السلطات وأن هؤلاء الناس، هم من خطفوها وأن لديهم أسماء هؤلاء الناس»، وقال كيثورين

يتداخل مع الحادث السابق، ما يمكن تسميته حادث، أبو المطامير، وهو يبدو في ظهوره فيما ذكرت الصحف يوم ١٧ نوفمبر ٢٠٠٤، ذلك أن السيدة وقاء فسطنطين وهي مهندسة زراعية تعمل بهيئة الإصلاح الزراعي بمحافظة البحيرة وتبلغ السادسة والأربعين من عمرها، وهي تعيش في، أبو المطامير، بمحافظة البحيرة ومتزوجة من القس يوسف محوض ولها ابن مهندس متخرج من هندسة جامعة الإسكندرية وابنة في كلية العلوم بذات الجامعة، وزوجها مريض بتر ساقه من مضاعفات مرض السكر.

في ذلك اليوم خرجت السيدة وقاء من بيتها ولم تعد إليه حسبما ذكرت صحيفة وطني في ١٢ ديسمبر، وأبلغ شقيقها مسحة فسطنطين السلطات عن تقيها، وتذكر مجلة الصور في ١٧ ديسمبر أن السيدة وقاء تقدمت في الأول من ديسمبر إلى قسم الشرطة في حي السلام بصحبة سيدة اسمها في ابنة جار قديم لأسرة وقاء في حصة ملج، بالوقية حيث نشأت هي، وتذكر في القسم كل ما يتعلق بحياتها الاجتماعية من مؤهل وزواج وأولاد، وأنها تقيم مع صديقتها علافة قديمة بين أسرتها وأنها، تطلب نهاراً إسلامها، وتذكر أنها قرأت للشيخ متولي الشعراوي واستمعت إلى أحاديث الداعية السوري يوسف طوري إلى أحاديث عمرو خالد وأنها تكلو سور، يس والكهف والرحمن وتحفظ كل لسان السور وأنها صامت شهر رمضان والأيام الستة من شوال، وليس من سبب يتعلق بزواج جديد يحدها إلى الإسلام، إنما هي الرغبة الشديدة في الإسلام التي، لم ترغب إقناع نفسها بالعمل، رغم أنها لم يمكن أن يحدث أسرتها، وأنها كاشفت ابنتها بالحقيقة.

الإسلام وعلى الزواج، نحن لا نعلم منها الحقيقي، ولكننا نعلم أنها أجبته بتوصية من أمين الحزب في مفتش الصحة ليستبها فسطنطين ١٤ سنة لكي تسلم لأبيها، كما أننا لا نعلم حقيقة اقتناعها بالإسلام ولكننا نعلم أنها سلمت لأبيها بعد تحديد سنّها بالأهل لتضاد نفسها بتزوج وبالتحول الديني، وهذا ما ذكره والد الفتاة الأستاذ نبيل زكي وهو ما أقر به على نفسه محمد عبد الحمن صالح، وما شهد به أيضاً على غيره، وهو أيضاً ما نقله الأستاذ عادل حموده وعبد الحفيظ سعد في صحيفة صوت الأمة في ١٣ ديسمبر ٢٠٠٤.

٤ - نحن لذلك أمام شبهات قوية أن تواطؤاً مشهود به جرى بين موظفين معوميين لإثبات غير الحقيقة في أوراق رسمية بغية التغلب على رغبات ملحة ومشروعة عبرت عنها الفتاة، وهي مواطنة مصرية وظلت مصرّة عليها حتى سلمت إلى والدها بقرار النيابة العامة بتأييد أن سنّها ١٤ سنة، وهذه أمور لتستدعي التحقيق من الجهات الإدارية ووزارتي الصحة والداخلية، كما أنها تستدعي التحقيق من نقابة الأطباء، عن مدى الشبهة التي تلحق بقرار مفتش الصحة لمن الفتاة المذكورة.

٥ - إن ما أقر به أمين الحزب على نفسه من تحريره على تسنين الفتاة بأربع عشرة سنة لم يمكن إعادتها إلى أبيها تحفظاً من إصرارها على تحقيق رغباتها الجائزة والصمود بها فأولاد، أن ذلك يقتضي فيما أظن أن ينظر فيه مجلس الشعب بحسبان المذكور عضو، به للفتي مساهمة ولتقدير ما إذا كان ذلك مما يفقده الثقة والاعتبار اللذين يمكن بتقديرهم تقديمهما إسقاط العضوية عنه طبقاً للمادة ٩٦ من الدستور.

لتعدّل عن إشهار إسلامها، وأحضرتها هذه الفتاة في حضور والدها وحاولنا معها كثيراً إلا أنها أصرت على إشهار إسلامها، وهنا اقترحت على الحاضرين من الشرطة وأمن الدولة أن يتم عمل محضر بالواقعة وإرسالها إلى النيابة على أنها صغيرة في السن، وهو ما حدث وأمرت النيابة بتسنيها عن طريق مفتش صحة المركز وقفاً تم تسنيها به (١٤ سنة) وأمرت النيابة بتسليمها لوالدها... ثم ذكر أمين الحزب عن علاقته بالقمص أيانوب، أؤكد لك وعلى مسئوليتي أنني طلبت أكثر من مرة من القمص مينا ممثل السيد المطران ميخائيل أن اجلس بالطران ومستعد، ومارت، أن اجلس داخل الكنيسة وأمام شعب الكنيسة وأطلب أن يكون المطران نفسه حكيماً... ثم فني عن نفسه تهمة أنه لا يتسبب لطبات الكنيسة ذكراً أنه استصدر قراراً من مجلس محلي المحافظة بتخصيص ١٣ فداناً لتجاوز المدير لغيره في ١٩٧٧ وصارت ملكاً له، فضلاً عن نصف فدان آخر ومساحة للفرص العمى، وأن ما يزيد على ٤٠٠ من كنائس أسبوط الحشت في السنوات الخمس الأخيرة وأنه منذ ١٩٩٨ بنى وبعد يوم ١٣ كنيسة وأن ٣٩١ كنيسة هي أسبوط بها عشر مطرانيات مينا ست لتأرؤكوس.

واتفقت تعليقات الصحف التي تعرضت لموضوع أسبوط هذا على أن محمد عبد الحمن صالح أمين الحزب الوطني بأسبوط له نفوذ كبير جداً، وقد يكون من المبالغ في قول أنه من نفوذه يفوق نفوذ المحافظين، ولكن هذه العبارة ترسم مؤشراً على عمق النفوذ الواسع الذي يمارسه لأكثر من شتريين سنة وفي عهود محافظين عدة، وهذا صاحب النفوذ الواسع الكبير الذي يقال أنه امتد من ثلاث وعشرين سنة مضية ولا يزال قائماً، دراه هنا كيف يعامله القمص باتوب يوجه له المبرات الحادة العنيفة، وكيف يتلقى أمين الحزب سيل التهم منه وهو خاضع الجناح مذكراً بما أسلفه من استجابات وطلبات أن يحاكم محاكمة كنيسة وأن يكون المطران هو من يحاسبه وأمام شعب الكنيسة ويكرر ذلك في كل أحاديث، ونحن نخشع من ذلك كله إلى:

١ - إن هذا الشخص الخاص بالفتاة كريمة بدر يدي، كان انتهى تماماً من أكثر من سنة، ثم أعيد لإثارة.

٢ - وإن في أعاد لإثارة هو القمص أيانوب، وأن المطران ميخائيل ترك الأمر بطور وابتعد، بالصمت عن واقعه، في أمر يتعلق بمطراتيه ونفساوس.

٣ - في حدود البيانات التي أماننا، فإن الفتاة التي قيل أنها كانت تصر على



«الإدارة» الكنسية،
أفسدت على نفسها وعلى ذويها
حجة كانت دائماً تستحسن استخدامها
متعلقة ببحرية الأديان
وحرية الاعتناق



زوجة رجل كهنة وتعلم أنه ليس لها حرية الإرادة فيما فعله، وهذه العبارة تكشف عن التناقض مع ما قاله من موضوع آخر بصحيفة العربي أن المهمل أن نتأكد أن تكون الحياة الحرة في اتحاد افراق لأنها حينما تأخذ القرار وهي فائدة الأعلىية والحرة في تنفيذها هذا غير معقول..



وهكذا يفكر زبانية، مواطنة مصرية تعمل مهندسة زبانية من سنة ١٩٨١ وهي في السادسة والأربعين من عمرها وريت شابيين، مهندسا وطالبة بكلية العلوم وعرفت بما اقر به فينبغيه نفسه من حديد السجاية وشهد لها بذلك زملاؤها، ومع ذلك يرى غبطة أن حرية لها ولا إرادة لأن الأمر يتعلق بالكنيسة بوصفها مؤسسة، ونحن إذا استخدمنا المصاهيم الحديثة، نقول أن الأمر شيء ليس أمر المسيحيين، إنما هو مشكلة البيروقراطية الكنسية التي وجدت في الحداث، صوابا أو خطأ، ما يحرر عقولنا من جهاميرها، والأبنا يشيؤ بخول لصحية العربي إن الأمر كان يمكن تداركه في «أبو المطامير، ولكن الأجهزة ظلت تداركها بالكنيسة وهو ما كان له أثره البالغ في تصاعد الأزمة وتدهور الموقف، ويظهر بذلك أن سبب المؤسسة الكنسية هي أنها ظلت السامة من تصميده جاء منها وأن الصراع يشانه دار بين الأجهه، وبين الكنيسة، وظهت قوة المؤسسة الكنسية هي أنها ظلت السامة من كونها مسألة سيدة انتقلت من المسيحية إلى الإسلام إلى كونها مسألة تتعلق بالآمن المسيحي، بزعم أن السيدة خلقت وأنها تزوجت وأن هذا أناسا حرضوها وجهات أفرقتها، فضلا عن استخدام نوع من التشبيع الأخلاقي على السيدة وها، فمثلا يقول الأبنا يشيؤ سكرتير الجمع الحشد هنا، إذا نصبت لبالا حيا وعشقا في رجل آخر غير زوجها، فهذا ما ترفضه المؤسسة حتى لو سمحت للأجهزة الأمنية.. (الغري ١٢ ديسمبر ٢٠٠٠)، ولا أدري كيف سمح له وزعه الديني أن يقذف سيدة أثار إليها بالفضل والاحترام كل من تكلم عنها من عرفها، وحتى رجال الكنيسة في إقليمها شهدوا بذلك.

كان المطلب ألا تسليم السيدة وها إلى أسرته، ثم سرعان ما تغير، وأطر على السنة رجال الأكليروس مطلب تسليمها إلى الكنيسة، ظهر ذلك على لسان الأبنا باخوميوس وألا تم استشرى، وصار في ساحة الكاتدرائية بين المحتشدين المعتصمين مطلبيا شعبيا. وصار هذا الحشد هو أداة السياسة الحكومية للرضوخ لمطلب الكنيسة. وأوقفت مناسب جدا للضغط، فهو وقت التسليم في العدد الثاني والستون، يناير ٢٠٠٥ م

محاضرتي، عرف الجميع أن غبطة غضب وأنه غادر المقر البابوي ذاهبا إلى دير الأنبا يشيؤ للاعتكاف، ولنا أن تنصروح شعور اليتيم والضلع الذي يشعر به شباب كثر مستفز بالخوف وعدم الأمن ويلجأ إلى حيث ينمطلر الخنزود بالشفقة والألمن والطمانية لدى صاحب المكان، فيتركه ويذهب، يتركه في الفرا وذهب. هنا انفجر الموقف وبدأ خروج الشباب وبدأ قذفهم الشرطة بالطوب، فاصيب ٥٥ من الجنود بينهم ٥ من العصابة، وأصيب عدد من الشباب قال أحد رجال الكنيسة أنه بلغ ١٥٠ شخصا، وقبضت الشرطة على ٣٤ من المظاهرين.

[٤]

كان هذا المسلك الأخير في ظني هو ما فجر الموقف، أو هو من أهم ما لتجربة هو الموقف، وأسالة كلها في ظني ليست مبررة بين المسلمين والمسيحيين في مصر، ولا هي في الأساس سياسة مسلم باتى أو مسيحي يتذهب، وأن كل الشهادات التي وردت في الصحف في هذه الأيام، سواء كانت من أباء للكنيسة أو من غيرهم قالت أن مسألة السيدة وها، فاستقلتين بوصفها مسيحية، إنما هي مسألة أنها زوجة قسيس، وقد قالها الأبنا باخوميوس صراحة، وقد قال لمسيحية عربية، سلامة الحبيب أن تحافظ على، ولكن المشكلة أن رجال الدين في مجتمعتنا المصري زرع وليس شخصية عادية وزوجة رجل الدين هي أيضا زرع.. وقال القس اسطافانوس حبيب من كنيسة كفر الدوار أنه عندما يمس الأمر زوجة كاهن فالقصور هنا هو الكنيسة.. وقال الأبنا باخوميوس في صوت الأمة: إنها زوجة لأحد رجال الكهنوت، فلما سئل عن ماذا يريدون قال إنهم يريدون زوجة القس، أنا فلما سئل عن ماذا إن رفضت، قال الموضوع لا يحتمل فلا بد أن يتم تسليمها فهي



إن الكنيسة حملت الدولة وحملت الجماعة الوطنية تبعه حادث ليست الدولة مسئولة عنه، وليست الجماعة الوطنية تتجرح به ولا تعذش



الشائعة فاضلا عن كونها لزوج الغضب وتثير الحماس وتساعد على التجمهر والإحساس بالإهانة والخطر، فإنها أيضا تنقل المسألة من شأنها حاديا فرديا إلى أن تصير حدثا ذا دلالة عامة. ومن هنا للحظ أن الأبنا باخوميوس من بداية حديثه كان يذكر هؤلاء الناس، الذين يعرفهم وأبلغ عنهم السلطات، ويشير إلى إمام مسجد وزميل عمل وغير ذلك، ثم الإشارة إلى الضغوط والإغراءات كما لو أن جهازا يقوم بالحض على ترك الدين واعتناق دين آخر، ثم يزيد الإحساس بالخجل والافتقار الأمن الجماعي، فلا يكون بعد ذلك ملجأ من هذا الخطر للشباب المسيحي إلا المطرانية في البحيرة والكاتدرائية في القاهرة. هذه التحطة الأخيرة تزامت الإشارة إليها عند النظر في آثار مواقف غبطة الأخيرة شذوذة الثالث بطريرك الكنيسة، إزاء هذا الحادث، لقد ترك غبطة الأمر عند أول ثوابه الشباب إلى البيروقراطية، تركهم مسافرا إلى دمشق لحضور اجتماع مجلس الكنائس، ثم عاد بعد يومين وقد غص المكان بين منتظرين عوفته ليعمالع الأمر ويهب القلقين شعور الأمن والأمل، وكل ذلك تصاعد مع موعد محاضرتي يوم الأربعاء، فخصص على غبطة يسبب قداس الراحل الكريم سعيد سنبل، وهو قداس ذكر الأستاذ عادل حموده في صوت الأمة أنه كان يسقام في كنيسة أخرى أقيم فيها سرادق العزاء، ولكن طلب إلى أسرة الراحل بالتفويض أن يكون القداس في الكاتدرائية، وبدا أن ذلك نوع من التكريم، فوافقت العائلة دون أن تتصور هي وكل أصدقاء سعيد سنبل أن هناك عددا آخر هو المرو على الشباب الغاضب بكل ما يحمله من لافتات وكلم في يقول من هتافات (عد ١٣ ديسمبر ٢٠٠٠)، وليشمل ذلك جذب كبار الشخصيات وكبار المسؤولين الذين سيحضرون القداس.

ثم بعد أن حضر غبطة البيطريك وبعد الإعلان عن قرب حل الأزمة وتسلم السيدة وها للكنيسة، وقبل أن يلقى

بعدها في البحيرة أو في اعتصامات البيطريك بالخاصة أنها أجبرت على الإسلام وأنها اختطفت، وأن الاختطاف لا يكون فقط بالسلال والحديد إنما يكون أيضا بالتبريغ. وطبعنا تحسرت أجهزة الأمن في محافظة البحيرة لعلاج هذا الموقف، مع ما حدث من تجمهر ومن اعتصام، وتحرك المحافظ وذهب الدكتور عبد الرحيم شحاتة وزير الإدارة المحلية إلى البحيرة ليلتقى برجال الدولة والكنيسة، وانتهى إلى أن السيدة وها قد أسلمت، وقد أصدر المجلس الملي لبالا حيا لارثوذكس بالاسكندرية بيانًا نشرته صحيفة الوطن، واستنكر قول الدكتور عبد الرحيم شحاتة، كما استنكر نشر «الأهرام» لذلك باعتباره يهدد الوحدة الوطنية.

وبدا التوافد على القاهرة في الأيام التالية لما صدرت تصريحات بالبحيرة بأن الأمر يكون حله في القاهرة، فتوافدت الوفود من الشباب القبطي الغاضب إلى مقر البيطريكية في العباسية، وتذكر بصحيفة قول الأستاذ أنه من مساء الأحد ٦ ديسمبر وطول السلاسل ٦ ديسمبر صامت مواقع على الإنترنت للالفاظ على النشر صا يحدث في الكاتدرائية، ومنها خبر عن حرك عدد كبير من الحافلات تحمل أعدادا كبيرة من أفياط البحيرة تجمع على الكاتدرائية، وكان ذلك في ذات وقت وصول الحافلات، ثم انضم إلى هؤلاء مجموعات من القاهريين من المحافظات الأخرى، وفي يوم الأربعاء وصل المئات إلى الكاتدرائية لانه يوم محاضرة البابا الذي كان عاد من سوريا.



وتذكر صحيفة العربي أن الكاتدرائية استقبلت الحيات اجاوا من مختلف المحافظات في اعتصام مفتوح، وأن ذلك تزامن مع قداس للصلوة للأزمة وها الكنائس الأستاذ سعيد سنبل، بحضور لغيف من كبار رجال الدولة فوجئوا بالمظاهرين يحملون اللافتات ويهجم بعضهم على الشاعة الكبيرة ويحاصر عددا من المسؤولين، وزعم الوجود التي قدمت بإعادة السيدة وها لم تمها الأمور وانضم إلى المظاهرين مئات من الشباب والفتيات ومن الأسر معهم أطفالهم، كما ذكرت الصحيفة أنه حتى ذلك الوقت لم يتدخل الأمن وكان المظاهرين موجودين خلف البوابات وأمامهم الحشود وبعض المسؤولين عن الكاتدرائية وعلى رأسهم الأبنا أرميا، كانوا يجبرون إلى متظاره يربغ في الخروج من باب الكاتدرائية على الدخول مرة أخرى وسط هتافات الشباب الغاضبين. وما يمكن الإشارة إليه هنا أن وظيفة

[٥]

وتنح لنحظ دائماً في ما قبل وما بعد آباء الكنيسة في هذا الحداث الأخير. حداث «أبو المتطامير، أنهم دائماً يضيئون المطالب باسم «الوحدة الوطنية، ويعيقون مواقف الآخر المولدة لطغيانهم أو المعارضة، باعتبار أن من يؤيدها حريص على «الوحدة الوطنية». وأن من يعارضهم يخاطر بالوحدة الوطنية». وفي البيان الذي أصدره المجلس اللس للأقباط الأرثوذكس بالإسكندرية، انتقاد لصحيفة الأهرام وللدكتور عبد الرحيم شحاتة وزير الإدارة المحلية لأن الوزير قال أن السيدة وفاء صارت مسلمة ولأن الأهرام نشر هذا الخبر. وقال البيان أن نشر هذا الخبر بالأسلوب المثير للشعاع عن بعد يهدد كيان الوحدة الوطنية التي حرص على صيغتها صحيفة (الوطن) ١٢ ديسمبر ٢٠٠٠) ولا أقل من التقليل على القارئ بالمزيد من المتفقتات حول هذا الأمر. ويكفي أن يطالع أي شخص صحف الفترة وبيانات الإدارة الكنسية وقصص حياتهم وإجاباتهم حتى يلتفت منها هذا الخطيب.

إن إطراد الحديث عن الوحدة الوطنية عن في هذا الشأن يبرهنا صدارة مفهوم الوحدة الوطنية للصالح الكنسي وهذه، وهو محاولة ذاتية للفرج بين الصالح القبطي والكنسي. كما تراه الإدارة الكنسية، وكما تروج له بين شبيهاها، وبين الصالح الوطني لخصر بصلهيا ومسببها. وقد تكون فكرة الكتابات عن الوحدة الوطنية وما يستدعيه المصري من تصور عن نجاحه في تحقيقها ورغبتها النبيلة في حفظها، قد يكون ذلك مما أوحى للكنيسة ورجالها أنهم ما داموا هم «الطرف الثاني» في معادلة الوحدة الوطنية، فلا بأس أن يكونوا هم «الدليل» على وجود الوحدة أو عدم وجودها. باعتبارها «الدليل» فهو من يستطيع إسباغ وصف الوحدة الوطنية على الجماعة أو سحب هذا الوصف. وبمستند بذلك السيطرة على هذا المفهوم واحتكاره ويصير صاحبه هو «المحاور» لوجود الوحدة أو عدمها. فيقول من «دليل»: إن كونه «معيّراً».. والحقيقة أنه ليس دليلاً وليس معياراً، وليس طرفاً ثانياً في اتفاق ثنائي، إن الجماعة السياسية الوطنية العامة تقرر نفسها على كل محتوياتها من فؤي أديان وطوائف وأقاليم ومهن ومذاهب، وتراعي على كل ذلك الأجماع والمقايير التي تتكون منها الجماعة الوطنية ولا اختلف الموارين وفقد المجتمع كواونه.

ونحن نرجو أن يكون وراء مصادرة مفهوم الوحدة الوطنية، نوع من الإشارة إلى الضغوط الأجنبية. وأن المواقف الوطنية التي تتخذها الكنيسة بالنسبة للخارج مثل عدم الدخايل إلى القدس، هذا امر لا نضعه الحاشية لصر لها لقروض أنها جزء من مصر وأن الصالح المصري والوطني ما يتجهين أن يكون أساساً لصالح الجميع

تحتسرن عنه كل سلطات الدولة والمجتمع ويقوم مغلفاً بعيداً وعالياً حتى من الجماعة الوطنية.

تحقق لإدارة المؤسسة الكنسية ورجلها الأوجد كل ما طلب. ولكن لم يتحقق كل ما بعد كل ما يريد. ونحن لا نعلم كل ما يريد، وإظن أن غيبته لا يعرف عن امر نفسه كل ما يريد. فإدارة مفتوحة للمزيد والمزيد من الرغبات كلما تحقق له المزيد والمزيد من الطمليات. وغاية علمنا عن هذا الأمر المثار، ما ورد في (المصري اليوم ١٦ ديسمبر) بعد عودة السيدة وفاء إلى المسيحية: أعلن أن البابا ناقش مع كنيسته المركزية الموقفة الأحداث الأخيرة وكيفية تلافيها في المستقبل. حيث أكد البابا أنه سيطلب من الحكومة تسليم أي حالة تريد إشهار إسلامها إلى الكنيسة لمقعد جلسته الإزادة... وصرح البابا موسى «أكد حق الكنيسة قانوناً في تقديم الصمغ لكل من يتقرر في إشهار إسلامه خشيته أن يكون ذلك تحت ضغط أو ظروف نفسية أو عائلية أو مادية أو إغراءات من نوع (الحياة ١٦ ديسمبر ٢٠٠٠)». ثم بعد ذلك أورد الحديث في كل المصالح الإعلامية أن غيبته البطريرك الذي اعتكافه حتى فرج عن إنبائه الـ ٣٤ شاباً الذين قبضت عليهم الشرطة أثناء الترافيق الذي جرى عند مقر البطريرك، مع الترويج بأن أعياد الميلاد مقبلة، وإن إبقاء البطريرك على غضبه من شأنه أن يؤثر في ممارسة شعائر العيد. السؤال الذي يمكن أن يطرح الآن: إذا لم يكن كل هذا سياسة فما هي السياسة إذا؟ من عدد من السنين مضت، كتب الدكتور رايح حبيب كتاباً عن «الكنيسة السياسية»، وغضب البطريرك من هذا الزعم إلى نفاء بشدة وغضب فقها على صحيفة الأهرام لأنها نشرت لأستاذ قضى هويدى عرضاً وتعليقاً على هذا الكتاب.

أسبوع من تسليمها إلى الكنيسة وإثرد المخاطرة عليها لعدم طلب بأسها إلى النيابة العامة وذهبت إلى مقر النيابة التابعة له عين شمس، وكان يصحبها المطارنة الأربعة وعدد من محامي الإدارة الكنسية. ولقد علمنا أن النيابة العامة طلبت دخول السيدة وفاء إليها وحدها كما هي العادة التبعة قانوناً لتدلي بما تريد الإذلاء به فلم يوافق صاحبو السيدة على تركها عن النيابة العامة وحدها وأصرروا على وجودهم معها في هذا اللقاء، وإن امر ساعة أو ساعتين، ثم استقر الأمر على أن يدخل معها محامون من الكنيسة ليحضروا اللقاء ويسمعوا ما تدلي به السيدة في محضر النيابة. وقد تضمنت أقوالها أنها عادت عن رغبتها في الدخول إلى الإسلام وأنها ستظل مسيحية، وفكرت صحيفة المصري اليوم أن ذلك، لتنتهي الحياة التي تواصلت خلال الأيام الماضية والنيابة العامة تثبتت أنها «سازلت على مسيحيتها، مبررة الطلب بأنها تريد التخلص من الحصار المفروض عليها» (عدد ١٦ ديسمبر ٢٠٠٠). كما ذكرت صحيفة المصري اليوم (عدد ١٦ ديسمبر ٢٠٠٠) أنها بعد ذلك انصرفت من لدى النيابة العامة. والحاصل أنه بعد خروجها من مكتب النيابة لم تطلق لها حريتها في الانتقال والتحرك، ولم تعد مواطنة عادية، رغم أن بيان النيابة صرح أنه لا توجد شبهة جرمية ومن ثم كان يتعين إطلاقها لتذهب كما تشاء، ولكنها أخذت مع السادة المطارنة بصيراة إلى دير البابا ييشو بوادي المنطرون حيث كان البطريرك قد ذهب إليه مضامياً ومتكفلاً لأن سيدة مواطنة مصرية لم تسلم إليه عند طلبه إيها. وإقليم قدام بالدير بعد ذلك. ونحن لا أحد يعلم عنها شيئاً، فقد صارت شأنها كنسياً وديرياً خالصاً.

وأعلن النائب العام بياناً بحضور السيدة وفعالها فلم يتحدثوا إليها عند الزواج، واستيقظت بعد أربعة أشهر، وتبكت بمسيحياتها (صحيفة الحياة ١٦ ديسمبر ٢٠٠٠). وصرح اللس فلويباتير عزيز بأنها كانت في حالة من الإجهاد والإعياء يوم الأربعاء ٨ ديسمبر عندما ذهبت إلى هذه الدار، وفي يوم الجمعة التالي «استعادت قوازيها» وأكدت أنها لا تزال على المسيحية (صحيفة المصري اليوم ١٦ ديسمبر ٢٠٠٠).

وفي ذات الوقت الذي دخلت فيه إلى دار المحامات وصارت في حوزة الكنيسة، صرح مصدر كنسي ما نشرته مني الإله في مجلة المصور بأن مفاوضات تجري مع وفد الكنيسة والسيدة وفاء «لإفنائها بالعمول عن قرار رغبتها في إشهار إسلامها، والتي بدأت منذ سبعة أيام قد تحطول وتنتد شهر» (المصري ١٧ ديسمبر ٢٠٠٠). كما نشرنا تصوير آخر لأحد المطارنة بأن الأمر قد يستغرق سنة كاملة لأن السيدة وفاء في حالة نفسية سيئة.

الثواب، وهو موسم الفكر الجديد الذي يدعو إلى عدم التمسك بشيء. هو موسم عزاء، ومواقفية وكثيراً وغير ذلك. ومن المؤسف حقاً أن الكنيسة الوطنية المصرية تستغل في صراعها مع الدولة طروفاً غير مناسبة لتحقيق الإرادة الوطنية، وتقف مع من يترصون بمصر الدوائر في هذا الظرف النكد.

صدر القرار السياسي بتسليم السيدة وفاء للكنيسة، وأعلنه البابا يوانس على جمهور المعتنمين بمقر الكاتدرائية، ذكر أن السيدة وفاء «وصلت في مكان آمن يتبع الكنيسة». فلما طالب الجمهور المخار بصورتي وبيتها خرج إليها البابا يوانس باخوميس وأعلن أنها في مكان آمن يتبع الكنيسة فعلاً وأنه جلس معها. وبعد أن سمعت السيدة إلى الكنيسة أودعتها الكنيسة بيتاً للمكرمات في أرض النعام عين شمس، وأحاط به هناك عدد من الرهبانية كما ولد عليها من المطارنة البابا باخوميس والأنبا موسى أسقف الشباب والأنبا أرميا سكرتير البابا والأنبا ييشو سكرتير الرجم المقدس، وصرح باخوميس لصحيفة المصري بأن السيدة «كانت ولا تزال تحت ضغط للدرجة لتفقد الحرة والأهلية لإنشاء الرتبة السليم». وصرح البابا موسى بأنها كانت في حالة من الإعياء والوهن فلم يتحدثوا إليها عند الزواج، واستيقظت بعد أربعة أشهر، وتبكت بمسيحياتها (صحيفة الحياة ١٦ ديسمبر ٢٠٠٠). وصرح اللس فلويباتير عزيز بأنها كانت في حالة من الإجهاد والإعياء يوم الأربعاء ٨ ديسمبر عندما ذهبت إلى هذه الدار، وفي يوم الجمعة التالي «استعادت قوازيها» وأكدت أنها لا تزال على المسيحية (صحيفة المصري اليوم ١٦ ديسمبر ٢٠٠٠).

وعلى كل حال فمن أول ما سلمتها أجهزة الدولة للإدارة الكنيسة بناء على القرار السياسي الصادر بذلك، لم يعد في إمكان أحد في مصر كلها أن يعرف عن السيدة وفاء قسطنطين شيئاً إلا عن طريق الإدارة الكنسية، والحاصل أنه بعد نحو

الكنيسة السابقة في العصر الحديث، ولا كان هو مسكنها في سنين ماضية، كما أنها صمت منساراً إيمانية لدى المسلمين بالإصرار على أن تسلم مواطنة أسلمت إلى الكنيسة وعلى الانفراد بها من بعد دورها إباحة في حرية الاتصال بها من خارج رجال الإدارة الكنسية، ثم الاكتفاء بإعلان السيدة وفا عودتها إلى دينها السابق إعلاناً مظلوناً بصدره عودته تسليم السيدة أسلمت إليها بما أصرت عليه من عدد من أجهزة الدولة، تحت مظلة الأطمئنان إلى استجابة القرار الكنسي لها.

ومساءً رابعة، خسرتهما الإدارة الكنسية، وهي أنها أقسنت على نفسها وعلى ذويها كانت دائماً تستحسن استخدامها متعلقة بحرية الأديان وحرية الاعتناق سواء دخولاً في الإسلام أو خروجاً منه، وذلك بما أصرت عليه من تسليم السيدة أسلمت إليها بما أصرت عليه من عدد من أجهزة الدولة، وعزلها عن الناس، فجاء مسلك الإدارة الكنسية هذا يتناقض معها، السانقة ويناقض مطلبها السابق.

ومن هنا تنكشف أن الإدارة الكنسية التي تعمل في مثل هذه المسائل يعجزها حسن التقدير وحسن الفهم للأوضاع والظروف، وهذا في حقها يحدث لأن الإدارة الكنسية عزلت نفسها فيما عزلت عن الدين من الأقباط الذين يتبعونهم من مجتمعهم ويحيون الحياة المشتركة مع مشاركتهم في الوطنية، حياة ديمومية مستمرة ومنظمة في الأعمال الفنية والفكرية وغيرها ويكتسبون من ذلك حساً مشتركاً ووعياً مشتركاً وثقافة مشتركة. ونحن اليوم لا نجد أمثالاً مرفصاً كان ولا يصح واصف ولا مكرم عبيد ولا إبراهيمي فرح. إن انفراد الإدارة الكنسية بالأمور عزلها عن رجالها أنفسهم وعن خبراتهم وتوازنتهم.

ومساءً خامسة، إنشا في ذات الوقت الذي عرفناه فيه موضوع السيدة وفا قسطنطين، سر علينا موضوع «الزواج الحمراء» واختفى في طيات ما لا نعرف من خفايا. إن السيدة ماري عبد الله زكي زوج القس لوسيف عزير بكنتسبة الزاوية الحمراء، قالت المصادر الكنسية أنها غابت عن منزلها اختلافاً مع زوجها ثم عادت إليه، ولكن كثة مصادر أخرى تقول أنها كانت أسلمت وأعلنت إسلامها، وقال بعض أنها أشهرت إسلامها أمام شيخ الأزهر. وهذا أمر يتعين أن نتكشف تفاصيل وقائعها لنعرف الحقائق ويمكن التصديق بأننا نطالع العلاج بما يؤمن أفراد الناس ويرفع عنهم الإصر والأغلال وبما يحفظ على الجماعة القومية ولا تتعرض تماسكها بفرض الإصر ولا تتعرض وبالتقدير الصحيح للأوضاع واتوازنتها. ٩

الزواج والميراث وغير ذلك. وكل هذه الأمور يمكن أن تثبت بطريقة أخرى غير الشهاب لإدارة الأزهر وإقسام الشرطة. لأن الأمر هنا أمر إثبات واقعة تثبت بكل طرق الإثبات. ولذلك فإن القول بأن السيدة وفا قسطنطين في بياها أم الخيرية العامة بحضرة محاسن الإدارة الكنسية. القول بأنها لم تكن أسلمت بعد لأنها لم تشر إسلامها، هذا القول غير صحيح. لأن إسلام المسيحية يتم حسبما سبق ذكره وإثبات الأمر جرى بما أثبتته المحاضر وشاع بين الناس. ولا نعرف حالة شاع فيها التحول إلى الإسلام يمثل ما شاع في هذه الحالة. وكان سبب الشيوع هو مسلك الكنيسة تجاه الأمر الذي جعلت منه مسألة سياسية، وما يتطرح على الرأي أو رأي أي كنيها يمثل هذا الموضوع. ومن ثم فلا يقال إن إسلامها لم يتم. إن كل ما يمكن أن يقال أنها عادت إلى المسيحية مضطربة ومكرهة. وثمة شواهد وقرائن تثبت بذلك. إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان، صدق الله العظيم.

ومساءً ثالثة، وهي إن الإدارة الكنسية في إثارتها هذا الموضوع، وفي إثارتها الصراع السياسي بشأنه، كسبت وخسرت، كسبت استقلالها السيدة وفا قسطنطين وسيطرتها المالية عليها، وكسبت ما تشييه من ذلك لدى من أتباعها عن أن له يكون أبداً بعيداً عن سيطرة الإدارة الكنسية. وإن يدها سطوتها أينما كان، وكسبت تأكيد هيمنتها على جماهير الأقباط، ولكنها خسرت قدرها كقول كبيراً ولكن القول قدرها معتبراً، من مشاعر المودة والتراحم وحسن الظن في إطار الجماعة الوطنية، وبنت لدى الجميع متحيزة تبني الأفراد والعزلة والسيطرة، وتبني التمييز ولا تكون ذات حقوق متفردة عن حقوق الآخرين. وهي لم تستدع المشترك الوطني العام في شأن ما تواجهه، مما تبدو به إدارة الكنسية متسببة عن هذا الاستدعاء، وهذا نظير قصير المدى فيما أظن، لم تلحقه أبداً في عهد الإدارات

مزعة المدير، حتى يوجد لها مركزاً قانونياً، أو وظيفة وصفة تقيس بها في المدير تحت سيطرة «رب العمل». وإن الشائعات في البداية ذكرت أنها مخطوفة رغم أنها كانت ذهبت إلى سفينةها لتقيم عندها بإرادتها الحرة. ويقال إن أنها تحررت رغم أنها في الواقع خلقت يوم سلمت إلى الكنيسة رغماً عنها. ولا تزال على وضعها هذا، فهل مطلوب منا أن نقتنع أنها عندما كانت حرة كانت مخطوفة، وعندما خلقت فعلاً ورسمياً وأماناً جميعاً صارت حرة.

ومساءً ثانية تتعلق بشهر الإسلام أو شهر تغيير الدين، إن الإنسان يعتنق الإسلام بنطق الشهادتين والتصديق بما يقضيه ذلك من إيمان بالغيب وما عرف من الدين بالضرورة. أقصد القول بأن لا يوجد في هذا الأمر شروط شكلية، ولا يوجد قانون ينظم أمر كنيها ولا يمكن فيما أظن أن يصدر قانون يبطل ويصح ما هو ملحق ومرتبط بالظمان والقلوب مما تبنى عنه الجوارح ويتخلف به للسان وتعرفه العامة من أهل الجماعة ويتعاملون به.

إلى الإدارة المختصة بالأزهر وحتى لو لم يذهب إلى القضاء الشرطة وجهات الحكومة. والأزهر والحكومة يوزانها ومصالحها وإقسامها ليست واسعة بين المرء وبينه، وليست أي منها ياباً للدخل أو الخروج من دين إلى دين. وإن كل ما يتصل بالإجراءات الخاصة بإبلاغ قسم الشرطة والإدارة الخاصة بالأزهر، هو مسألة خاصة بالتعديل في السجلات حتى يعامل الإنسان بوضعه الجديد من حيث العلاقات والمراكز القانونية التي تتصل بها الوضع. مثل البطاقة الشخصية والتشخيص وما يكتب بها عن الديانة والحقائق المرتبة الخاصة بحالة

مطافئ، أي أن الدولة لا تملك أن تتنازل عن سيادتها وتقبله. والنقطة الخامسة الأكثر خطورة. إن الإدارة الكنسية في طلب أي من أصدرت القرار الأصلي، وأن أجهزة الدولة قامت بالتنفيذ، وإن عبطه المطريرين حسبما سبق، وإنه إنارة، وبعد تمام حصول ما يريد. أعلن طلبه أن يكون ذلك أمراً مستمراً، فأى قبضتي يريد أن يغير دينه يكون على الدولة أن تقبض عليه وتسلمه للكنيسة، ثم لا نعلم من بعد عنه شيئاً، إلا حسبما يقول رجال الكنيسة. ومن هنا فذهب لماذا هذا الهجوم الكثيف الذي يشنه رجال من رجالات الكنيسة على أجهزة الأمن وأجهزة الإدارة المحلية وأجهزة أخرى في الدولة، قد يكون في ممارسات هذه الأجهزة لسياسات تعليمها، ولكن سياق الأحداث يظهر أن شمة في هذا الهجوم المتتابع المستمر سنون طويلة، فيه نوع من صراعات الإدارة لتسليم أجهزة الدولة وغيرها من أجهزة التنفيذ، فنحن أمام إرادة سياسية داخل الكنيسة تجهد من أن تجد لنفسها مجال إعمال وأن توسع أسامها هذه المجالات، إزاء الدولة وسلطانها، ولحال إن لم تلتز إرادة الدولة لأحد من صر إلى لا للكنيسة. هذا التناقض الحسني السابقة تتعلق بمعلقة الإدارة الكنسية بالدولة وبالنظام القانوني القائم.

[٧]

بقيت مسائل تتعلق بعودتها إلى المسيحية وبالعلاقة بين الكنيسة والجماعة الوطنية في مصر مما ينتج عن مسلك الإدارة الكنسية وأدركها نابعاً، فإن القدر المتين مما عرفناه بما يشبه التنازع فيها نشر، إن السيدة وفا كانت صارت مسلمة، وإنها سلمت للكنيسة وهي على إسلامها. والشر الذي يفتن أيضاً أنها لم تكن في إسلامها مكرهة ولا مفارقة ولا ثبت ولا ظهر شيء من ذلك، رغم شنيع الاتهامات والشائعات التي أثارت أخيراً حولها. ولا يصح في الأذهان القول بأنها أكرهت على الإسلام وهي تحيا في بيتها المسيحية الكاملة زوجاً وأولاداً وأسر وأهل دين، ثم يقال إن إزادتها تحررت ولم تجبر على العودة إلى المسيحية، بعد أن سلمت إلى الكنيسة مضبوذاً عليها واعتقلت داخل الكنيسة في بيت التكريس ثم في المدير، ولم يؤذن لها بعد بأن تتصل بأحد من خارج إطار القرار البابوي.

وعل مطلوب منا أن نقتنع بأنها أسلمت مكرهة، وأنها عادت للمسيحية يحض إزادتها، ثم في الآن في دير الأتيا يشوى بوادي الخظرون، ومدى علمنا أنه دير للرهبان وليس للرهبانيات، وإن عبطه المطريرك عنها مشرفة زاعية على



هتافات الشباب
في مقر البطيريركية
بطلب التدخل الأمريكي أمر يتعين
أن تقتلق منسبه
البطيريركية ورجالها



الرجل الذي لا يتغير!

هنري سيجمان



■ حين أعلن أريئيل شارون لأول مرة اعتزامه، تلك الارتباط، من جانب واحد بغزة وتفكيك أربع مستوطنات معزولة شمال الضفة الغربية، اعتقد الكثير من المراقبين أنه في سبيله لتحقيق توقعهم بتحويله نفسه عاجلاً أم آجلاً إلى ديجول الإسرائيلي واتخاذ قرارات صعبة تنهش في آخر الأمر الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. وحتى هؤلاء الذين كان لديهم شك في احتمال حدوث مثل هذا التحول، وكانوا يعتقدون أن شارون يقصد بالانسحاب من غزة خلق فعالية تؤدي في الوقت ذاته إلى مزيد من الانسحاب من الضفة الغربية، إذ أنه يقضي بذلك على خرافة أن أي سعي لتفكيك المستوطنات سوف يجبر البلاد إلى حرب أهلية. ولهذا السبب حظيت مبادرة شارون بالترحيب، ليس فقط من حكومة بوش، التي لم تجد أن شارون قد اتخذ أي إجراء من القضاة بحيث لا يستحق التأييد الأمريكي، بل كذلك من الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة وروسيا (الأعضاء الثلاثة الآخرين في اللجنة الرباعية التي شكلت للإشراف على تنفيذ «خارطة الطريق»).

ما عزز تصور أن يتحول المهندس الرئيسي لمشروع المستوطنات إلى قائد لحملة تدعو إلى إلزائها هو ذلك الصدع الذي يزداد اتساعاً بين شارون والكثيرين من حزبه الحاكم الليكود، الذي رفض بشدة اقتراحه طرح الانسحاب من غزة للاستفتاء في ٢ مايو. وقد أقرت اللجنة المركزية لليكود شارون مرة أخرى في ٣١ يوليو بالتصويت ضد اقتراحه إدخال حزب العمل في الحكومة لخلق أغلبية في مجلس وزرائه تؤيد الانسحاب (صوتت اللجنة لمصلحة القرار في ٩ ديسمبر). وفي ١١ أكتوبر انضم كثيرون من حزب شارون الحاكم إلى المعارضة السياسية تأييداً لتحرك شكلي لرفض خطاب «حالة الأمة» بمناسبة افتتاح الدورة السنوية للبرلمان الإسرائيلي. وكانت تلك هي المرة الأولى في تاريخ إسرائيل التي تصوت فيها الكنيست الإسرائيلية للتعبير عن عدم الثقة في خطاب الافتتاح الذي يلقيه رئيس الوزراء. وفي أعقاب ذلك صوتت أغلبية واضحة من أعضاء الكنيست في ٢٦ أكتوبر تأييداً لحظمة شارون، لتطغى بذلك على ممارسته داخل حزب الليكود.

أقنع استعداد شارون للمخاطرة برأسه للوزارة ولانقسام حزبه حول قضية الانسحاب من غزة الكثيرين في

بترتيب مع:

The New York Review of Books

ترجمة: أحمد محمود

أبعد الجهات احتمالاً بأنه أدرك أحيرا أنه لا يمكنه محو حلم الفلسطينيين القوي بالعودة، كما جاء في مجلة «دي إيكونوميست»، وليس المجلة «العالم» التي اعتادت تصوير مستر شارون على أنه شيطان، إلى أن يتمنى له التحال.

ويطالب لسام الكاتب الصحفي أفرام تال، هل يتخلص شارون يوماً من الصورة الشيطانية المصنفة بـ ٩٤ تحت حين يقرر التخلي عن الإجراءات لا يتحلى أحد قبل أنه قادر على ذلك، حيث إنه يكلف ببساطة ضد قوى متشبهة بأرئها داخل حزبه وتحاول القضاء عليه. ومارال شارون يصور على أنه سياسي مارك يهود نوابه الحقيقية باستمرار.

استشهداً بمقال كتبت قد نشرته في صفحة الرأي بصحيفة «إيرترانشونال هيرالد تريبيون»، انتقد تال «سيحمان» ومن على شاكلته، لعدم فهمهم مقدار ما طرا على شارون من تغيير. وأكد تال أن «شارون يدرك الآن أنه لكي تظل هناك دولة يهودية، لابد لإسرائيل من فك ارتباطها بأكبر عدد ممكن من الفلسطينيين»، وهو ما يعني التخلص من غزوة ومعظم الضفة الغربية.

بناء على ما قاله مراقبون كثيرون من هذا النوع، فليس شارون وحده هو الذي تغير. بل كذلك الحزب الفلسطيني، وهم يشيرون إلى «الحرس الجديد، الفلسطيني الذي يتحدى من يسمون «الابواب» (جمع أبو الدئين جاءوا من تونس مع ياسر عرفات، هؤلاء القادة الذين ينظر إليهم الجيل الشاب من الفلسطينيين الذين حصلوا على مقهم في أن تسمع أصواتهم، بالمشاركة في الانتفاضة الأولى ويقبهم في السجون الإسرائيلية. إلى أنهم قسدة وعشرة وانتهت مقالة «دي إيكونوميست»، التي أشرت إليها إلى أن هذا الجيل الشاب من الفلسطينيين تعلم أنه «لا يمكنهم إزالة إسرائيل بالقوة».

ما يفسر له أن هذه الأراء تقوم على قراءة مغلوطة لكل من الواقعين الإسرائيلي والفلسطيني، فشارون لا يوشك أن يوافق على شروط الحد الأدنى الخاصة بدولة فلسطينية يمكن أن تقوم. ذلك أن إصراره الشديد على تحاشي التعامل مع الفلسطينيين، ولو نتج القوضي في أعقاب الانسحاب الموعود من غزوة، وتوسيع النشاط الاستيطاني في أنحاء الضفة الغربية، وهو ما زاد في أعقاب خطط انسحابه، يدحض مثل هذا التفكير الذي توحى به الأمانى بأنه تغير.

أظهر أحدث تقرير من مراقبة المستوطنات في حركة السلام الآن أن أعمال التهديد وبغية الهبة التحشيد تجري في ٤٧٤ موقعا استيطانياً في الضفة الغربية وغزة، بما في ذلك خمسة موقعا تهدد فيها التوسع أو التشييد الجديد حدود المستوطنات، وذلك انتهاكا للوعود التي قدمها شارون

للكريسيش يوش فيحلول نهاية شهر أغسطس كان هناك حوالي ٣٧٠٠ وحدة سكنية تحت الإنشاء في الأراضى المحتلة، بل جرى إعداد الأرض لإقامه الآلاف من المنازل الأخرى، حتى في مواقع جديدة، بالرغم من اعتبار أنه سيتم الجلاء عنها ضمن خطة فل الأراضي، ويساعد ما يحري تنفيذ الان في الوقت الراهن من تنمية وتوسيع للمستوطنات الرئيسية في الضفة الغربية على تقسيمها إلى كائونات فلسطينية غير متجاورة، هي في واقع الأمر رانستويات يمكن أن يعيش فيها الفلسطينيون تحت الرعاية الإسرائيلية دون أن تكون لهم دولة موحدة خاصة بهم.

استمرت حكومة شارون في نزع ملكية الأراضي في الضفة الغربية، بدعوى أنها «أراضى الدولة»، لتوسيع المستوطنات بناء على معلومات من الإدارة المدنية الإسرائيلية، ومنذ بداية ٢٠٠٤، أعلن أن حوالي ٢٢٠٠ دونم (٥٥٠ هكتار) في الضفة الغربية أراضي الدولة مقابل ١٧٠٠ دونم خصصت لهذه الغرض في العام السابق، وكما أشارت مراقبة المستوطنات في حركة

السلام الآن، فإن هذا التخصيص يسمح للحكومات الإسرائيلية دالما بإقامة المستوطنات وتوسيعها، مما يمكنها من الالتفاف حول تعهدها بعدم نزع ملكية أية أراض فلسطينية أخرى من أجل بناء المستوطنات



يرى شارون أن الانسحاب من غزة ورقة الثمن الذي لابد لإسرائيل أن تدفعه إن أرادت استكمال تحويل الضفة الغربية إلى كائونات تخضع لميطرة إسرائيل. ومن المثل ذلك تحويل غزة إلى نموذج في السبب في عدم استحقاق الفلسطينيين أن تكون لهم دولة مستقلة، وفي ظل الشروط التي أحققها شارون بفك الارتباط، سوف توجد غزوة، وهي مساحة تساوي ١٢٥ بالمائة من فلسطين زمن الانتداب وتضم ٣٧ بالمائة من السكان الفلسطينيين في المقام الأول باعتبارها سجنًا كبيرًا معزولاً عن العالم، بما في ذلك جيرانها المباشرون، أي مصر والأردن

والضفة الغربية وسوف يحرم سكانها من حرية الحركة اللازمة لأي أعمال للأنشطة الاقتصادية والاستثمارات الخارجية. ويسود المقصد بامرال شارون على أن يكون الانسحاب من غزة مجردة لإسرائيلية بالكامل، ولا يكون هناك تفاوض من أي رعاء فلسطينية هو خلق حالة من الموصى في غزوة تمكنه من القول: «انظروا إلى هؤلاء الناس الغريبين والصمد واليهاديين الذين يجب أن نتجاد معهم، إنهم عاجزون عن إدارة أي شيء بأنفسهم»



حتى وقت قريب كان كثيرون يرفضون مثل هذه القراءة القاسية لتوايا شارون باعتبار أن فيها إقترار، إلا أن هذا مستحيل الآن، ذلك أن الرعاء أصدقا شارون وتلامذه، وهو دوف فايسجلال الذي شارك عن قرب في صياغة وتشبيد سياسات شارون باعتبارهم كبار مستشاري رئيس الوزراء ورئيسا لهيئة الأركان وصف



إصرار شارون الشديد على تحاشي التعامل مع الفلسطينيين- ولتوسع القوضي في أعقاب الانسحاب الموعود من غزوة- وتوسيع النشاط الاستيطاني في أنحاء الضفة الغربية، وهو ما زاد في أعقاب خطط انسحابه، يدحض مثل هذا التفكير بأنه تغير



بتفصيل شديد مضمون فك الانسحاب من غزوة وغرض شارون منه. فقد أكد بصراحة في مقابلة مطولة أجرتها معه صحيفة «ها آرتس» أن الغرض من فك الارتباط، الذي أقتنع به هو وشارون الرئيس يوش ومجلسي الكونجرس لإقراره، هو منح أية عملية سلام، وإلقاء خارطة الطريق الخاصة ببيتون في غيابات النسيان، وإعاقبة قيام دولة فلسطينية من أي نوع من الواضع أن فايسجلال كان يحث من بعد إسرائيليين لا يزالون يعتقدون حتى يوم المواجهة التي أجريت معه، أن الانسحاب من مستوطنات غزوة وفيلين من مستوطنات الضفة الغربية الذي اقترحه شارون قد يؤدي إلى مزيد من الانسحابات في الضفة الغربية، وهي مغولة زوج لها شيومن بيرس رئيس العمل الذي ينظر على أحر من الجمر دعوة من شارون للانضمام إلى حكومته (وقد تلقاها). ويؤكد لنا فايسجلال أنه بناء على خارطة التي وضعها شارون باستئناف عملية السلام فإن الفلسطينيين سوف يتحولون إلى

كانتات وهمية، قبل أن يحدث هذا فايسجلال، لقد أزيل بالفعل هدد الرعمة المسماة بالدولة الفلسطينية بكل مستلزماتها من إجندتها وكل هذا ميماركة من الرئاسة (الأمريكية) تضيق من مجلسي الكونجرس وتحسب أن يكون هناك من قد لا تزال لديه إوهام فانه يفسر فك الارتباط المقتر بأنه «الواقع فورالديهايد» ذلك أنه يفرر الكمية اللازمة من العورالديهايد ويدلح فلن تكون هناك عملية سياسية مع الفلسطينيين، وكما أشار افرام شيخ عضو الكنيست، وكما حزب العمل، فانه، لابد من الإشارة إلى أن العورالديهايد هو السائل الذي تحفظ فيه الأجسام الميتة

من الواضع أن الأشخاص الوحيدين الذين لا يزالون غير مرتين لذلك، رغم توضحات فايسجلال شديدة التحديد، هم المسؤولون في واشنطن وبعد اصدار مكتب شارون لبيان متوقع ومضلل تماما بأنه مارال ملتزمًا بحارطة الطريق، أعلن على الفور متحدت باسم الخارجية الأمريكية عدم شك هذه الإدارة

في التزام إسرائيل المستمر بخارطة الطريق ودية، الدولتين الخاصة نالريش يوش. بل إنه «ليس هناك ما يدعو إلى هذا الشكل ليس ما يهدد الإنشاء أكثر من غير بشأن هذا لكنه هو خداع شارون فيما يتعلق بأعراض فك ارتباطه أو ترويج الإدارة الأمريكية إنشاء التخابات الرئاسة، بل هو بالآخر تلك العجرفة التي تسمح لمايسجلال بالتهاوى بعش إسرائيل وذاعها دون خوف مما قد يلحقه ذلك من ضرر بخطة شارون، حيث إنه وشارون متكاسر من وجود موش والكونجرس في جيبهما.

والشيء غير المؤكد هو لماذا وقع بوش خطابته المؤرخ في ١٤ أبريل الذي وضع فايسجلال مسودته، ليغطي بذلك موافقة أمريكا على خطة شارون لدخول القضية القومية الفلسطينية بأصاءا الشريعة على المستوطنات الإسرائيلية هل فعل ذلك انطلاقاً من السداجة الشديدة، أم لأنه توافقاً مع خداع شارون وهو يعلم أنه يفعل ذلك؟ حتى ينون إجراء مقابلة

الرجل الذي لا يتغير؟



بـ الواقع الجديد، على الأرض (الذي خلقته إسرائيل من جانب واحد) في أي اتفاق للسلام؟

إلا أن هناك سبباً آخر لذلك الغضب الشديد الذي يميز رد فعل بعض المستوطنين المتطرفين وحاخاماتهم (ومن بينهم هؤلاء المعروفون داخل إسرائيل بشباب قسمة القتل، الذين شجعهم شارون حين كان وزيراً للحاربية بعد التوقيع على معاهدة واي ريفر عام ١٩٩٨ بين إسرائيل والفلسطينيين، التي نأست على إعادة نشر، تدريجي للوقائع الإسرائيلية في الضفة الغربية. على اغتصاب أكبر عدد ممكن من أهم التلال في الضفة الغربية). وكما أشار بعض الرقابين الإسرائيليين، فإن هناك دولتين بالفعل بين نهر الأردن والبحر المتوسط: وهما دولة إسرائيل ودولة الفلسطينيين اليهود في الضفة الغربية وغزة، وفي دولة المستوطنين هذه، لا تطبق الأعراف والقوانين الإسرائيلية، وتُسنّ الشرطة الإسرائيلية وقرارات الدفاع الإسرائيلية للمستوطنين إلى حد كبير، ونادراً ما يلقى القبض على المستوطنين الذين يهاجمون اضطراباً للمزارعين الفلسطينيين أو يقتلونهم ويغتصبون أملاكهم وأراضيهم الزراعية، ثم يفلتوا في كل الحالات تقريباً من العقاب.

نجدت دولة المستوطنين هذه في تجنيد شبكات من المؤيدين داخل دولة إسرائيل، بما في ذلك أعضاء مجلس الوزراء الذين يرأسون وزارات عديدة شملهم سرّاً وطريقة إجرامية، ودون أية محاسبة علنية، بمئات الملايين من

مختلون على ما إذا كان ينبغي السماح للفلسطينيين بتسمية ترتيب أشبه بالفصل العنصري يتكون من ثلاثة كانتونات منفصلة ومعزولة بالصفا العربية دولة أم لا. ذلك أنه بينما يؤكد شارون أنه يمكنهم تسميتها كذلك، ولا فإن الولايات المتحدة سوف ترفض الترتيب، يقول كثيرون في حرب الليكود. ومنهم بنيامين نتنياهو، إنه في حال منح إسرائيل الفلسطينيين الحق ولو في إقامة دولة اسمية، فسوف يتغير هذا حركة ديناميكية تجاه السيادة لم يمكن لإسرائيل السيطرة عليها.

ورغم الخطاب السلمي والعنيف الذي يوجهه معظم قادة حركة الاستيطان لشارون، فهم يهيمون أن ما يدعوه إليه شارون من فك ارتباط بخرق من جانب واحد مقصود به في الواقع ضمان سيطرة إسرائيل الدائمة على الضفة الغربية: إلا أنهم يحشون كذلك ما يأمل فيه اليسار الإسرائيلي: وهو أن إزالة أية مستوطنة سوف يرفع الحظر الذي طالما كان موجوداً ويفتح الباب أمام إزالة المستوطنات حتى في الضفة الغربية. بل إنهم لا يتفقون مع شارون على كون هذا الانسحاب ثمناً لا بد لإسرائيل أن تدفعه. وهم مقتنعون بأن عدم موافقة الولايات المتحدة على استمرار ضم إسرائيل للأراضي الفلسطينية، حتى في الضفة الغربية، لن يحدث فرقاً كبيراً. ذلك أن القلبية في التهديد لا، الواقع على الأرض. ثم ألم يقل الرئيس بوش في خطابته إلى شارون في ١٤ أبريل أن الولايات المتحدة تعترف بأن على الفلسطينيين الاعتراف

هايحلل الموضع، كال لا بد أن يكون واضحاً منذ وقت بعيد أن القيادة الفلسطينية الجديدة، التي كان شارون يدعو إليها، لن توافق أبداً على أي اتفاق سلام أي على ذلك الترتيب، المؤقت، الذي يدع إسرائيل تسيطر على الضفة الغربية ويرجع قيام الدولة الفلسطينية عقوداً، بينما تستمر إسرائيل في ضم المناطق المحتلة وما تبقى إلى كانتونات معزولة

لا أساس للدعاء الإسرائيلي الذي يروج له يهود باراك، والذي يكون ميسر، بأن هدف الجيل الفلسطيني القديم هو القضاء على إسرائيل. ذلك أنه لا الحرس القديم ولا الحرس الجديد يؤمن بهذا الهدف، فهم يدركون أن ذلك أمر لا يمكن تحقيقه بحال من الأحوال (إلا أن المجموعتين سوف تقارنوا تقديم تنازلات إقليمية لإسرائيل، ما لم تكن مصحوبة بمقايضة عادلة للأراضي على جانبي حدود ما قبل ١٩٦٧ يتفق عليها الطرفان في مفاوضات السلام. وليس هنالك أي فرق في هذه المسألة بين الأيوها، ومن يتحولهم.



يطالب من يرتبطون بالحرس الجديد بوضع حد لفساد قادة فتح من الزمن القديم الذين يسيطرون على السلطة الفلسطينية، كما أنهم يطالبون القيادات الجديدة التي يمكنها صياغة منهج إستراتيجي مترابط للكفاح من أجل إقامة الدولة الفلسطينية، وهو الشيء الذي عجز عرفات عن تقديمه. أما إذا كان الحرس الجديد سينجح في إيجاد تلك الإستراتيجية أم لا، وإذا كانت تلك الإستراتيجية ستقوم على العنف أم ستبنيده، فأمر يصحده إلى حد كبير استبعاد إسرائيل لأن تؤكد للفلسطينيين أن الدولة القبلية للتطبيق يمكن تحقيقها بالوسائل غير العنيفة وهذا التأكيد لا يقدمه اقتراح شارون فك الارتباط مع غزة من جانب واحد، فالواقع هو أن هناك زمراً على عاقبة قيامها، كما يعلم الجميع من مقابلة هايحلل.

[٢]

أسره فهم هجمات اليمين على شارون. فشارون ومنصفوه اليمينيون

الدولارات لتوسيع المستوطنات والبنية التحتية. ولا يعترف هؤلاء المستوطنون بحق دولة إسرائيل ومستوطنها المتخفيين في التدخل في حكمهم الذي يوحى به إيمانهم بصحة ما يقومون به في دولة المستوطنين هذه. ويرى هؤلاء قرار شارون تفكيك المستوطنات في غزة تحدياً لسيادتهم.

رغم ذلك فإنه مهما كانت خلافات شارون ومنصفيه من الليكود بشأن دلالات الألفاظ والتكتيكات. وحول ما إذا كان سيُسمح بالخروج من غزة أم لا، فإنهم يشتركون أساساً في تطابق فهمهم لعلاقات إسرائيل مع الشعب الفلسطيني ومع المناطق. ولم يصف أحد هذا الفهم موضع أكثر من وصفه به هزوي أراد مستشار السياسة الخارجية حين كان نتنياهو رئيساً للوزراء، ويعمل الآن في معهد العلوم المتكاملة في هرتزليا الذي يدعى فيه شارون وروءساء المؤسسة الأمنية بإسرائيل في اجتماعاته السنوية ببعض أهم تصريحاتهم. وفي الاجتماع الذي عقد في شهر ديسمبر من عام ٢٠٠٣ أعلن شارون اعتزامه اللجوء إلى إجراءات من طرف واحد سوف تخدم احتياجات إسرائيل.



في مقال في صحيفة «ها أرتس» سخر أرا من مقولة إنه بما أن اليهود سوف يصبحون القلبية في فلسطين بسبب ارتفاع معدل المواليد بين الفلسطينيين، أرفق عليهم إما أن ينسحبوا من المناطق أو يفرضوا نظاماً للفصل العنصري على الفلسطينيين، إنهم أرادوا الحفاظ على الهوية اليهودية للدولة. وقد كتب يقول إنه «طوال العقد المنصرم كانت الحكومات الإسرائيلية كافة تنفذ كل ارتباط سياسي من الشعب الفلسطيني في المناطق. وقد مضى وقت طويل على الجلاء عن مدن وبلدات الضفة الغربية. ولم يعد عند الفلسطينيين من النهر للبحر نهاساً مع إسرائيل باعتبارها دولة ديمقراطية يهودية».

الواقع أن حكومة جنوب أفريقيا العنصرية، فكت الألفاظ، كذلك عن الباتوستانت التي اقتاحتها وطناً للأغلبية السوداء. ولا يبدو أن أرا ومن يؤيدون سياسات شارون لا يدركون أو لا يفهمهم، أن فك ارتباط، جنوب أفريقيا عن وجه الدالة هو ما ميز نظامها العنصري، وأن فك الارتباط سوف يفسر



يرى شارون أن الانسحاب من غزة هو الثمن الذي لا بد لإسرائيل أن تدفعه إن هي أرادت استكمال تحويل الضفة الغربية إلى كانتونات تخضع لسيطرة إسرائيل





ام في المجتمع الدولي. ولكن الإحباطات الفلسطينية لا تخص المشروعية على سياسات شارون. أو سياسات حكومة نوتس. فلفلسطينيين الحق في إقامة دولة في الضفة الغربية وغزة ليس لأنهم اتبعوا معايير معينة حددها شارون. ذلك الرجل الذي يأمل في الاستيلاء على جزء كبير من أرضهم. أو لأن يوش لديه، رؤية، خاصة ندولتين تعيشان جنباً إلى جنب، بل بناء على مبادئ تقرير المصير، لقومي المصولة عالمياً.

سبق أن اعترف المجتمع الدولي بتطبيق هذه المبادئ في عرب فلسطين وأقرها حين تبنت الأمم المتحدة القرار الذي يقسم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية - في عام ١٩٤٧. وحق الفلسطينيين فيما أكد المجتمع الدولي في ذلك القرار باعتباره إرثاً لهم لم يلفه سلوك عرفات السيئ أو فشل مؤسسات السلطة الفلسطينية، التي يحذر الإشارة إلى أنها وفرت حرية ومحاسبة أكبر بكثير مما هو عليه الحال في كثير من الدول العربية المجاورة.



من المؤسف أن ما كشف عنه هابسجلاس بشأن دوافع شارون للاستحباب من غزة وهو ما تويع إلى أن الفلسطينيين ليس لهم شريك إسرائيلي في السلام. سوف يكون له أثر ضعيف على إدعاء إسرائيل المستمر بعدم وجود شريك فلسطيني يمكنهم التفاوض معه. وربما لن يكون لتصريح هابسجلاس أثر مسئولى الاستحبابات والأص في إسرائيل من أن استاصه سبتمبر ٢٠٠٠ لم يحبط لها عرفات وأما كانت ثوبت غصب فلسطينية عموية تبنيها لها قبل وقت طويل من حدودها.

حذر عامي يعالون رئيس الشين بيت الإسرائيلية في عهد يهود باراك (وقبل ذلك رئيس البحرية الإسرائيلية) رئيس الوزراء باراك من أن تزايد المستوطنات الذي لا قيد عليه في ظل حكومته وإهماله لعملية السلام الفلسطينية لمصلحة التوصل إلى اتفاقية سوية (نعر) الآن من مذكرات الرئيس كلينتون ودينيس روس أنها فشلت لأن باراك تراجع عن الاتفاق، وفوق هذا وذاك، خلق ما على منه الفلسطينيين في المناطق من شذات ومهانة

موفقاً متفجراً لم يكن
١٣ و صحاب بطر

دون انحرافات أو خداع ويهدد الطريقة كان يمكن بناؤه بسرعة ودون عواقب قانونية واضرار سياسية. باعتباره سوريا. وليس حدوداً سياسية. إلا أن مخططي خط سير السور. من رئيس الوزراء فما أدنى لفصل محاولة خداع العالم. فقد فضلو له السياسة على التركيز على الأمن.

وكتب شلومو جازيت، الجنرال المتقاعد الذي كان مسئولاً من قبل عن الاستخبارات العسكرية بقوات الدفاع الإسرائيلية، في صحيفة، معاريف، فلنواجه الحقائق. لقد حولنا السور الذي هو شديد الأهمية. من سور أمني إلى سور سياسي. وهذا هو السبب في هزيمتنا الشديدة. ما قبل في لا هي لم يكن هناك احتياجات إسرائيل الأمنية بل إنه يتعلق بحق إسرائيل في أن تقيم مستعمرات يهودية سياسية في عمق يهود والسامرة

[٣]

من الواضح أنه لم يكن هناك شيء أكثر مباشرة في جعل شارون يصمم على تحاشي أية عملية سياسية من الإرهاب الفلسطيني الموجه إلى المدنيين الإسرائيليين. فقد استغل شارون الإرهاب وإخفاقات عرفات القتالة في بناء المؤسسات الفلسطينية للشتيك في المشروع القومي الفلسطيني برعته وللنقاء على من سوا إلى مساعده على النجاح سواء أكانوا داخل إسرائيل

مواجهة إرهاب الشعب العاضب الخاص احتلالها

ليست فكرة أن الطريقة الوحيدة لمحاربة الإرهاب هي استمرار الاحتلال ما تؤمن به أعداد كبيرة داخل إسرائيل بشأن أمن البلاد ويتناقض مع المنطق والتجربة. فمنذ حوالي عشرين عاماً كانت غالبية كبيرة من الإسرائيليين تؤمن بأن مصالحتها الأمنية الأكثر أهمية تقتضي منهم البقاء في جنوب لبنان. وهم يؤمنون بالشئ نفسه فيما يتعلق بوجودهم في مرتفعات الجولان. ولكن أمن إسرائيل على طول الحدود الشمالية تحسن من انسحابها من جنوب لبنان. ولم يزد سؤده. رغم حقيقة أن حزب الله استطاع التباهي بأنه طرد قوات الدفاع الإسرائيلية الجبارة. ومؤخراً قال موسى يعالون رئيس هيئة أركان قوات الدفاع الإسرائيلية إنه. شأنه شأن أسلافه الثلاثة من رؤساء هيئة الأركان. يستعد أن أمن إسرائيل لن يصار يتثنى أن أعيدت الجولان إلى سوريا.

الإسرائيليون مقتنعون كذلك بأن دخول جدار إسرائيل المازل عمق في الأراضي الفلسطينية ضروري لامتهم. وأن رأي محكمة العدل الدولية الأخير بعدم قانونيته وضرورة إزالته يمكن تصديره فقط من خلال ما يزعمونه من معاداة المحكمة للسامية. إلا أن داحوم بارنيا عرض في مقاله الأخير في "يديعوت أحرونوت، الرأي العاكس الذي يؤمن به كثيرون من أفضل خبراء الأمن في إسرائيل. فقد قال إن الجدار المازل كان لابد أن يقوم على الخط الأخضر.



لا أساس للدعاء الإسرائيلي الذي يروج له يهود باراك. وذي إيكونوميست. بأن هدف الجيل الفلسطيني القديم هو القضاء على إسرائيل. ذلك أنه لا الجرس القديم ولا الجرس الجديد يؤمن بهذا الهدف



عن نتيجة مشابهة بالنسبة لإسرائيل. إن هي أصدرت على البتاع نموذج جنوب أفريقيا تنسكها جزء كبير من الضفة العربية وكتمة، البالي إحدى مفارقات التاريخ أن اليهود.

سواء في الولايات المتحدة أو أوروبا أو إسرائيل، الذين شاركوا بصورة كبيرة جداً في الكفاح من أجل حقوق الإنسان العالمية والحرثيات المدنية مضطرون الآن لتأييد سياسة الحكومة الإسرائيلية التي تهدد بتحويل إسرائيل إلى دولة عصرية. ذلك أنه إذا حول شارون انسحابه الموعد من غزة إلى وجود في الضفة الغربية لا سبيل إلى إخراجه منها. وهي الضفة التي يصير كثير من المراقبين على أن بلوغها قد تحقق. فمن المؤكد أن تضمن سياساته إلى نظام عصري.

هذا الاحتمال كابوس لا يقتصر الشعور به على مثقفي شارون بين اليسار. بل نجد أن اليميني يهود أورلت. نائب رئيس وزراء إسرائيل. قد حذر من دولة الفصل العنصري هي الاتجاه الذي تسير فيه الدولة اليهودية. ومؤخراً كتب أكثر الفلسطينيين الإسرائيليين احتراماً داوم بارنيا يقول أنه:

بعد سبعة وثلاثين عاماً من الاحتلال، أصبحت إسرائيل تبدو هي أمين جزء كبير من العالم دولة منبوذة. فهي الآن تصبح بعد جنوب أفريقيا الفصل العنصري. فإنها تنتمي ما قاطع إلى العائلة نفسها.



لا شك في أن الإرهاب الذي لجأت إليه بعض العناصر داخل الحركة الوطنية الفلسطينية، وخاصة ذلك الإرهاب الذي يستهدف المدنيين، كان تهديداً أمنياً كبيراً للشعب الإسرائيلي. ولكن لا يمكن إلخاذا هذا التهديد درية لتسيارست سوف تأتي بحكم الفصل العنصري إلى غزة والضفة الغربية. فليس صحيحاً أن الإرهاب يهدد وجود دولة إسرائيل. وحتى إذا كان هذا صحيحاً، فإنه تهديد يمكن أن تتصدى له إسرائيل بفاعلية أكبر من داخل حدودها ما قبل ١٩٦٧، ذلك أن تلك هي دولتهم. ولسوف يخسر الفلسطينيون الكثير إنهم استمروا في الإرهاب، وسوف يسعون إلى وقفه. والحقيقة هي أن إسرائيل حققت قدراً أكبر من النجاح في مواجهة الإرهاب العابر للحدود القادم من الدول المجاورة أكثر ما حققت في



5

14 ۱۴۰۰/۰۱/۰۱

كتاب الزاوية



نجيب محفوظ

أصداء من الحكمة

نجيب محفوظ لم يعد يحتاج لهذه الاحتفالية بمناسبة عيد ميلاده الثالث والتسعين في ١١ ديسمبر الماضي بل نحن، كما يقول الدكتور يحيى الرخاوى أحد أهم أصدقاء الكاتب الكبير، من حقنا أن نتحفل بأنه مازال بيننا. ويستطرد الرخاوى قائلاً: أخشى ما أخشاه أن ينسينا التكرار والإلحاح في هذا الوقت العصيب حقيقة هذا الرجل وجوهراً معني بقاءه بيننا.. علينا قبل وبعد الاحتفال أن نُبلِّغ هذا الشيخ الشاب الجميل أننا أهل لأن نكون أهله.. كيف يقول الرخاوى: نجيب محفوظ مازال يشارك ناسه الأهم وأحزانهم يوماً بيوم، أكثر من فرحته باحتفالهم به وتهنئتهم له بعيد ميلاده، هو يعلم ما وصلنا إليه أكثر من أى متابع مباشر، ومع ذلك مازال هو المتفائل العنيد. نقاؤه أقوى من كل ما يجرى وما يبلغه، لكن هذا التفاؤل نفسه هو ما يزيد ألمه ويقلق مضجعه. هذا الرجل مازال يتحدى وهو يواصل مسئولية الحياة، لا أحد يعرف، ربما ولا هو نفسه حقيقة أثر توقف يده اليمنى عن الكتابة نهائياً. لقد ظل يمرنها بعد الحادث خمس أو ست سنوات حتى استطاعت أن تعاود «الشخيلة»، فى إصرار منه على مواصلة العطاء، فظهرت «أحلام فترة نجيباً محفوظاً صغيراً وأعاداً يطمئنه أنه يستمر، إن توقفت عند نجيب محفوظ أو عند مرحلة نجيب محفوظ هو أمر أدعى للأسف بل والأسى.

وقد اختارت «وجهات نظر» أن تحثي بوجود نجيب محفوظ بيننا من خلال تقديم مقتطفات بعض من أعماله التي تربت عليها أجيال عديدة ومازالت قادرة على الإبهار.

جهود اللجنة الرباعية التي لا طائل من ورائها لتنفيذ خارطة الطريق، لن يوافق أي منها على الاستمرار في القيام بهذا الدور. وبينما لم يقطع الاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة شوطاً كبيراً في إنهاء الصراع الإسرائيلي الفلسطيني قبل الانضمام إلى اللجنة الرباعية، فقد بات وضعها منذ ذلك الوقت أكثر تهميشاً. فلم يزد نفوذها على إسرائيل أو الفلسطينيين، بينما ازداد الصراع بشاعة عن أي وقت مضى.

من الواضح أن إطار المبادئ هذا الذي يحظى بموافقة دولية لن ينفذ نفسه بنفسه، وسوف ترفضه إسرائيل، التي هي أقوى الطرفين. وربما اعترض الفلسطينيون كذلك على بعض الشروط، كذلك الشرط الذي ينص على إعادة توطين اللاجئين الفلسطينيين في الدولة الفلسطينية الجديدة وفي الدول المستعدة لاستقبالهم. غير أن أهمية هذا الجهد الدولي هي أنه سوف يغير حساب المكشوفة والأرباح الذي سوف يهيم به الجانبان، وسوف يتأثر ذلك الحساب كثيراً بتوقع حدوث أضرار لعلاقات الطرف المعتدى بالدبلوماسية والاقتصادية مع جزء كبير من المجتمع الدولي، وعدم توقع حصوله على الاعتراف الدولي بما قد يتخذ من إجراءات أحادية.

لا يمكن أن يفلح هذه النتيجة حتى حكومة إسرائيل اليمينية، كما يتضح من الإشارات الأخيرة الصادرة من داخل وزارة الخارجية الإسرائيلية بشأن الآثار المدمرة للسياسات الإسرائيلية التي يرى الاتحاد الأوروبي أنها تحول إسرائيل إلى دولة فصل عنصري. ورغم السخريّة الصادرة عن شارون وحكومته رداً على رأى محكمة العدل الدولية بشأن عدم مشروعية مسار الجدار العازل الإسرائيلي، فقد أثر ذلك الرأى على بعض القرارات التي اتخذتها منذ ذلك الوقت المحكمة الإسرائيلية العليا وقرارات الدفاع الإسرائيلية بشأن مسار السور. بل إن حكومة شارون اليمينية نفسها أصيبت بصدمة جعلتها تقبل حين صوّتت كل الدول الأعضاء على الاتحاد الأوروبي، بما في ذلك الدول العشر الجديدة، التي كان شارون يعتقد أنها أكثر تعاطفاً مع سياساتها، في ٢٠ يوليو لصالح قرار مجلس الأمن الداعي إلى إزالة السور العازل.

ويتوقف الكثير الآن على احتمال أن تكون تلك الوحدة الأوروبية غير المتوقعة بشأن عملية السلام في الشرق الأوسط بشيراً بأشياء في سبيلها للحدوث. ■

خارطة الطريق، سوف تتضمن كذلك الشروط التالية. قيام التبعيرات الإقليمية على مبادلات متكافئة على الجانبين، وممارسة حق عودة اللاجئين الفلسطينيين في دولة فلسطين الجديدة، وتحول الأجزاء العربية من القدس إلى جزء من الدولة الفلسطينية وعاصمة لها. إضافة إلى ذلك، سوف يتعين عمل ترتيبات خاصة لجلب المعيد/ الحرم الشريف، إذ ينبغي تقسيم السيادة على تلك الأماكن المقدسة بناء على المقترحات السابقة، أي أن تكون السيادة على الحرم للفلسطينيين وعلى حائط المبكى وما يتصل به من مبان إسرائيل، أو أن يوضع حائط المبكى، يعطى السيادة فوق الأرض في جبل المعبد/الحرم الشريف للفلسطينيين، والسيادة تحت الأرض للإسرائيليين. وبديل ذلك هو الانشقاف حول مسألة السيادة الإسرائيلية أو الفلسطينية على الأماكن المقدسة بوصف ترتيبات إدارية يشارك فيها طرف دولي ثالث.

لي يكون بمقدور أي من الطرفين تغيير هذه الشروط إلا بالتوافق فيما بينهما. وسوف يخضع الطرف الذي يرفضها أو يتخذ إجراءات أحادية مخالفة لتلك الشروط للمسؤوليات الاقتصادية والدبلوماسية، وعلى أقل تقدير، سوف يحرم هذا التبدل الدولي الواضح والتعاضد الطرف المعتدى من أي احتمال للحصول على الاعتراف الدولي بالإجراءات المخالفة للمبادئ التي جرى إقرارها دولياً فيما يخص اتفاقية السلام الإسرائيلية الفلسطينية.



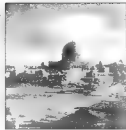
لا شك في أنه من غير المحتمل إلى حد كبير أن توافق إدارة بوش المنتخبة حديثاً على الانضمام إلى هذا المؤتمر ودعم هذا الدور التفاوضي، وسوف تجد واشنطن نفسها في وضع حرج يضطرها إلى القول بأن الشروط المحتمل صدورها عن هذا المؤتمر الدولي ليست ضمن خارطة الطريق أو دعم بوش المتكرر لحل الدولتين. كما أنه ليس من المستحيل أن تكون الإدارة الجديدة أكثر انفتاحاً على الأفكار الجديدة الخاصة بإنهاء الصراع مما كان المتحدث باسمها على استعداد للاعتراف به أثناء الحملة الانتخابية الساخنة. واعتقد أن الشيء المؤكد هو أنه بعد أن كانت أوروبا والأمم المتحدة وروسيا ذيولاً للطائرة الورقية الأمريكية في

الخط سير الأقصى



المطلوب العمل بجد ويمسئولية أيضا
لردع التوحش الإسرائيلي في مصادرة الأراضي
وبناء المستوطنات وتهويد المدينة المقدسة. والمطلوب العمل بجد
ويمسئولية لإنقاذ المسجد الأقصى
من الخطر الذي يتعرض له





حتى الآن ١. إن الجواب الذي لا يحتاج إلى عناء بحث وتصكير هو لا شيء، ولكن معارضة، تأملت في وايلفيلد، مؤسسة معهد القدس، برئاسة رايبروف رئيس منظمة السفارة الدولية. التي سبق الإشارة إليها، سمعتها جمع التبرعات والمساهمات المالية لتدمير الأقصى وبناء الهيكل، وأنشأت هذه المؤسسة في مدينة القدس القديمة معهداً خاصاً باسم ياشيف التيريت كوهانيم، أي معهد سيخدمون في الهيكل الثالث بعد بنائه لما في ذلك مبادئ التصحيح بلحيون.

كما مولت عملية تجرى منذ سنوات لاختيار حجارة البناء وصقلها وتجميعها في مواقع خاص إلى أن تحين ساعة الصفر. وساعة الصفر، هي تدمير المسجد الأقصى. وفي مجلة Last Line Planet نشرت Earth يقول القاص هووليد ليندسلي الكاتب، وهو من كبار منظري الحركة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة، لم يبق سوى ثمة واحد ليكتمل المسرح تماماً أمام دور إسرائيل في المشهد العظيم، الأخير من مسألتها التاريخية وهو إعادة بناء الهيكل القديم في موقعه القديم، ولا يوجد أي شيء يمكن وأدى إليه إنشاء الهيكل عليه استناداً إلى قانون موسى في جبل موريا حيث شيد الهيكل السابق.

ورغم أن كل أعمال التثبيت عن يقايا الهيكلين المحرورين تحت الحرم القدسي الشريف لم تشر على دليل واحد أو حتى الشكر على جبر واحد، فإن قصة إصراراً على أن الحد الأقصى يقوم في موقعها، وأنه لا بد من تدميره لبناء الهيكل الثالث على أنقاضه (٢).

وضع المهندس اليهودي، يايي يوان، تصميم الهيكل الثالث، وقررت التصميم الخطم في إسرائيل (٣). كما أقرته الحكومات اليهودية المختلفة. يقضي تدمير المسجد الأقصى، بأقرار بانهيم من حيث منذ سنوات أما التثبيت فإنه يتم تدريجياً وعلى مراحل بعمولين، معول التصرف الديني الصهيوني ومعمل البقوع العرب والإسلامي، ولا في أن المعمل الثاني أشد خطراً على المسحوق أكثر فعالية في مخطط تدميره، من هنا فإن إنقاذ المسجد الأقصى، وبالتالي إنقاذ القدس، وفلسطين يتطلب وعياً عربياً إسلامياً حقيقياً، وتعاوناً إسلامياً معسحياً عالمياً حقيقياً أيضاً حتى تحرر القدس من دنس الاحتلال وحتى تستعيد دورها عاصمة السلام والإخاء بين المؤمنين جميعاً. ولكن على هذا التهانئ ممكن (٤).

٢٤ كانون الثاني، يناير ١٩٤٠، وجه البابا بيوس العاشر رسالة إلى اليهود هرزل مؤسس الحركة الصهيونية رداً على رسالة كالي هرزل، فد وجهها إلى البابا طالباً من دعم الفاتيكان لشروع تعمير اليهود إلى فلسطين.

عبدان في العيون ليسمعوا عليكم حياة الهاء في رثكم. إن هذه الحركة الدينية، باعتقادها وباعتقادها الموارثية الخالصة للمعابد المسيحية الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيلية، تهيئ على الطبع السياسي الأمريكي فيما يتعلق بالشرق الأوسط وهي التي تتولى بقوة وصياغة القرارات المتعلقة بالفضية الفلسطينية وبشخصية القدس تحديد.

ومن اتباع هذه الحركة شخصيات الأمريكية سياسية وديبلوماسية وإعلامية وعسكرية تهيئوا مراكز قيادية بارزة. كان منها مثلاً قبل الرئيس الأسبق جورج دبليو بوش، الرئيس الأسبق رونالد ريغان. قس عبيد، أصبح تقليدياً دعوة شخصية دينية أو أكثر من هذه الحركة إلى البيت الأبيض في كل مرة يجيد الرئيس الأمريكي منصبه مع دولاً لاتحاد فرار جوهري يتعلق بالشرق الأوسط. أهمية هذه المشاركة الدينية في العمل على توجيه القرار السياسي الأمريكي بحيث يتوافق مع إرادة الله كما تحدها النبوءات المقدسة. وعند حدث ١١ أيلول سبتمبر ٢٠٠١، والقسم جيري هولويل يلعب هذا الدور في إدارة الرئيس جورج بوش غنى مفهوم هذه الحركة الأسبق، إن إرادة الله تحدها التفسيرات الموضوعية لمجموعة من النبوءات الدينية التي ورد ذكرها في بعض أسرار التوراة والعهود القديم، مثل سفر الرؤيا، وسفر حزقيال، وسفر يوحنا، وغيرها. ومن هذه العهود معركة رمزيين الذين تلبها مباشرة العودة الثانية للمسيح.

لقد كان القس جيري ويرتسون في دنياها الجنرال دايان عندما احتل القدس في عام ١٩٦٧، وكان القس جيري هولويل في دنياها الجنرال شارون عندما احتل بيروت في عام ١٩٨٢.

السؤال الآن : ما العمل ؟ في عام ١٩٧١ أي بعد عشر سنوات من حريق المسجد الأقصى، شكلت منظمة المؤتمر الإسلامي لجنة خاصة لوضع استراتيجية جديدة لتحرير القدس. وبعد ٢٥ عاماً على تشكيلها فإن السؤال الذي يفرض نفسه هو ماذا حققت هذه اللجنة

المسيحية والتمويل الأمريكيين لمشاريع الأسباط في غزة والصمة العربية والتأيد المطلق لكل ما تقوم به إسرائيل من أعمال بصرف، التطرغ للتصريح الدولية فاهلها شرع الله لا الشريعة الدولية



ومن الواضح أن سياسة الرئيس جورج بوش وسوقها من الاعتناء الفلسطينية وتعتيته لجرائم التي يرتكبها شارون تمت على قاعدة هذا الإيمان. وكان الكونغرس الأمريكي جدد تبنيه لقرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس في شهر أيلول سبتمبر ٢٠٠٢. ووقع عليه الرئيس بوش نفسه استجابة لطلب الجيوش الإنجيلية المتطرفة. وهو ما لم يفعله أي رئيس الأمريكي قبله.

صحيح أن الكنيسة الكاثوليكية، والكنيسة الأرثوذكسية، وكذلك العديد من الكنائس الإنجيلية الأمريكية الأخرى تعارض عمليات التمييز العنصري والتوظيف السياسي للمسيحية وتمتيرها تشويها لها وتضليل للمسيحيين المؤمنين، إلا أن الصحيح في الوقت نفسه أن الدور السياسي الذي تقوم به منظمة السفارة المسيحية الدولية باختلاف المسيحية واستقلال اسمها وشعاراتها، يكاد يصعب التوصل إلى في التأثير على صناعة القرار الأمريكي من قضايا الشرق الأوسط عامة وفي الصراع العربي الإسرائيلي تحديداً.

في المؤتمر السنوي التي عقدته هذه الحركة في واشنطن في تشرين الثاني، نوفمبر ٢٠٠٢، قال أحد قسائسها يات ويرتسون، إن العرب الفلسطينيين ليسوا سوى مجموعة من المرافقة التي إسرائيل منذ عدة عقود فقط، وأن ادعاهم يعود إلى ادعاء حديث بينما ادعاء اليهود يعود إلى ثلاثة آلاف عام، وأن جعل الهيكل هو بالعمل ٣٣ من التوراة (الأرقام) كما يبدو في البرمسي إلى ورائة أرض كنانا محذراً من أن يبقى فيها على أحد من الكلدانيين، لأنهم سيتحولون إلى أشواك في الخواصر وإلى

مشتتة بقيام إسرائيل، وإن الله يساعد من يساعد إسرائيل ويؤادي من يعاديها وإن فيهم إسرائيل يؤكد تواهر الشروط التي طال انتظارها من أجل العودة الثانية للمسيح وبالتالي فإن الدواعي من إسرائيل هو عمل ديسي سياسي يتكرر بالمتغيرات من الأحداث إن في الولايات المتحدة الدولة العلمانية (والتى ينص دستورها على فصل الدين عن الدولة) ١٤٠٠ محطة دينية يعمل فيها ٨٠ ألف قسيس إنجيلي أكثرية منهم السابعة من اتابع هذه المدرسة التي تعتبر إسرائيل تحلياً الهيا وتجنيداً لشعبه من أجل خلاص بشى البشر (١).

لذلك ما أن تواجد إسرائيل أزمة أو مارقاً حتى يتحرك هذا الجيش الإغلامي، الديني عبر شبكة الكنائس الإنجيلية المسيحية المتطرفة ومحطات الإذاعة والتلفزيون وسلسلة المطبوعات اليومية والإسبوعية التي تتولى انتصارها من مقولة ثامسة من

مقولات هذه الحركات الدينية، وهي أن التوازن الدولي الموضوعي لا تطبيق على إسرائيل بل إسرائيل تختص في كل الكائنات السياسية الأخرى في العالم من حيث أن وجودها هو تجسيد لإرادة إلهية وليس استجابة لحاجة إنسانية، وبالتالي ما يجب أن يطبق على إسرائيل هو الإرادة الإلهية التي وردت في الكتب المقدسة وأبرزها الوعد الإلهي لشعب الله المختار، وما يقودو الله لا تغيبه ولا تعدله أقرارات الأمم المتحدة، ولا يفعله ولا يخرجه القانون الدولي.

تكونت هذه الأدبيات الدينية التي جعلت من اليهود الشعب المظلمين على الخلافة الإلهية التي يتحدد بمقتضاها مصير البشرية جمعاء، والتي جعلت من إقامة دولتهم المدخل الوحيد الذي لا بد منه لدى هذه الخطة مع تعقيد من شهيد لخدمة الثانية للهيكل، وفي العودة الثانية للمسيح مصير مزاج الإيمان والفكر والتي تنتهي بانتصار المسيحية على العالم أجمع، عام ومن ثم تقوم الساعة.

من خلال هذه الأبيات أصبح الإيمان بمساعدة اليهود في إقامة دولة في فلسطين نوعاً من العبادة التي تعمير عن المشاركة الإنسانية في تحقيق الإرادة الإلهية أي أن الإنسان يعرف ما يريد الله من خلال قرأته للنبوءات الإلهية، ثم يعمل على تحقيق ما يريد الله من سوء ما توحى له في القراءات في ضوء هذه الأدبيات الدينية، وفي ضوء هيمنة المؤسسات التي تحتقن هذه الخلفية وتروج لها، على القرار السياسي الأمريكي، لم يعد فهم خليفة للفرع الرسمى الأمريكي المعارض لجدا عودة الفلسطينيين إلى ديارهم عملاً بقرار مجلس الأمن الدولي ١٩٤، والذي يشجع عن الوقت نفسه اليهود على الاستيطان في إسرائيل وفي بقية الأراضي الفلسطينية المحتلة (٢) كما يمكن فهم

الدور السياسي الذي تقوم به

منظمة السفارة المسيحية الدولية باختطاف

المسيحية واستقلال اسمها وشعاراتها، يكاد يصبح

الدور الأهم في التأثير على صناعة القرار

الأمريكي من قضايا الشرق الأوسط عامة



[illegible]

قال البابا في رسالته الجوامية:

«صحيح أن نستطيع أن نلجج في كل تناقض مع الحركة الصهيونية، إلا أن نغفل عن منع اليهود من التوجه إلى القدس، ولكننا لا ننسى أبدا أن الحركة صُفِّتْ على الكفِّين لا لأستطيع أن أجيبك بشكل آخر، ولنك تعترف بهذا صهيونا (الصهيود)، ولا نستطيع أن نعرف بالشعب اليهودي، وبالتالي، أيا جتم في فلسطين، ولا أعتقد أننا سنبكون متفهمين كاتسلس رؤيتنا أن نضعهم (أنا نحولكم إلى المسيحية) جميعا».

وإاء في وثيقة بايتكتيكية صادرة في الأول من أيار ١٩٨٧، وظهرتها Catholics of the المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بارل في (سويسرا) في ١٩٨٧ مرة أخرى على تحقيق اليهودية ضمن القدس، وثناك كان إعادة بناء القدس لتصبح مركزا لإسرائيل بعد توكيهاها يتناقض كل التناقض مع شهادات المتأخرين اليهودية سابقا بأن العامة (أي غير اليهود) تستطيع على القدس ضمن التناقض، أي حتى نهاية

العدد الثاني والسبعون - يناير ٢٠٠٥ م

رغم ترهيب المسفدين..



المخاطر واردة!

ولهذا يجب ان نتذكر الاتي قبل ان نتخذ قرارات اساسية في شأن التجارة الخارجية :

قواعد التجارة العالية لا تلغى ولا تخفض الرسوم الجمركية ولا توجد ولما تلبثها عند مستوى حدته كل دولة منذ سنة ١٩٩٥.

ومذ اجتماع مراكش في ديسمبر ١٩٩٤، صار لكل دولة عضو في المنظمة جدول تعريفات جمركية خاص ترتبط به وتتجول فيه الضريبة من عمل سيادي إلى ضريبة تصاقية ضمن الالتزامات المترتبة على اتفاقية الجات.

القاعدة الثالثة:

معاملة الدولة الاولى بالرعاية، وتهدف إلى القضاء على أشكال التمييز بين الدول في التجارة السلمية، عن طريق سران المزايا التي يتبادلها اعضاء الجات، على كل اطراف الاتفاقية. ويستثنى من هذه القاعدة ما جاء بالمادة ٢٤ حول التكتلات الإقليمية التي يحق لأعضائها قصر تبادل المزايا التفضيلية والجمركية عليهم، والمزايا التفضيلية الممنوعة للمول النامية والاقال نموًا بمختلف اشكالها.

القاعدة الرابعة:

المعاملة الوطنية، وتعني عدم التمييز بين الواردات الأجنبية والمنتجات المحلية، بحيث لا تفرض عوائق داخلية إضافية على الواردات تتجاوز تلك المطبقة على المنتجات الوطنية.

وتتيح حرية التجارة انسياب السلع والخدمات باستخدام مبادئ التخصيص والمنافسة وفتح الاسواق والاستخدام الامثل للموارد والدخول في دائرة اقتصاد الوفرة، فيما يوجه رسالة للمستثمر الذي يسعى لكسب فرص في اسواق اوسع، ويؤدي إلى مزيد من التشغيل وتوليد الوظائف. وقد لعبت التجارة دور قاطرة النمو وكفاحة الفقر في كثير من التجارب بعد الحرب الثانية.

ويتطلب الإصلاح الاقتصادي في مصر مضاعفة الصادرات لتحقيق معدل نمو لناتج المحلي الاجمالي

انتهت العلاقات الدولية في العقدين الاخيرين نحو تعزيز الحريات السياسية، والانشاع على الاقتصاد العالمي وصقلت مؤسسات التمويل الدولية (الصندوق والبنك) ومنظمة التجارة العالمية. كآليات تنفيذية لتحقيق هذه التوجهات، بينما ازدها في نفس الوقت سعى الدول نحو إقامة التكتلات الإقليمية تسمى لبلوغ درجات اعلى للعلاقات بين اعضائها، لا يسهل بلوغها في إطار منظمة التجارة العالمية التي توقفت المزايا المتبادلة فيها عند شروط الدولة الاولى بالرعاية. وبدا النظام الاقليمي وكأنه خروج على النظام متعدد الاطراف من وجهة نظر البعض، او نوع من استكمال النظام لتطوير علاقات اطرافه على المستوى الاقليمي من وجهة نظر اخرى.

وادي تطور العلاقات في الاتجاه الاقليمي إلى تعميقها إلى حد يتخطى مفاهيم وممارسات السيادة المتعارفين عليها بين الدول في أزمنة سابقة. فانجذبت القوى العالمية الكبرى والمؤثرة نحو التوسع والاندماج، وهو ما حدث بقيام تحالف منطقة التجارة الحرة لدول امريكا الشمالية وكندا والمكسيك (١٩٩٢). وتواصل بعددلات اسرع بين بلدان الاتحاد الاوروبي التي قطعت منذ عام ١٩٥٧ شوطا طويلا في التوسع الاقوى من سبعة اعضاء إلى خمسة وعشرين. وفي التوسع الراسي لتعميق علاقاتها البينية، وتوحيد سياساتها المالية والتنفيذية. واستخدام عملة موحدة، وتخلي الاعضاء عن سلطاتهم لتخصيص الجمارك لأليات الاتحاد، واوكلوا للمفوضية الأوروبية رسم سياساتهم التجارية، وتخلت سبع دول عن السيطرة على الحدود البينية، وسمحت بإصدار تأشيرة دخول موحدة. وكلها امور تشوق على ما يمكن أن توفره مسارات التعاون في إطار المنظمات الدولية.

منظمة التجارة العالمية وقواعدها

نشأت الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات GATT، للعمل على تيسير سبل التجارة الدولية واسيائها، وتحقيق التوازن بين مصالح أطراف السوق، من متجنبين ومستهلكين،

جمال بيومي

القاعدة الاولى:

حماية الصناعة المحلية بالرسم فقط، واستخدام نظام الحصص كاستثناء. وكانت هناك ثلاثة مجالات خلافية جرت محاولات للتغلب عليها وهي :

١. القطاع الزراعي ونظم الحصص والحماية للمنتجات الزراعية.
٢. تجارة المنسوجات : حيث اتفق على إلغاء اتفاقيتها ونظام الحصص اعتبارا من أول يناير ٢٠٠٥.
٣. ميزان المدفوعات : واتفق على عدم جواز علاج عجز الميزان بنظام الحد من الواردات عن طريق الحصص، إلا إذا فشلت الوسائل الأخرى.

القاعدة الثانية:

تثبيت الرسوم الجمركية وعدم زيادتها. وتعني الدول بعدم إضافة قيود كمية. ويعني ذلك ان منظمة التجارة العالمية لا تلزم اعضاها بإلغاء الرسوم الجمركية، خلافاً للخطأ الشائع المتداول في هذا الشأن.

ومصدرين ومستوردين. والهدف الاسمي وراء ذلك هو خلق مصالاح تتولد عن حركة التعاون الدولي والإقليمي، وتجعل النزاعات والحروب الكبرى امرا مكلفا أو لا مبرر له، عن طريق اقسام الفرص والمكاسب وتجنب التحديات وتحقيق المصالح للجميع. ومنذ نشأتها في عام ١٩٤٧، عقدت الجات ثمانين جولات للمفاوضات التجارية. كانت ثامنها هي جولة أورجواي - التي بدأت في سبتمبر ١٩٨٦ وانتهت في أبريل ١٩٩٤، وتعتبر أكثر الجولات تميرا واسعا من حيث : معالجة موضوعات جديدة، كتجارة المنسوجات والسلع الزراعية والخدمات، وحماية الملكية الفكرية. والفترة التي استغرقتها (٨ سنوات) حجم التجارة الاضافية المحررة (٧٥٥ مليار دولار) والدول المشاركة (١٢٤).

قيام منظمة التجارة العالمية لثرت الجات ومسئولية النظام التجاري الدولي.

وتسعى منظمة التجارة العالمية لإقامة مناخ تجاري يقوم على المنافسة العادلة عن طريق إقرار أربع قواعد اساسية :



يصل لنسبة ٧٠٪. ويقتضي ذلك زيادة الصادرات الصناعية إلى ضعف معدل نمو التجارة العالمية. وللوصول إلى هذا الهدف استخدمت ثلاثة نماذج تدور حول :

١. إحلال الواردات.

٢. حماية الصناعات الوليدة.

٣. نموذج عدم التدخل ، والاعتماد على أدوات السوق.

وقد تبنت عدة دول عربية - من بينها لبنان والأردن ومصر وتونس والمغرب - استراتيجيات لتسمية الصادرات تعتمد أسلوبا يجمع بين دعم الصناعات الوليدة، وييسر تخفيض التعريفات الجمركية والقيود على الواردات وبخاصة مدخلات الإنتاج. وسلكت مصر ثلاثة مسارات متكاملة :

١. تثبيت الرسوم الجمركية وإزالة الشروط غير الجمركية في إطار التزاماتها تجاه منظمة التجارة العالمية.

٢. التخفيضات الجمركية والإعفاءات الضريبية وتشريعات حفز الاستثمار في إطار برامج الإصلاح الاقتصادي المصري.

٣. الارتباط بالاتفاقات الإقليمية تقيم مناطق للتجارة الحرة مع أهم شركاء التجارة الخارجية في العالم العربي وأوروبا وإفريقيا، وغيرها. أوصى البنك الدولي مصر والدول العربية باتباع سياسات نجحت في تجارب دول شرق وجنوب شرق آسيا، ودول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OECD من بينها :

• الشفافية في اتخاذ القرارات الاقتصادية وزيادة القدرة على التنبؤ وكفاءة الإدارة.

• دعم المنافسة وتحسين الجودة، والاستثمار في البنية الأساسية وتحسينها من القيود.

• تقليص البيروقراطية وممارسات جماعات المصالح والمتنفذين بالحماية التي تحول دون تنفيذ التزامات تحرير التجارة وتقيم العوائق للحيلولة دون تطبيقها.

• تطبيق الدول العربية المتوسطية لبرامج الإصلاح الهيكلي ومقررات جولة أورجواي دعما لفرص التنمية وتشجيع التبادل التجاري العربي وتفاذ الصادرات من خلال اتفاقيات المشاركة الأوروبية التي توفر البيئة المناسبة، لجذب الاستثمار الأجنبي.

لماذا التوجه الإقليمي؟

أدى الإخفاق المتكرر لمفاوضات التجارة الدولية متعددة الأطراف التي عقدت على مستوى وزراء تجارة منظمة التجارة العالمية. التي عقدت في سيائل بالولايات المتحدة سنة ١٩٩٩ والووجة في قطر سنة ٢٠٠١ ، وكانكنو بالمكسيك إلى زيادة الأدراك بأهمية دور التكتلات الإقليمية.

وقد اتضح أن نجاح المفاوضات التجارية متعددة الأطراف، يتوقف على توافق مصالح ١٤٧ دولة أعضاء في منظمة التجارة العالمية حول السياسات التي تنبع والمزايا المتبادلة فيما بينهم.

وبالتالي يصعب التوصل لقاسم مشترك يجمع أطراف هذا الاطار الواسع. ولهذا يتزايد قيام وتطوير التكتلات الإقليمية.

وتتعدد وجهات النظر حول تفسير الظاهرة الإقليمية، فهي - من جهة - تعتبر مكملة لظاهرة العالمية في التجارة وتوفر خطوة إضافية إقليمية لتحرير التجارة.

ويؤدي تأسيس مناطق التجارة الحرة إلى تغييرات واسعة في الهياكل الاقتصادية لأعضائها، تنعكس على حجم تجارتهم البينية، وتركيبها، وعلى التحول في التجارة، وحجم تدفق الاستثمارات وحركة رؤوس الأموال.

كما تؤدي إلى إعادة تقسيم العمل

والتحخصص في الإنتاج. وقد نتج عن التوجه الإقليمي زيادة ملموسة في وزن وتأثير ثلاثة تجمعات إقليمية في حركة الاقتصاد والتجارة العالمية . وهي :

• الاتحاد الأوروبي EU .

• الولايات المتحدة ومنطقة التجارة الحرة لدول شمال أمريكا NAFTA.

• تجمعات جنوب شرق آسيا.

وأصبح من الصعب النفاذ للأسواق الرئيسية في التجارة العالمية دون التعامل والتعاون - بشكل أو بآخر مع هذه التجمعات وانظمتها، خاصة في مجالات تحرير التجارة وتيسيرها.

اختيارات مصر الإقليمية ،

بعد التزامها بالاندماج في الاقتصاد العالي ومؤسساته الدولية (الصندوق، البنك، الجات) سعت مصر لتحرير تجارتها في إطار إقليمي، ومواصلة دعم قدراتها الاقتصادية، وصار التوجه إقامة مناطق تجارة حرة، واحدا من أفضل وسائل تنمية التجارة.

وتستطيع مصر أن تلعب دورا إقليميا يحافظ على مصالحها كلما تكتن من إدارة حوار تفاوضي مع شركائها الاقتصاديين والتجاربيين الأساسيين لتحقيق المصالح والتحالقات المشتركة.

فشركاء مصر على المستوى

الإقليمي يتمركزون في المساطق، العربية والأفريقية والأوروبية والأمريكية. ويتوقف ترتيب أهميتهم على نظرة مصرية أشمل من منظور التجارة تحدد الأولويات على النحو التالي :

أ - المسار العربي ،

تستكمل منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى تحرير الرسوم الجمركية اعتبارا من أول يناير ٢٠٠٥. وهو ما يمكن أن يعزز العلاقات البينية العربية، ويشجع فرص الاستثمار، ويزيد من قوة المساومة الجماعية العربية تجاه التكتلات الأخرى، وداخل منظمة التجارة العالمية. ويعتبر الاستثمار أفضل ما يربط المصالح المصرية بالدول العربية وخاصة دول الخليج. فأكبر الدول التي تستثمر في مصر هي المملكة العربية السعودية والكويت والإمارات ولبنان وقطر. كما تمثل الدول العربية أكبر سوق للمعانة المصرية وأكبر مصدر لتحويلاتهم، ومصدرا رئيسيا للسياحة ويتطلب الأمر تجاوز مرحلة منطقة التجارة الحرة ومواصلة تطوير العلاقات إلى مستوى الاتحاد الجمركي والسوق المشتركة والوحدة.

ب - المسار الأوروبي (العلاقات المتوسطية) ،

يحتل المسار المتوسطي دائرة هامة من دوائر السياسة الخارجية المصرية. حيث ينظم إعلان برتلونه علاقات ٢٥ دولة أوروبية و١١ دولة متوسطية، منها ٩ دول الاتحاد الأوروبي وأكبر شريك تجاري لمصر. ويشغل نحو ٤٠٪ من حجم التجارة الخارجية المصرية. وتتميز عملية تحرير التجارة مع الاتحاد الأوروبي بالاتي :

• تحرير صادرات مصر للسوق الأوروبية اعتبارا من يناير ٢٠٠٤ ، مقابل تحرير واردات مصر من الاتحاد الأوروبي على فترة تمتد إلى عام ٢٠٢٠. • يقدم الاتحاد الأوروبي مساعدات مالية إضافية لدعم وتحديث قدرات مصر الاقتصادية.

ج - المسار الأفريقي،

وترتبط مصر ومشرون دولة في شرق وجنوب القارة بالاتفاق للسوق المشتركة (كوميسا)

تؤدي إقامة هذه المناطق

إلى ارتباط جانب هام - ومتزايد -

من الاقتصاد المصري بأداء الاقتصاد الاسرائيلي

الذي يمتلك مقومات تكنولوجية متطورة

في القطاعات المطروحة



(أعلى الرسوم الجمركية بين أعضائه اعتباراً من نوفمبر سنة ٢٠٠٠)

٤ - المسار الأمريكي،

وتسمى مصر لعقد اتفاق تجارة حرة مع الولايات المتحدة، حرصاً على علاقاتها التجارية التي يمكن أن تتأثر سلباً بتحرير تجارة مصر باتجاه الدول العربية والإفريقية والاتحاد الأوربي. بينما تعرض الولايات المتحدة قيام مناطق صناعية مؤهلة تربط صادرات مصرية محددة من مناطق مختارة بنوع من التراكب الإقليمي للمنشآت الصناعية مع إسرائيل بشروط معينة تؤهلها للدخول بأغلاء جمركي إلى الولايات المتحدة.

محددات التعاون الاقتصادي،

تسمى مصر للانفتاح على شركائها جميعاً، حيث لا يعنى احدهم عن الآخر أو يتعارض معه. وقد أكد الرئيس مبارك في خطابه في افتتاح الدورة البرلمانية عام ١٩٩٦ أنه لا يوجد من وجهة النظر المصرية تعارض بين صادرات التعاون مع العالم العربي والاتحاد الأوربي وأفريقيا أو الولايات المتحدة. ولهذا يتعين الأخذ في الاعتبار المعايير التالية :

• أنه ما لم يكن لدينا مركز احتكاري في التجارة الدولية فمن الأفضل التمسك بمبادئ المنافسة الحرة وفتح الأسواق وتحرير التجارة في الصادرات والواردات.

• يؤدي تحرير التجارة مع منطقة اقتصادية واحدة، إلى تحول التجارة تجاهها على حساب المناطق الأخرى، وعلى حساب تكلفة وجودة مدخلات الإنتاج في مصر. والأفضل تحرير التجارة مع أهم الشركاء وتخفيض الحماية الجمركية إلى مستويات مقبولة بالمعايير الدولية.

يؤيد قيام مناطق تجارة حرة عربية أجنبية ضغطاً دافعاً نحو قيام منطقة تجارة حرة عربية أكثر فعالية، خفيفة أن تتفوق المزايا المفضحة عربياً لأطراف أجنبية، عن تلك التي تتبادلها الدول العربية فيما بينها. علماً بأن الاتفاق العربي يحظر منح مزايا لطرف أجنبي أكبر من تلك التي يتعامل بها في الإطار العربي، ويتطلب ذلك المبادرة بإحياء أنشطة العمل

العربي المشترك بالتوازي مع جهود فتح التجارة العربية مع أطراف خارج المنطقة.

وقد قطعت مصر سوفاً طويلاً في تحرير سياساتها الاقتصادية. وصارت ملتزمة بصورة تعاقدية أو بإرادتها الذاتية بتحقيق تلك الأهداف في ثلاثة مسارات:

• الانضمام إلى الجات (١٩٧٠) وبعدها لتوريثتها منظمة التجارة العالمية ١٩٩٤.

• اتفاقات تحرير التجارة مع أهم الشركاء التجاريين (العرب أوروبا وأفريقيا وأمريكا).

• سياسات الإصلاح الاقتصادي الوطني اللازمة لنجاح سياسات تحرير التجارة



وتنرج ترتيبات التعاون والتكامل الاقتصادي من أبسطها، المتمثلة في منطقة التجارة الحرة، إلى الاتحاد الحر، وصولاً إلى المستويات الأرقى كالسوق المشتركة والموحدة والوحدة الاقتصادية. ويأخذ التكتل الاقتصادي أحد الأشكال التالية حسب قوة وعمق العلاقات التي تستهدها أطرافه.

يعني ذلك أن مناطق التجارة الحرة هي الخطوة الأولى في عملية التعاون والتكامل الاقتصادي بين أعضاء التكتل ويتبعن التفرقة بين إقامة منطقة تجارة حرة أو سوق مشتركة. وبين إقامة نظام اقتصادي

متكامل وفعال. فالهدف الثاني أجدر بالتطبيق إقامة التمسك والانظمة المختلفة التي تعمل في خدمة التنمية بجانب التجارة الحرة وتؤدي لقيام تجمع متناسق النظم والتشريعات.

المناطق الصناعية المؤهلة

وقعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في عام ١٩٨٥ اتفاقية لإنشاء منطقة تجارة حرة. وفي أكتوبر ١٩٩٦ وافق الكونجرس الأمريكي على تعديل إضافي يخلو للرئيس الأمريكي سلطة إلغاء أو تعديل أي رسوم جمركية يراها ضرورية لإعفاء السلع التالية من الرسوم :

• السلع التي تنتج أو تصنع في قطاع غزة والضفة الغربية أو في المناطق الصناعية المؤهلة فيها،

• السلع التي تستورد مباشرة من الضفة الغربية وقطاع غزة وإسرائيل أو المناطق الصناعية المؤهلة التي يتفق عليها. على أن تكون قيمة المواد المنتجة فيها بالإضافة إلى التكلفة المباشرة للعمليات التصنيعية في تلك المناطق لا تقل عن ٣٥ ٪ من قيمة السلعة عند تصديرها إلى السوق الأمريكي.

ويوفر هذا التشريع الإطار المنظم لعمل المناطق الصناعية المؤهلة التي تتطلب توافر ثلاثة شروط لكي تتمتع منتجاتها بالإعفاء الجمركي :

• أن تشمل أراضي من إسرائيل والأردن (أو من إسرائيل ومصر).

• تحدد السلطات المحلية تلك

الأراضي كمناطق جمركية أجنبية Enclaves تدخلها مدخلات الانتاج دون سداد رسوم أو ضرائب.

• يقوم الرئيس الأمريكي بإسباغ صفة المناطق الصناعية المؤهلة على هذه المناطق

وفي نوفمبر ١٩٩٨ أصدر الرئيس الأمريكي إعلاناً Proclamation برقم ٦٦٥٥ يتضمن عدداً من الإجراءات التنفيذية لتعديل الاتفاق الصادر عن الكونجرس، ويقرر إعفاء صادرات الضفة الغربية وقطاع غزة والمناطق الصناعية المؤهلة من الرسوم، ومعاملة السلع المستوردة من تلك المناطق كسلع مستوردة من إسرائيل مباشرة إذا توفرت فيها متطلبات محددة، ويخول قرار الرئيس الأمريكي ممثل التجارة الأمريكية USTR الصلاحيات الموكلة للرئيس في شأن تحديد المناطق الصناعية المؤهلة.

ثانياً. المناطق الصناعية

المؤهلة في الأردن،

وقعت كل من الأردن وإسرائيل في ١٦ نوفمبر ١٩٩٧ في الدوحة - قطر - على هامش المؤتمر الاقتصادي الرابع لدول الشرق الأوسط وشمال إفريقيا (MENA) - اتفاقاً بإنشاء المنطقة الصناعية المؤهلة بينهما في مدينة إربد. ويحدد الملحق الثالث بالاتفاقية طبيعة هذه المناطق وخصائصها من حيث:

أ - حدود المنطقة المؤهلة،

منطقة إربد في الأردن، وساحة قرب معبر الشيخ حسين في إسرائيل. وتعتبر خارج النطاق الجمركي للدولة Enclaves، تدخلها البضائع دون رسوم جمركية بصرف النظر عن منشأها.

ب - حدود التعاون الاقتصادي،

تتولى لجنة مشتركة إسرائيلية أردنية، يشارك فيها ممثل الولايات المتحدة، تحديد ما إذا كانت المنطقة المؤهلة تمارس أنشطة كافية لاعتبارها Substantial من قبيل التعاون الاقتصادي الرئيسي الذي يتيح للسلع المنتجة فيها التناهل لدخول السوق الأمريكية، بشرط مساهمة مصنع أردني ومصنع إسرائيلي في إضافة ثلث قيمة المنتج على الأقل.

العدد الثاني والسبعون - يناير ٢٠٠٥ م



ج - التعاون الجمركي ،

تساعد حكومتا الأردن وإسرائيل السلطات الأمريكية للتحقق من أن السلع المصدرة إلى السوق الأمريكية تتوافق فيها شروط الاعضاء الجمركية.

وفي ٢٣ نوفمبر ١٩٩٨ وقع وزيراً التجارة والصناعة الأسرائيلي والأردني بروتوكولات إضافية تتضمن إقامة منطقة صناعية مؤهلة ثانية في معبر وادي الأردن. وتوالت إقامة المناطق الصناعية المؤهلة بين الأردن وإسرائيل حتى بلغت ١١ منطقة.

وتتمتع صادرات المناطق الصناعية المؤهلة بالإعفاء الجمركي الكامل عند الدخول إلى السوق الأمريكية بشرط أن يشكل المكون المحلي نسبة ٣٥٪ على الأقل من تكلفة المنتج أو قيمة المواد النهائية المنتجة. ويمكن استيفاء هذه النسبة وفقاً لأحد البدائل التالية :

البديل الأول :
أن يسهم مصنع مقام في المنطقة الصناعية المؤهلة بنسبة ١١,٧٪ على الأقل من قيمة السلعة، ويتم إسرائيل بنسبة ٨٪ (تتخفف إلى ٥٪ في حالة تصدير السلع عالية التقنية)، ويتوفى باقي نسبة ٣٥٪ (أي ١٥,٣٪ من أحد المصانع المعتمدة في المناطق الصناعية المؤهلة في الأردن أو إسرائيل أو الضفة الغربية وقطاع غزة أو الولايات المتحدة الأمريكية). أما النسبة المتبقية (٦,٥٪) من قيمة السلعة فيعتمد الحصول عليها من البديلين أو من أي مكان في العالم.

البديل الثاني :

أن يسهم المصنع المقام في المنطقة الصناعية المؤهلة بنسبة ٢٠٪ ، والنتج الاسرائيلي بنسبة ٢٠٪ من التكلفة الاجمالية. أما النسبة المتبقية (٦٠٪) فتستوفى من البديلين أو من أي مكان في العالم.

البديل الثالث :

إمكانية المخرج بين البديلين السابقين بشرط ألا تقل نسبة المكون الاسرائيلي في السلع المصدرة إلى السوق الأمريكية عن ٨٪ .
وفي حين يشترط استيفاء المكون الاسرائيلي في صادرات الأردن من المناطق الصناعية المؤهلة لتعفى من الرسوم الجمركية الأمريكية ، فإن صادرات إسرائيل تتمتع بالإعفاء دون شروط مماثلة. ولهذا سعى الأردن لتوقيع اتفاق تجارة حرة مع الولايات

المتحدة في أكتوبر ٢٠٠٠ لكي تستفيد المصدرات من كل الأراضي الأردنية بالإعفاء. وليس فقط صادرات المناطق الصناعية المؤهلة.



وفقاً لتقرير بنك التمويل والصادرات الأردني (يونيو ٢٠٠٣) فقد زادت صادرات الأردن إلى الولايات المتحدة خاصة من الملابس والمنسوجات في الفترة من ١٩٩٩ حتى ٢٠٠٢ من ٢,٤ مليون دولار إلى ٣٨٢ مليون دولار وتمثل ١٧,٦٪ من إجمالي الصادرات الأردنية التي قُبلت حوالي مليار دينار أردني. بما يعكس الاعتماد المتزايد على صادرات تلك المناطق في تجارة الأردن الخارجية. وتحول التجارة باتجاه الولايات المتحدة على حساب الشركاء الآخرين ، وحصر عرض خلق التجارة في اتجاه إسرائيل. ويبلغ حجم الاستثمارات في المناطق الصناعية المؤهلة السبع بنهاية عام ٢٠٠٢ ، حوالي ٣٨٢ مليون دينار أردني في ٦٢.

وتتركز غالبية الاستثمارات في قطاع الملابس والمنسوجات ، ويأتي أغلبها من دول أسيوية - الصين وباكستان و تاوان وهونغ كونغ وكوريا وجنيلادش وسريلانكا والفلبين (رخصة التكلفة. ومن دول عربية) الإمارات - عمان الأردن وفلسطين وعرب إسرائيل، وقررت تلك المناطق ١٨ ألف فرصة عمل يتفكها أردنيون. وعمالة أجنبية تبلغ نحو ٥٠٠٠ عامل

تمثل ٣٥٪ من إجمالي عمالة تلك المناطق وفي المقابل تستفيد إسرائيل من الأيدي العاملة الرخيصة. ومن الاستثمارات الأجنبية. ورحل الاقتصاد الأردني بالاقتران الاقتصادي الإسرائيلي دي الإمكانيات الأكثر تقدماً من النواحي التكنولوجية بما يزيد من فرص الاعتماد عليه ويكرس التبعية له

مصر والمناطق

الصناعية المؤهلة:

طرح الادارة الأمريكية على مصر منذ عدة سنوات إنشاء المناطق الصناعية المؤهلة. وأخيراً وقعت مصر وإسرائيل والولايات المتحدة يوم ١٤ ديسمبر ٢٠٠٤ بروتوكول تجارة يتنبئ لصادرات مصر - من مناطق صناعية مؤهلة ومحددة Qualified Industrial Zones (QIZ) - الفناد إلى السوق الأمريكية بإعفاءات جمركية. بشرط أن تحتوي تلك المنتجات على مكونات إسرائيلية المنشأ بنسبة لا تقل عن ١١,٧٪. مع إمكانية استخدام مكونات أجنبية من خارج الدول الثلاث المتعاقدة تصل إلى ٦,٥٪.

وترى مجموعة من المصدرين المصريين المستفيدة من الاتفاق أهمية إقامة تلك المناطق للاعتبارات التالية:

١- انتهاء العمل بنظام الحصص في تجارة المنسوجات بحلول عام ٢٠٠٥. مما

يزيد حدة منافسة منتجات الدول الآسيوية (الصين وبنجلادش وباكستان والهند وبنماليه) للصادرات المصرية في السوق الأمريكية. وكان نظام الحصص يوفر حماية ضمنية للمنسوجات المصرية.

٢- إمكانية تحول الاستثمارات الأجنبية في قطاع الملابس من مصر لتتجه نحو الدول التي تنعم بمعاملة تفضيلية في السوق الأمريكية (الأردن) أو تتمتع بقدرة تنافسية عالية كالصين. وقد يؤدي ذلك إلى فقدان وظائف كثيرة في قطاع الملابس الحاضرة المصري.

٣- الخشية من أن التفاوض مع الولايات المتحدة حول اتفاق التجارة الحرة قد يستغرق عدة سنوات.

ومن جانب آخر يرى المستثمرون معارضون في صناعة المنسوجات المصرية. أن إنشاء مناطق صناعية مؤهلة بالصياغة الأمريكية المطروحة يتطلب على عدد من المحاذير على النحو التالي:

١- تمثل إقامة الغزل والنسيج والملابس الجاهزة أهم الأنشطة وعصب الصناعة المصرية وذات حساسية وأهمية اقتصادية ومالية وسياسية. ويمكن وفقاً للقواعد المنشأ المعمورة للمناطق الصناعية المؤهلة الاكتفاء بكون مصري يهيمن على نسبة ٨٢٪ ، بما يعني إمكانية الاستغناء عن المنشآت المصرية في صناعة الملابس في تلك المناطق. ويصل ذلك صرية في مقتل للصناعة المنسوجات المصرية.

٢- محاطر ربط صادرات مصر من الملابس والمنسوجات بأسواق الأمريكية وبوساطة إسرائيلية ، والتمييز بين المنتجين الذين لا يستطيعون العمل وفقاً لهذا النظام. وبين المصدرين من تلك المناطق.

٣- تؤدي إقامة هذه المناطق إلى ارتباط جانب هام - ومتزايد - من الاقتصاد المصري بأداء الاقتصاد الاسرائيلي الذي يمتلك مقومات تكنولوجية متطورة في القطاعات المطروحة

٤- ربط العمالة المصرية في مجال الملابس والمنسوجات بأداء الصادرات المصرية إلى السوق الأمريكية والتعاون مع إسرائيل. والخشية من تأثر عمل هذه المناطق لأسباب سياسية أو اقتصادية.

٥- وجود بديل للنهوض بقطاع الملابس والمنسوجات

٢٣ وجهات نظر

يتساءل البعض عما إذا كان
من قبيل المصادفة أن الذين
أسهموا في تعطيل مسار الاتفاق الأوروبي ينتمون
للمجموعة المستقيدين
بالاتفاق الأمريكي



في منطقة التجارة الحرة العربية
اتفاقية المشاركة المصرية الأوربية
اتفاق الكوميسا، وكلها أسواق تسمح
بنفاذ الصادرات المصرية دون رسوم
جمركية أو خصص أو واسطة
إسرائيلية. كما تطرح منطقة التجارة
الحرة لدول إعلان أغادير إمكانية
التراكم بين الدول العربية الأربع
الموقعة عليه دون شرط وجود مكونات
إسرائيلية.

• تأثير المناطق الصناعية المؤهلة
التساول حول مدى تمضيها مع أحكام
التفاقيات الجات، حيث تعتمد على
حصول الصادرات من بعض السلع على
مزايا تفضيلية لتضاد لسوق
الأمريكية لا يقابلها التزام.



احيط الاتفاق بقدر كبير من
الترحيب المبالغ من يستفيدون منه،
وتقدمية كطوق النجاة لصناعة
النسوجات (التي لا يلتزم باستخدام
مكوناتها في إنتاجه المصدر للولايات
المتحدة). كما لقي الاتفاق عدم ترحيب
من الأوساط المعارضة له تحسنت
مبالغات كثيرة حول الأبعاد السياسية
، وحول دور أمريكي ضاغط على مصر
لتوقيعه لحساب استعادة إسرائيل.
بينما لا تخفى مصر علاقتها بإسرائيل
والتي تشمل التجارة والسياحة
والتعاون الفني. وقد عبرت مصر عن
مخاوف واضحة بقولها بالتعاون الإقليمي
في خدمة السلام وخلق رأى عام
مستفيد من هذه التعاون ولما يخلقه
من مصالح تجعل مصالحها يقفون في
وجه تطرف معارسات حكومة إسرائيل.
إلا أن الواقع يقول إن اتفاقيات
المشاركة الأوربية المتوسطية تضجع -
أيضا - التعاون الإقليمي، ولكن
بشرطية أقل استغناء. حيث تستمر
مكونات مصرية في الصادرات نسبتها
٨٠٪ على الأقل، واستكمالها بمكونات
من منشأ الأنتى عشرة دولة في جنوب
وشرق البحر المتوسط. بما يشمل
شاماني دور عربية بالإضافة إلى تركيا
وقبرص ومالطا وإسرائيل. وبذلك لم
تتسر التعاون الإقليمي لكي يبدأ
وينتهي عند إسرائيل.

لكن التوقيع على الاتفاق دون
تمهيد مسرح عملياته - بالضرورة التي
حرصت الحكومة عليها في الاتفاقيات

مع الدول العربية والاتحاد الأوربي
ومع دول كوميسا - زاد من قدر
التشكك في أهدافه ونواياه، خاصة أنه
يعقد مع دولة لها تاريخ طويل في
العداء لمصر والعرب والفلسطينيين.
قبل أن تعقد معها معاهدة للسلام. ولا
يخفى قاداتها الآن نواياهم في تعطيل
مسيرة السلام.
وعلى النطاق العننى والاقتصادي
فقد قدم الاتفاق على أنه يدل يساهم
في حل عدة معضلات:

الأولى تتعلق بكيفية تخلى
مشكلة انتهاء نظام
النسوجات، رغم أن انتهاء نظام
الحصص كان معروفا من أكثر من عشر
سنوات مع انتهاء مفاوضات جولة
أورجواي على الأقل عام ١٩٩٤، وتواجهه
كل دول العالم النامي.

والثانية تتعلق بالرغبة في عقد

اتفاق للتجارة الحرة مع الولايات

المتحدة بالتوازي مع الاتفاق الأولى،

تجاشي تحول تجارة مصر في الاتجاه

الأوربي، ويتساءل البعض عما إذا كان

من قبيل المصادفة أن الذين أسهموا في

تعطيل مسار الاتفاق الأوربي ينتمون

لمجموعة المستفيدين بالاتفاق

الأمريكي.

غير أن أهم ما وجه للاتفاق من نقد
فنى يدور حول الآتى :

١ - قبول مصر برهض الولايات
المتحدة غير المبرر لعقد اتفاق للتجارة
الحرة ، فى الوقت الذى وقعت اتفاقات
مماثلة مع إسرائيل والمكسيك وكندا
والأردن والبحرين والغرب. فما العيب
فى مصر التى تعتبر عامل التوازن
ورائدة جهود السلام فى المنطقة.
٢ - يتحيز الاتفاق لصالح إسرائيل
ضد كل صناعات المنطقة، فالسلعة
التي يمكن انتاجها بمكونات مصرية
وعربية لا تستفيد بالإعفاء الأمريكى،
وحتى السلعة التى تصنع من مكونات
مصرية مائة بالمائة لا تستفيد من هذا
الإعفاء.

٣ - ستمنح مصر شهادة منشأ
مصرية لصادراتها إلى السوق
الأمريكية إذا انتجت بمكونات غير
مصرية تصل إلى نسبة ٧٠٪ (تشمل
حاصل جمع المكونات الإسرائيلى والمكون
الأجنبى). وإذا توفرت صادرات مصرية
تتضمن مكونات وطنية تصل إلى ٣٠٪
استكملت بمكونات من دول
منطقة التجارة الحرة العربية بنسبة
١١.٧٪ ، فلن تتمتع بالإعفاء الأمريكى
ما لم تتضمن ١١.٧٪ من المكونات

الإسرائيلية حتى وإن لم يكن للمكونات
الإسرائيلية أى لزوم.

٤ - وإذا استطاعت الصناعة المصرية
إنتاج ملابس بمكونات مصرية بنسبة
١٠٠٪ ، فلن تتمتع بالإعفاء الجمركى
الأمريكى ما لم تستخدم نسبة ١١.٧٪
على الأقل من المكونات الإسرائيلية.
٥ - ويعنى ذلك أن مصر وقعت على
اتفاق تمنح بمقتضاه مزايا للمكونات
ذات المنشأ الإسرائيلى تملو تلك التى
تمتحنها للسلع والمكونات ذات المنشأ
العربى، بل وتملو على فضلية المكونات
ذات المنشأ المصرى. وأصبح للمكونات
الإسرائيلية وضع العشر المانع
للتصدير للولايات المتحدة، وربما
يتعارض ذلك مع التزام مصر فى
منطقة التجارة الحرة العربية الشاملة
والذى ينص على عدم جواز منح مزايا
لأطراف أجنبية تفضى على تلك
المتبادلة فى الإطار العربى.

٦ - يمسك الاتفاق تناقضا فى
الموقف المصرى من قواعد المنشأ فى كل
من الاتفاقيات العربى والأوربي، فتلك
الاتفاقيات تتطلب استخدام القشة
مصرية كتشريع لاختيار منشأ الملابس
من مصر. وتتضمن مصر عربيا وإوريا
بهذه الشروط حفاظا على صداقة
النسوجات، لكنها ألغت فى الاتفاق
الإسرائيلى بإكساب صفة المنشأ ملابس
مصنوعة فى مصر من القشة غير
مصرية. وكيف ستفسر ذلك للدول
العربية التى طالبت بمعاملة مماثلة.
ورغم كل ذلك فربما كان من الممكن
القبول بالاتفاق من منطلق :

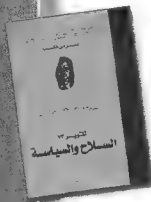
• أن المفاوضات المصرى مع إسرائيل
وأمرىكا قبل بالصفقة كاحسن رهض
(مناخ)، ولدينا الشقة فى أن الغرار
السياسى قد يربى ما لا نراه، بحكم هراق
المعلومات.

• أن الصفقة تمثل عرضا يفيد فئة
من صناعات الملابس المصرية التى لا
تستخدم النسوجات الناشئة من مصر.
وأنها تتم فى سياق التعاون الإقليمى
الذى يشجع قوى معينة فى إسرائيل
على التعاون الاقتصادي مع جيرانها
كبدل للحوار واحتلال الأراضي.
لكن الأمر يتطلب التأكد من عدم
التوسع فى هذا النوع من الاتفاقيات لما
يفرضه من ارتباط غير مبرر بالصناعة
الإسرائيلية. ولأنها تسمح بصناعة
ملابس لا تستخدم منشوجات مصرية.
ولأن مصر تستحق معاملة أفضل من
الصديق الأمريكى. ■

| درجة التكامل | إجراءات التكامل |
|---------------------------|---|
| ١. منظمة التجارة العالمية | • تكفل لأعضائها المعاملة وفقا لشروط الدولة الأولى بالرعاية، حيث تحصل الدولة العضو على أفضل معاملة تتبادلها الدول الأعضاء عدا الاستثناءات التى تشمل المزايا المقدمة للتجمعات الإقليمية وغيرها. |
| ٢. منطقة تجارة حرة | • توفر حرية انتقال السلع بين الأعضاء دون رسوم أو قيود. وتحتفظ كل دولة عضو بتعريفاتها الجمركية المستقلة تجاه الدول غير الأعضاء |
| ٣. اتحاد جمركى | • يضاف لما سبق إزالة القيود الجمركية بين الدول الأعضاء مع إقامة جدار جمركى موحد فى مواجهة الدول الأخرى، وتفرض تعريفية جمركية مشتركة تجاه الأطراف غير المتعاقدة. |
| ٤. سوق مشتركة | • تشمل كل الخطوات السابقة، بالإضافة لتحرير الخدمات وحركة الأفراد ورأس المال ، وتبنى سياسات تجارية ومالية مشتركة. |
| ٥. وحدة اقتصادية نقدية | • تجمع بين إلغاء القيود وتنسيق السياسات الاقتصادية، وتزويبات تسهيل للدفعات بإحلال عملة موحدة محل العملات الوطنية، وإعطاء سلطة عليا لتدبير الاقتصاديات المتكاملة فى كيان واحد. |

أحدث إصدارات دار الشروق

حرب الثلاثين سنة



الاشتراكي ويدات منذ ذلك الحين تظهر حتى التنافس في غير المجال العلمي. هتملق قيادات التنظيم السياسي، والتطوع للتمانق مع أجهزة الأمن (كتابة التقارير عن الزملاء) كانت الطريق التي سلكها الانتهازيون للحصول على المكافآت: مناصب المستشار الثقافي بالسفارات المصرية بالخارج. ومناصب الهيئات الدولية. وانتظار حلول السور، لتولي منصب «المورير».



وبلغ شلق أعضاء هيئة التدريس السلطة مداه في عصر السادات، فهدلت قواعد القبول بالجامعات لتسمح لحملة الـ GCE وهي شهادة التعليم العام البريطانية التي تعادل الإعدادية (من حيث المستوى العام) حتى يتسنى لزوجة الرئيس وينائها الالتحاق بالجامعة. فكانت الآداب وجهتهن، وكان الأستاذة الدرجات لهن. وكانت رسالة الماجستير التي تقدمت بها زوجة الرئيس، الفصل محرزاً في تاريخ الجامعات المصرية. أذنت المناقشة كاملة بالتليفزيون المصري. وأعيدت إذاعتها مرة أخرى، فقد حضرها الرئيس. وجاء على لسان أحد أعضاء اللجنة (بعد أن ألقى قصيدة مدح من نظمه) أن الرسالة تستحق من جدارة درجة الدكتوراة وليس الماجستير، ونعى على القانون قصوره في هذه الناحية. واضطرت سهر القلماوي أن تشارك الموقف، وتفسر ما قاله الأستاذ المناقش بأنه شكل من أشكال التعبير عن الإعجاب بالرسالة.

كانت جيها السادات بعد تخرجها بامتياز لقد عينت معيدة بقسم اللغة العربية، وكانت تدرس مادة اللغة العربية لطلبة الفرقة الأولى بقسم اللغة الألمانية وتخصصت إحدى عضوات هيئة التدريس (وكانت بدرجة أستاذ مساعد) من قسم اللغة الألمانية في امتيائها عند حضورها إلى الكلية، وإعداد القهوه لها بنفسها، وكوفت بعد ذلك على هذه المهمة الوطنية، بتولى منصب المستشار الثقافي بسفارة مصر بألمانيا. وتسايق أعضاء هيئة التدريس في تقديم الاتفاقيات إلى المعيدة السيدة الأولى، فهذا تعيين تعيين ابنته في وظيفة مهمة، وذلك بطبع، شقة لكل من ولديه، إلى غير ذلك من طليات، وتولى بعض أستاذة قسم اللغة العربية التدريس لها في منزل الرئيس، وكوفت منهم من كوفت بمناصب المستشار الثقافي، والمراكز الرئيسية في حزب الصيغة. ولكن ذلك لا يبلغ ما بلغه مكافأة معيدة الكلية التي صعد إلى منصب نائب رئيس الجامعة، ثم كان أول رئيس الجامعة بتوليته الشورى، وكوفت رئيس الجامعة بتوليته رئاسة مجلس الشعب.

وعندما حصلت جيها السادات على

العدد الثاني والسبعون - يناير ٢٠٠٥ م

تقنت القبة وههم!!

ر ع ف ع ب ا س



رووف عباس أحد أبرز المؤرخين المعاصرين المهومين بالأم الوطن وآماله، انتمى إلى مدرسة حولت دراسة التاريخ من مجرد سرد لوقائع وأحداث إلى اشتباك مع الماضي لصالح الحاضر والمستقبل ومن عرض لتاريخ الحكم وهاليز السلطة إلى بحث دهب عن دور للمواطن العادي. عباس الذي ارتبط بالجامعة لمدة تزيد على ٤٠ عاماً عمل خلالها معيداً ثم أستاذاً ورئيساً لقسم التاريخ بجامعة القاهرة، ولد عام ١٩٢٩ لأسرة فقيرة وحصل على الدكتوراة عام ١٩٧١ وبعد عام واحد سافر إلى اليابان في مهمة علمية ليكون أحد أهم الأكاديميين العرب الذين لغتوا الانتباه إلى المجتمع الياباني. لم يقتصر دور روف عباس على العمل الأكاديمي بل عمل على نقل المعرفة التاريخية إلى المواطن العادي، من خلال نشر المقالات والدراسات في الصحف، كما رأس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية. أصدر مؤلفات مهمة عديدة في التاريخ المصري الحديث وتاريخ اليابان، كما ترجم العديد من الكتب التي أثرت المكتبة العربية، وأخيراً كتب عباس سيرته الذاتية. وهنا أحد فصولها.



كانت الجامعة عند صاحبنا حلاًماً ودياً، بعد أن قدر له أن يكون من طلابها، وكانت صورة الجامعة عنده هي تلك التي عرفها في آداب عين شمس. الاهتمام بتكوين الطلاب علمياً، وزيائهم. كان مثله الأعلى أحمد عبد الرحيم مصطفى الأستاذ القدير الذي يصادق تلاميذه. وأحمد عزت عبد الكريم الذي يعامل تلاميذه معاملة الإبناء، ويرعاهم، ويوفر الحماية لهم. حقاً كانت هناك نماذج أخرى مختلفة إلا أنها كانت خروجاً على القاعدة، فقد كان أستاذة عين شمس - عندئذ - يحرصون على أن يرقوا لمستوى خريجهم، في تناقش واضح مع جامعتي القاهرة والإسكندرية.

وعندما داعبت صاحبنا أحلام الانتماء إلى هيئة التدريس بالجامعة. كانت صورة المناخ العلمي بأداب عين شمس هي النموذج الذي يتوقع وجوهه بالجامعة. ولكن التحاقه بقسم التاريخ بأداب القاهرة، وما واجهه من مناخ مغاير تماماً، هن صورة الجامعة عندهم فاهتمامات الأساتذة في جلساتهم الخاصة بالتنمية، وتسايق اختيار معسكر الأعداء داخل القسم هي السائدة أما القضايا العلمية والمنهجية، فلم يجدوا إلا في مجلس محمد أنيس. وكان ذلك نادراً.

كذلك أدى استوار أساتذة الجامعات، والتركيز على جامعة القاهرة في هذا الصدد، إلى تآكل استقلال الجامعة. نتيجة شلق أعضاء هيئة التدريس للسلطة، وقبولهم لما فرضه القانون الخاص بالجامعات من ضوابط قيود الحريات، وأخذت الجامعة لتسلطان أجهزة الأمن. فكان مدير إدارة الأمن بوزارة التعليم العالي يمارس نفوذاً على الجامعات يفوق سلطات الوزير نفسه، وتسايق المناقشون لتسلطه. فهو الذي يملك السماح لهذا بالسمر. وتعطيل سفره، ويملك تهديد فرصة الإعادة لن يشاء. وبلغ التملك ذروته عندما حصل الرجل على درجة الدكتوراة من إحدى كليات الآداب، وتكرر نموذج، دكترة، مدير أمن التعليم العالي. بل ومديري أمن الجامعات.

هان السادة على السلطة، عندما هانت عليهم أنفسهم، فلم يستطع الحريصون على استقلال الجامعة وتقليدها تنظيم حركات احتجاجية على ما يجري للجامعة. وإذا كان هذا المناخ لم يكن محسوساً بأداب عين شمس، فليس معنى هذا أن جامعة عين شمس سلمت من هذا التملك، فسرعان ما انتقلت إليها العنوى بعد تشكيل الاتحاد

صفحات من كتاب

«مشيها خطى - سيرة ذاتية»

رووف عباس

دار الهلال: ٢٣٦ صفحة، ٢٠٠٤

أن يعين أعضاء اتحاد الطلبة، وقائمة الأمن جازة دافماً

هَذَا رَفَضَ الْعَمِيدُ السَّمْعَ إِلَى التَّصَانُحِ الْمَزْمُومَةِ، الَّتِي يَقْدِمُهَا لَهُ رَجَالُ الْأَمْنِ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَهَامُرُ بِمُسْتَقْبَلِهِ الْإِدَارِيَّ، فَهَلْ يَلْبِغُ الْإِثْمُ أَنْ يُقَرَّرَ تَرْشِيحُهُ لِمَنْصِبِ رَئِيسِ الْجَامِعَةِ الَّتِي يَصْعَقُ كُلُّ عَمِيدٍ نَصَبَ بَيْنِيهِ الثَّنَاءَ إِذْ لَمْ يَعْمَلْ، كَمَا أَنَّ مَعَالِيْمَ الْكَلْبِيَّةِ - فِي عَهْدِهِ - لَنْ تَلْقَى اسْتِجَابَةً مِنْ رَئِيسِ الْجَامِعَةِ (إِذَا لَمْ يَكُنْ عَلَى شَاكِلَةِ إِبْرَاهِيمِ بَدْرَانَ) فَلَا يَسْتَجِيبُ رَئِيسُ الْجَامِعَةِ لَطُلَّابِ الْكَلْبِيَّةِ فِي الْمَسَائِلِ الْمَالِيَّةِ وَالْإِدَارِيَّةِ، وَتَعْتَرِضُ قَرَارَاتُ مَجْلِسِ الْكَلْبِيَّةِ فِي الْاعْتِمَادِ عَلَى رَئِيسِ الْجَامِعَةِ أَوْ مِنْ مَجْلِسِ الْجَامِعَةِ.

هَذَا أَصْبَحَ الْعَمِيدُ نَائِبًا لِرَئِيسِ الْجَامِعَةِ، وَضَعْ نَصَبَ بَيْنِيهِ التَّرَوُّعَ عَلَى الْكَرْسِيِّ الْكَبِيرِ، أَيْ رِئَاسَةَ الْجَامِعَةِ، فَجِئْتُ مِنْ إِيرَاقٍ (وَالَّذِي، لِأَجْهَرَةِ الْأَمْنِ بِتَقْدِيمِهِ، دُخْمَاتٌ عَامَةٌ أَوْ خَاصَّةٌ مِنْ مَجَالِ الْإِخْتِصَاصِ، وَلَكِنْ الْأَمَلُ الْأَكْبَرُ هُوَ «الْكُرْسِيُّ الْعَالِي» أَيْ الْوَأُورِ، الَّتِي تَحْتَطُّبُ مُتَحَرِّكَاتٌ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ خَارِجِ الْحَامِيَّةِ، مَعَ الْمُتَمَرِّضِينَ مِنْ رَجَالِ حِزْبِ الْحُكُومَةِ، وَمَعَ مَنْ يَسْتَبِجُ لَهُ قَرِيبَهُ مِنَ الرِّئِيسِ الْفُشْرَاحِ بَعْضُ مَنْ يَخْتَارُونَ لِمَنْصَبِ الْوَزَارَةِ.

أَمَّا اخْتِيَارُ رَئِيسِ الْجَامِعَةِ فَهِيَ مِنْ خِلَالِ لَرِئَاسَةِ أَجْهَرَةِ الْأَمْنِ لِأَحَدِ الْمُرْشَحِينَ الثَّلَاثَةِ الْفَرْدِينَ يَتَقَدَّمُ وَزِيرُ التَّعْلِيمِ الْعَالِي بِأَسْمَائِهِمْ إِلَى الرِّئِيسِ، وَأَهْيَا يُنَاقِشُ الْقَرَارَ بِتَقْدِيمِ شَخْصٍ لَمْ يَرِدْ اسْمُهُ فِي الْمُرْشَحِينَ، كَمَا حَدَثَ عِنْدَ تَحْقِينِ أَحَدِ رِئَاسَةِ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ، لِذَلِكَ كَانَ رَئِيسُ أَعْرَاسِ الْجَمْعِيِّ عَلَى التَّقَاسِي فِي خِدْمَةِ أَجْهَرَةِ الْأَمْنِ، وَلَا يُرْفَضُ لِأَحَدٍ مِنْ كِبَارِ ضَبَاطِهَا طَلِبًا، شَخْصِيًّا، وَتَجَاوُزُ أَحَدَهُمْ حُدُودَ الْوَلَاءِ لِأَمْنٍ لَمْ يَدْعُ تَطْبِيقَ الْقَاعِدَةِ الْقَانُونِيَّةِ الَّتِي جَرَى اتِّبَاعُهَا، وَهِيَ بَقَاءُ مَنْ يَتَوَلَّى مَنْصِبًا إِدْرَاسِيًّا مِنْ الْأَسَاتِذَةِ فِي مَعَارَسَةِ أَعْمَالِ مَنْصِبِهِ حَتَّى نَهَايَةِ الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ (أَخَرُ يُونِيُو) فِي حَالَةِ بُلُوغِهِ سِنِ السِّتِينَ قَبْلَ هَذَا الْكَارِخِ، فَهَذَا رَئِيسُ جَامِعَةِ الْقَاهِرَةِ يَتَقَدِّمُ لِعَمِيدِ الْجَزَائِرَةِ بِدِيلًا لِلْعَمِيدِ الْقَدِيمِ فُور بُلُوغِهِ السِّتِينَ (فِي مَنْصَبِ الْعَامِ الدِّرَاسِيِّ) لِأَنَّهُ رَفَضَ طَلِبَ الْأَمْنِ الَّذِي أَلْفَعَهُ لَهُ رَئِيسُ الْحَامِيَّةِ بِأَعْمَلٍ عَلَى اسْتِعْمَالِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الطُّلَّابِ مِنْ تَرْشِيحِ لَاتَّحِبَاتِ اتَّحَادِ الطُّلَّابِ، وَلَمْ يَنْبَغِ لِرَئِيسِ الْجَامِعَةِ (إِلَى أَنَّهُ «مَوْطَفٌ حُكُومِيٌّ، وَإِنْ عَلَيْهِ أَنْ يَطْبِيعَ» «أَوَامِرُ الْحُكُومَةِ»، وَهِيَ عَلَيْهِ الرِّجْلُ بِأَنَّهُ «أَسَاتِذُ جَامِعِيٍّ» أَوَّلًا وَآخِرًا) - وَإِنْ ضَمِيرُهُ لَا يَسْمَحُ لَهُ بِأَنْ يَتَرَدَّى إِلَى هَذَا الْمَسْتَوَى فِي التَّعَامُلِ مَعَ طُلَّابِهِ،..

نَعْنِي رَئِيسَ الْجَامِعَةِ طَلَبَ مِنْ عَمِيدِ الْأَبَابِ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ تَتَوَلَّى مَنْصِبَهُ رَفَعَ اسْمَ أَحَدِ أَسَاتِذَةِ قِسْمِ التَّارِيخِ (وَكَانَ رَئِيسًا سَابِقًا لِقِسْمٍ) مِنْ جَدُولِ الدِّرَاسِيِّ بِمَرَحَلَةِ الْبَيِّنَاتِ، وَلَمْ يَكُنْ قَرَارَ تَحْقِينِ ذَلِكَ الْعَمِيدِ أَوْ مَا تَخَذَهُ الرِّئِيسُ الْجَدِيدُ مِنْ قَرَارَاتٍ



بلغ تملق

أعضاء هيئة التدريس

للسلطة

مذاه في عصر السادات،

فقدت قواعد

القبول بالجامعات

حتى يتسنى

لزوجة الرئيس

وإناتها الالتحاق

بالجامعات



خُصُومَةً مَعَهُ، أَوْ يَعِدُ شَخْصًا بِعَيْنِهِ قَدْ يَكُونُ صَاحِبُ الصَّوْتِ أَوْ مِنْ تَرْكِيزِهِ لِلْمَنْصَبِ، لِيَصْبِحَ أَحَدُ الْوَكِيلِينَ. وَوَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى حَدِّ زِيَارَةِ الْيَوْمِ، وَطَلَبَ الْقِسْمَ عَلَى الْمَصْحَفِ لِتَلَاكُثٍ مِنْ الْحُصُولِ عَلَى الْأَصْوَاتِ، وَهِيَ مَهْزَلَةٌ بِكُلِّ الْمَعَالِيرِ لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِتَرْشِيحِ طَلِبَةٍ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ، فَهَذَا كَانَ مِنْ حَقِّ التَّصَوُّيَاتِ أَنْ يَخْتَارَ ثَلَاثَةً أَسْمَاءَ مِنْ قَبْلِ الْقَاضِيَةِ الَّتِي تَقْضِيهَا أَسْمَاءُ الْأَسَاتِذَةِ الْكَلْبِيَّةِ حَسَبِ الْقَدِيمِ، ثُمَّ تَحْصُرُ الْأَصْوَاتُ، لِيَكُونَ هُنَاكَ فِي النِّهَايَةِ ثَلَاثَةُ أَسْمَاءَ يَبِينُ أَمَامَ كُلِّ مَنَاحٍ مَا حَصَلَ عَلَيْهِ مِنْ صَوْتَاتٍ وَتُرْتَبِ أَسْمَاءُ الْفَائِزِينَ تَرْتِيبًا تَنَازُلِيًّا (أَوَّلُ - ثَانِي - ثَالِثُ) ثُمَّ تُرْسَلُ لِرَئِيسِ الْجَامِعَةِ لِيَقْبَضَ وَاحِدًا مِنْهُمْ وَيُصَدِّرُ الْقَرَارَ بِتَحْقِينِهِ، وَهُوَ (عَادَةً) يَخْتَارُ مَنْ لَا يَتَعَرَّضُ الْأَمْنُ عَلَى اخْتِيَارِهِ.

فَهَذَا كَانَتْ لِأَجْهَرَةِ الْأَمْنِ الْكَلْبِيَّةِ الْعِلَاقَةُ فِي التَّرْشِيحِ لِلْمَنْصَبِ الْإِدْرَاسِيِّ الْجَامِعِيِّ عَامَةً، وَمَنْصِبِ الْعَمِيدِ خَاصَةً، نَظَرًا لِأَنَّ الْعَمِيدَ مَنْصَبُ الْعَمِيدِ فِي تَحْدِيدِ اسْلُوبِ التَّعَامُلِ مَعَ الطُّلَّابِ، وَطَبِخِ، الْخِيَارَاتِ اتَّحَادِ الطُّلَّابِ عَلَى مَسْتَوَى الْكَلْبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ ثَلَاثًا قِسْمِيَّةً أَمِنْ بِالْدرَجَةِ الْأُولَى، لِذَلِكَ وَقَعَ اخْتِيَارُ رِئَاسَةِ الْجَامِعَاتِ، فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ - عَلَى نَاحِيَةٍ فِي التَّرْتِيبِ الثَّلَاثِ وَحَصَلَ عَلَى صَوْتَاتٍ لَا تُرْجَى عَلَى ١٠٪ مِنْ مَجْمُوعِ الصَّوْتَاتِ الثَّلَاثِيَّةِ، وَهَذَا كَانَ حُرُوسَ الطُّلَّابِ عَلَى الْمَنْصَبِ عَلَى حَسَنِ تَقْدِيمِ انْقِسَامِهِمْ لِأَمْنٍ (مِنْ خِلَالِ مَنْ لَهُمْ صِلَةٌ بِالْأَمْنِ مِنْ مَوَدِّعِهِمْ)، وَلَوْ كَانَ مَنْصَبُ الْعَمِيدِ بِدَايَةِ الصُّعُودِ، إِلَى مَنْصَبِ الْقِيَادَةِ بِالْجَامِعَةِ (ثَانِي الرِّئِيسِ وَالرَّئِيسِ) وَهِيَ مَنْصَبٌ لَا يَنْتَهِئُ إِلَّا مِنْ لَا يَتَعَرَّضُ عَلَيْهِ الْأَمْنِ، فَهَذَا كَانَتْ مَعْظَمُ الْمَعَامِلِ الْمُتَحَقِّقِينَ يَبِينُونَ عِلَاقَةً «حَمِيمَةً» مَعَ أَجْهَرَةِ الْأَمْنِ، تَبْدُلًا بِحَسَنِ الْأَدَاءِ فِي عَمَلِيَّةِ «طَبِخِ» انْتِخَابَاتِ اتَّحَادِ الطُّلَّابِ، وَالاسْتِجَابَةِ لَطَلِبَاتِ الْأَمْنِ بِهَذَا الْخُصُوصِ لَمُنَّ طُلَّابَ بَعْضِهِمْ مِنْ التَّرْشِيحِ، وَهَذَا تَجَلَّى قَرَارَاتِ اتَّحَادِ الطُّلَّابِ، فَجِئْتُ لَطَلِبِ الْكَلْبِيَّةِ (الَّذِينَ يُطَلِّبُ الْأَمْنُ إِبْرَاهِيمًا) إِلَى التَّحْقِيقِ عَلَى نَاحِيَةِ تَهْمَةٍ، وَتَكُنْ تَهْمَةُ الْإِلْحَاقِ بِنِظَامِ الدِّرَاسَةِ، فِي أَنْ يَكُنْ ذَلِكَ التَّهْمُ، وَيَمْتَدُّ التَّحْقِيقُ إِلَى انْتِهَاءِ مَوْعِدِ التَّرْشِيحِ، وَحِينَئِذٍ أَوْ اسْتَمَرَّ إِلَى مَا يَبْدَأُ الْإِنتِخَابَاتِ، ثُمَّ تَوْقُفُ عَلَى طَلِبِ الطُّلَّابِ عَقُوبَاتٌ تَافَهُةٌ بَعْدَ أَنْ يَنْتَهِيَ الْفُرْصُ الَّذِي حَوَّلُوا لِلتَّحْقِيقِ مِنْ أَجْلِ.

أَمَّا الْعَمِيدُ «الْفُتُورُ الْفُتُورُ الْفُتُورُ» لِلْأَجْهَرَةِ الْأَمْنِيَّةِ، فَجُودِي إِلَى أَعْمَالِ مِيْنَةِ الدِّرَاسَةِ بِإِلْعَانِ الطُّلَّابِ أَنَّهُ لَنْ تَكُونَ هُنَاكَ مُحَاضَرَاتُ يَوْمِ الْإِنتِخَابَاتِ، فَإِذَا اسْتَمَعَ أَحَدُهُمْ عَنِ الْقِيَامِ بِذَلِكَ فَهَذَاكَ عَظَمَاءُ مِنْ زَمَلَاتِهِ يَتَمَتَّنُونَ رِضَا الْعَمِيدِ عَنْهُمْ لِمَنْصَبِهِمْ مَصَالِحُهُمْ الْخُصُوصِيَّةِ، وَتَكُونُ التَّحْقِيقُ عَدَمُ وَجُودِ أَحَدٍ الْأَدْنَى مِنَ التَّالْفِينَ يَوْمِ الْإِنتِخَابِ، مَا يَعْطَى الْحَقَّ الْقَانُونِيَّ لِلْعَمِيدِ الْهَامِ

الْمَاجِسْتِيرِ عُبَيْتٌ مَدْرَسًا مُسَاعِدًا، وَكَانَ الْإِجْرَاءُ الْمُتَّبَعُ فِي الْجَامِعَاتِ الْمِصْرِيَّةِ تَطْبِيقًا لِقَانُونِ الْجَامِعَاتِ هُوَ اعْتِمَادُ الرِّجْعَةِ الْعِلْمِيَّةِ بِمَجْلِسِ الْقِسْمِ وَمَجْلِسِ الْكَلْبِيَّةِ، ثُمَّ اتَّخَذَ قَرَارَ التَّعْيِينَ بِالْجُلْسَةِ الثَّانِيَةِ (بَعْدَ شَهْرٍ)، وَلَكِنْ نَحْنُ نَغْيَرُ الْإِجْرَاءَ فِي الْجَامِعَةِ كَلَّهَا، فَصَارَ اعْتِمَادُ الرِّجْعَةِ يَتِمُّ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْ جَدُولِ أَعْمَالِ الْمَجْلِسِ، ثُمَّ يَتِمُّ التَّعْيِينَ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ نَفْسِ الْجُلْسَةِ، وَأَصْبَحَتْ تِلْكَ الْبَدْعَةُ الْإِجْرَائِيَّةُ إِلَى الْإِجْرَاءِ الْمُتَّبَعِ حَتَّى الْيَوْمِ فِي تَعْيِينَ الْمُدْرِسِينَ الْمُسَاعِدِينَ وَالْمُدْرِسِينَ.

وَلَمْ يَجِئْهَا اسْمَاتُ لَمْ تَطْلُبْ ذَلِكَ، فَغَابَ الظَّنُّ أَنَّهُ جَاءَ بِمُعَادَةٍ مِنْ جَانِبِ الْعَمِيدِ، أَقْرَبًا رَئِيسَ الْجَامِعَةِ، وَلَا أَدْرِي عَلَى ذَلِكَ مَا لَقِيَهُ الْعَالَمُ الْجَالِيلُ حَسَنَ حُضْنٍ مِنْ تَنْكِيلِ الرِّجْلَيْنِ (الْعَمِيدِ وَرَئِيسِ الْجَامِعَةِ) فَهَذَا لِمُجَرَّدِ اعْتِرَاضِهِ عَلَى حُصُولِ جِيْهَانِ السَّادَاتِ عَلَى درَجَةِ «مُعْتَمَدًا» فِي الْبَيِّنَاتِ، وَاحْتِيَاجِهِ عَلَى ضَمَدٍ مَعَهُ مِنْ كَالِهَا لَهَا الدَّرَجَاتِ، فَتَأَخَّرَتْ تَرْقِيَةِ الرِّجْلِ (رَغْمَ أَنْ تَقْرِيرَ الْمَجْلِسَةِ الْعِلْمِيَّةِ أَوْصَى بِتَرْقِيَتِهِ عَنْ جِدَارَةٍ) حَتَّى رَجَلَ عَمِيدِ الْكَلْبِيَّةِ وَرَئِيسِ الْجَامِعَةِ لِيَتَرَعَّبَا عَلَى مَقَاعِدِ الْمَجْلِسِينَ الْبَيِّنَاتِيِّينَ، فَهَذَا الدُّكْتُورُ الْإِبْرَاهِيمُ بَدْرَانَ بِعَرَضِ التَّقْرِيرِ عَلَى مَجْلِسِ الْجَامِعَةِ، وَبَعْدَمَا أَظْهَرَهُ بَعْضُ الشُّرَفَاءِ مِنْ أَسَاتِذَةِ الْجَامِعَةِ حَقِيقَةَ الْمَوْقِفِ، وَشَاقَتْ مِنْ هَذَا الرِّجْلُ وَسُفَهَا، فَهَذَا كَانَ عَالِمًا جَالِيًّا مُنْصَبًا، لَا يَخْشَى عَلَى الْحَقِّ لَوْعَةً لَأَمَلٍ.

وَلَمْ يَكُنْ الْأَخْذُ بِمُعَادَةٍ اتَّخَذَ الْعَمِيدُ (الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ قَانُونُ نِظَامِ الْجَامِعَاتِ وَأَفْئِي فَيَسُودُ بَعْدَ ذَلِكَ لَلْإِصْلَاحِ) وَلَتَمَتَّعَ أَعْمَالُ هَيْئَةِ التَّحْقِينِ بِحَقِّ اخْتِيَارِ رَئِيسَتِهِمُ الْعِلْمِيَّةِ. يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى النِّصْنِ عَلَى أَنْ يَخْتَارَ رَئِيسَ الْجَامِعَةِ مِنْ بَيْنِ الثَّلَاثَةِ الْأَوَّلِ مِنْ يَحْيَى عَمِيدًا، وَلَمْ يَنْصُ عَلَى مِيْنَةِ التَّرْشِيحِ، بِحَيْثُ يَتَقَدَّمُ مَنْ يَرْغِبُ فِي تَرْشِيحِ نَفْسِهِ لِلْمَنْصَبِ بِطَلَبِ هَذَا الْمَعْنَى، فَتَكُونُ هُنَاكَ فُرْصَةٌ لِأَعْمَالِ هَيْئَةِ التَّحْقِينِ لِلتَّحْقِيقِ عَلَى رِجَالِ مَرْشَحٍ وَمُخَاضِلَةٍ يَبِينُ الْمُرْشَحِينَ حَسَبَ تَارِيخِهِمْ الشَّخْصِيَّ، وَمَا يُمْكِنُ أَنْ يُولَدِيَهُ كُلُّ مَنَاحٍ لِلْكَلْبِيَّةِ، وَقِيلَ فِي تَبْرِيقِ ذَلِكَ أَنَّ التَّرْشِيحَ سَيُؤَدِّي إِلَى تَرَاثُقِ الْمُرْشَحِينَ بِالْكَلِمَاتِ وَكَشْفِ عَوْرَاتِ كُلِّ مَنْحٍ أَمَامَ أَعْمَالِ هَيْئَةِ تَحْقِينِ الْكَلْبِيَّةِ، مَا يَجْعَلُ مَوْقِفَ مَنْ يَتَقَعُ عَلَيْهِ الْإِخْتِيَارُ ضَعِيفًا. وَتَحَقَّقَ عَلَى أَنْ يَشْتَرِكَ أَعْمَالُ مَجْلِسِ الْكَلْبِيَّةِ وَالْأَسَاتِذَةِ فَقَطْ مِنْ غَيْرِ أَعْمَالِ مَجْلِسِ الْكَلْبِيَّةِ فِي اخْتِيَارِ الْعَمِيدِ، أَيْ أَنَّ الْقَاعِدَةَ الْمَرْغُوبَةَ مِنْ أَعْمَالِ هَيْئَةِ التَّحْقِينِ (الْمُدْرِسُونَ وَالْأَسَاتِذَةُ الْمُسَاعِدُونَ) لَا صَوْتَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ الْإِنتِخَابِ.

وَلَكِنْ كَانَ مِنْ يَرْغِبُ فِي الْمَنْصَبِ يَتَمَتَّلُ بِهَذِهِ الدَّافِرَةِ الْمَحْدُودَةِ مِنْ أَصْحَابِ الْأَصْوَاتِ فَرْدًا فَرْدًا، وَبَعْدَ هَذَا يَنْبَغُ فَلَا تَمُنَّ مِنْ بَيْنِ مَنْ يَخْتَارُونَهُمْ لِمَنْصَبِ الْوَكِيلِ (لَأَنَّ صَاحِبَ الصَّوْتِ عَلَى

فقد وعده خيراً، وعندما اطلع صاحبنا على طلب رئيس الجامعة (وكان صاحبنا وكيلاً للدراسات العليا) حذر العميد من التورط في هذا العمل غير القانوني. لأنه لا يجوز وقف عضو هيئة تدريسي عن العمل إلا بناء على قرار سلطة التحقيق في حالة ارتكابه مخالفة جسيمة من تلك المنصوص عليها بالقانون. ولما كان الأستاذ المطلوب رفع اسمه من جداول الدراسة يتعرض بذلك للوقف عن العمل دون مبرر، فإن ذلك يعرض العميد نفسه للمتابع من جانب أعضاء هيئة التدريس بالكلية. كما أنه يعطي للأستاذ الحق في مقاضاته شخصياً، لأنه يتحمل وحده وزر منع زميله من العمل دون أن يكون هناك قرار رسمي مكتوب من رئيس الجامعة بهذا الصدد.

وقع العميد الجديد في حيز بيض، ثم اقترح على صاحبنا وزميله (وكان شئون الطلاب) أن يصحبا نقابية رئيس الجامعة وتسوية الأمر معه. وذهب ثلاثتهم إلى المكتب الذي كان خاصاً بالهيئة، فطلب صاحبنا من رئيس الجامعة أن يتسنى بهم جانباً لأميرهم. وعندما استجاب الرجل، سأله صاحبنا عن أسباب طلب منع الأستاذ إياه من التدريس، فأجاب رئيس الجامعة: «دد عامل قلق للسوية الأمنية»، فقال صاحبنا: «هل رسيب عنده أمر، أو يبنات مسئول أم تي؟». فرد الرئيس، «طب ما انت عارف اهو؟ أنا قلت ما يدرسش يعني ما يدرسش، قال صاحبنا للرئيس: «سيدانك تجلس الآن على كرسي أحمد لطفي السيد، مدير الجامعة الذي رفض المساس باستقلالها. أو يجب أن تقدم لنا تصرف محال للقانون»، فقال، «ما وجه الخاطفة للقانون»، فشرح له حكم القانون في وقف عضو هيئة التدريس عن العمل. وذهب بصحبة استشارة المستشار القانوني للجامعة (وكان عميداً لكلية الحقوق)، فإذا به موقفه، فليعه أن يصدر قراراً مكتوباً بوجه العميد الكلية لعدم بموجبه، وانصرف الثلاثة. واتصل رئيس الجامعة بالعميد في صباح اليوم التالي، ليطلعهم بعدم وجود داع لرفع اسم الأستاذ من الجداول، وأن يبقى الحال كما هو عليه. وهذه الواقعة بالغة الدلالة على مدى تقاضي بعض رؤساء الجامعات في إرضاء نزوات كبار ضباط الأمن.

ولعل أبرز دليل على اختلال معايير اختيار رؤساء الجامعات، ما اكتشفه صاحبنا بعد عدة شهور، من أن نفس رئيس الجامعة الذي ذكره بأنه يجلس على كرسي أحمد لطفي السيد، لم يكن يعرف من هو أحمد لطفي السيد الذي

كانت قاعة اجتماعات مجلس الجامعة تحمل اسمه!

فقد كان صاحبنا عضواً بلجنة موسعة شكلها رئيس الجامعة للإعداد لاحتمالية ضخمة بالعميد التسعين للجامعة القاهرة. ضمت معظم عمداء الكليات ونواب رئيس الجامعة وبعض الكلاء والكليات، وبعض الأساتذة الذين تخصصاتهم علاقة بالاحتفالية. وكانت اللجنة تتعدى مرة كل أسبوعين برئاسة رئيس الجامعة لمدة عام دراسي كامل. فقد كان رئيس الجامعة حريصاً على أن يجعل من المناسبة - حملة علاقات عامة، يروج



كانت جيهان السادات قد عينت عميدة، وتخصصت إحدى عضوات هيئة التدريس في استقبالها عند حضورها إلى الكلية. وأعداد القهوة لها، وكوفئت على هذه المهمة الوطنية، بتولي منصب المستشار الثقافي المصري بألمانيا

فيها لعمه تطلعاً إلى الكرسي الكبير، (الوزارة). وفي أحد تلك الاجتماعات كان صاحبنا يعرض على اللجنة قائمة كُلف بإعدادها عن رؤساء الجامعة السابقين ليتم تكريم الأحياء منهم بهذه المناسبة وتكريم ذكرى من رحلوا منهم، وكانت هناك فكرة من القائمين بيد كل عضو من أعضاء اللجنة يتصدرها اسم «أحمد لطفي السيد»، تليه أسماء من تولوا رئاسة الجامعة بعده، وقد سبقت أسماءهم المختصر الدال على «أستاذ دكتور (أ. د.)» ففوجئ صاحبنا برئيس اللجنة - فوجئاً - وقد وجدنا غلطة تملأ بالذم. ولم فضلكم ضعوا (أ. د.) أمام اسم أحمد لطفي السيد، فإذا بالك يشعرون أقلامهم ويضعون الإضافة، مما أصاب صاحبنا بالانزعاج. فقد يكون رئيس الجامعة يجعل أحمد لطفي السيد، فهل شاع الجهل بين العمداء والوكلاء ونواب الرئيس، والأعضاء من الأساتذة. أم أنه الخلق؟ واعترض صاحبنا بقوله: «يا رئيس، أحمد لطفي السيد لم يمتلأ الدكتوراه، ولم يحصل على درجة الأستاذية. فقد كان أعلم ممن حملوا الدكتوراه، وكان أستاذاً لأجيال متعاقبة من المصريين»، فضحك الرئيس (وضحك لضحك الجميع)، وقال موجهاً الكلام لصاحبنا: «يعني معلوم مدير جامعة لأن ما كانش عندهم غيره!!! ولا تعليق.

استأن النظام منذ عهد السادات سنة قبل أول أن تودم. وهي اختيار عناصر متفتحة معروفة بولائها للنظام أو محسوبة على أحد أركانه تتولى رئاسة كل مؤسسة من القطاع العام إلى الوزارات إلى الجامعات، واعتبار معيار الولاء هو المحدد الأساسي في الاختيار. وترك كل من يتولى أمر مؤسسة يديرها وكأنها «عزيت»، الخاصة، يفعل بها ما يشاء دون حساب أو وقيل بل لم يعد للأجهزة الرقابية تلك الهيئة التي كانت لها قبل عهد السادات، فالعبرة بمرسوخ الأقدام المسئول، وقوة الشخصية التي يستند إليها، أو يعد من مساهميه. وانعكس ذلك على اختيار رؤساء الجامعات في معظم الحالات فإذا أفلت أحد ممن اختير رئيساً لجامعة من تلك الموصفات، وأوقف جهده لإصلاح شأن الجامعة دون اعتبار لمعوقات أجهزة الأمن وحاسبين النظام، كان عرضة للإزاحة من منصبه، كما حدث مع محمد محمود الجوهري الذي كانت مصادقة لكلية الآداب عهد إصلاح وإعادة هيكلة الأداء المنصبة بالكلية. وعندما أصبح نائب لرئيس جامعة القاهرة لشئون فرع العلوم، حمل

على عاتقه - بأمانة - مهمة استكمال منشآت الفرع ووضع هيكله الأكاديمي، وعندما أصبح رئيساً لجامعة حلوان، قدم نموذجاً يتحدى لبنات جامعة من بين كليات ومعاهد متناثرة، ويضع هيكلها الأكاديمي، ويديم هيئة التدريس بأكثر العناصر كفاءة، ويكمل منشآت الجامعة بأنسب الشروط في زمن أصبح المصاد فيه هو القاعدة والمصلحة العامة هي الاستثناء. ولكن أداء الجوهري كان «نشاراً»، وسط جوقة أصحاب «العزب» فتهاشته الذناب، وأزعج عن منصبه لعجزه عن إرضاء مصالح ونزوات صناع الفساد.



ولم يكن أسلوب اختيار القيادات الجامعية وحده أبرز مظاهر الفساد الجامعي الذي بدأ مع عهد السادات، وترصرع بعده واستشري واستوحش، فقد فتتاشتت العقدين الأخيرين من القرن العشرين أليات للفساد هي: دعم الكتاب والدراسات والمصانيق الخاصة، ولجان المتعنين.

ودعم الكتاب الجامعي يبدو أمراً إيجابياً وجوياً، وخاصة أن النظام قد قطع شوطاً طويلاً في إلغاء الدعم على السلع التي يستهلكها السواد الأعظم من الشعب، فالإبقاء على دعم الكتاب الجامعي يعد من هذه الناحية، استثناء إيجابياً، غير أن تمويل دعم الكتاب الجامعي يقدم هيئة المونة الأمريكية، وهي على أرجح الأقوال، صاحبة الفكرة. تتخذها سلاحاً ذا حدين، تهدئة الأمور بين الطلاب لمصلحة النظام، فيكون دعم الكتاب - على هذا النحو - بمثابة صمام الأمان، وإثارة المتاعب للنظام. من ناحية أخرى، في حالة التوقف عن تمويل دعم الكتاب الجامعي فجأة كسلاح للضغط السياسي.

على كفة، مبدأ دعم الكتاب الجامعي له جانبه الإيجابي، وخاصة إذا وصل الدعم لمستحقه، ولكن ما يحدث فعلاً هو تحيد، عند محد من الكتب تغطي الطلاب بنسبة تخفيض عالية، يتم اختياريها بما يخدم مصالح أساتذة بعينهم في كل قسم لضمان توزيع كتبهم في زمن قصير، وتحصيل عائده المادي، هذا فضلاً عن الحالة المتردية التي وصلت إليها الكتب الجامعية (في معظمها) من حيث المحتوى وأسلوب المعالجة، والتخلف عن مواكبة الجديد في التخصص، واتخاذها سيلاً للتكسب على حساب

طلاب طحنحتهم وديهم الأزمنة الاقتصادية. ويوجد الطلاب نفسه مضطراً لشراء كتاب لا تقع فيه بسبب الأساليب الحديثة التي يتبعها معظم أعضاء هيئة التدريس لضمان تصريف الكتب والمذكرات، بل أصبح بعضهم يبيع المذكرة، ثم منحها لها يصمم بعض الأسئلة التوضيحية وأجابها. ثم يطرح للبيع قبل الامتحان ملخصاً للمذكرة التي تعد. في حد ذاتها - عرضاً ملخصاً للمادة، وترتب على ذلك انحطاط المستوى الدراسي بالجامعة من ناحية، وخلل العلاقة بين الأستاذ والطلاب من ناحية أخرى. حين يتحول الأستاذ إلى شخص يتطلع إلى ما في جيوب طلابه، ولا يعني أمر ما قد يكون في عقولهم، ولو كانت الصلحة العامة هي المعيار.

ولتستخدم هذه الكتب الجامعي في تحسين مستوى التأليف، والتشجيع على التأليف الجامعي مراعياً معتمدة في المقررات الدراسية، مقابل مكافأة محددة. على أن يتولى قسم النشر بالجامعة (المطبعة) نشر تلك الكتب ويبيعها بأسعار معتدلة، كما يمكن أن تزويد مكتبة الكلية بنسخ كافية منها ليستفيد منها غير القادرين على اقتناء الكتب.



هنا الأساتذة على السلطة، عندما هانت عليهم أنفسهم، فلم يستطيع الحريصون على استقلال الجامعة وتقاليدها تنظيم حركات احتجاجية على ما يجري للجامعة



المخلص، ويوجد صعوبة في تدبير أماكن لهم بخلاف الامتحان. وتتم هذه العملية في العالبد دون الرجوع إلى أستاذ المادة إذا كان من ذوي المكانة. فتم من وراء ظهره، إذا كان صاحب المادة ممن يسهل الضغط عليهم قام بإجراء التعديل بنفسه حتى لا يعصب العميد. فيصعب العقبان في طريق اعارة أو ترقية ينتظرها، وهو عادة لا يتأخر عن الاستجابة للطلب، طالما كان من حق العميد أن يعدل الشئحة من طريق لجنة، لئلا تخسر ما في الأمر. ان خسر ما في الأمر. ان خسر ما في الأمر.

تصاف الجميع الطلاب فلا تسعد الراسب فقط على النجاح، ولكنها ترفع تقدير الناجح ليصبح «جيد جداً، من جيد أو ممتاز، بدلاً من «جيد جداً» فيؤثر هذا التعديل على فرص حريص معين في التمييز في وظيفة عميد، وهو ما يتم عادة لصالح طلاب بعينه، ويخسر المستوى المتدني للتحريص خاصة والمعيدين خاصة.

وأما الفساد ليتناول تعديل شروط الإعارة للجامعات الأخرى المنصوص عليها في قانون تنظيم الجامعات كان القانون السابق عليه يميز الإعارة لمدة ثلاث سنوات كحد أقصى، فشاء القانون الحالي ليجعلها لمدة عامين قابلة للتجديد مرة واحدة (أي أربع سنوات)، ولخصه هيئة التدريس الحق في الإعارة لمدة تبلغ مجموع سنواتها عشر سنوات خلال مدة الخدمة.

وحدث أن كانت سيدة تشغل درجة الأستاذية بإحدى كليات جامعة القاهرة معارة للسعودية، وظلّت مد إعارتها لمدة ثالثة (ست سنوات)، ولما كانت تلك السيدة شقيقة رئيس الوزراء، فقد حصل حسن حمدي رئيس الجامعة على موافقة مجلس الجامعة على إعارتها رغم رفض مجلس الكلية لذلك، واستند رئيس الجامعة إلى فتوى حصلها له المستشار القانوني للجامعة باعتبار أن تقديره من ضرورة الإعارة من صلاحيات رئيس الجامعة وحده.

وطى السادة الأستاذة أن المسألة ستوقف عند هذا الحد، ولم يرأه - بمجاملته لرئيس الوزراء وكسره القانون - قد وضع سابقة لا فكاك منها، فقد شاع خبر أن الأستاذة لدة أمين إضافيين بين المعارين في السعودية والخليج، وحصل الكثير منهم على موافقات من جهة الإعارة على يد أمين آخرين، أو حتى عام واحد (خامس)، وأسطرت مجالس الأقسام بطلانها المد، فكان يتم رفضها، ثم

والبلدية الثانية، «الصاديق الخاصة، لا تقل أهمية عن قسم الكتاب الجامعي من حيث الشكل، ولهم أكثر فساداً» من حيث المضمون، فلما كان التعليم مجانيًا بجميع مراحلها وفقًا للدستور، اخترع المجلس الأعلى للجامعات مبدأ أن يكون بكل كلية، ومنسوق خاص، يتم تبويبه من مبالغ إضافية يدفعها كل طالب إلى جائب الرسوم المحددة بحكم القانون. وأطلق العنان لتحديد المبالغ الإضافية التي قد تصل إلى ما يتراوح بين ٥٠ - ٥٠٠ ضعفًا من قيمة رسوم القيد، وزوّدت هذه المبالغ بشكل يضمن حصول الجامعة على حوالى الربع واحتفظت الكلية بالباقي الذي يصل إلى ما يقرب من عشرة ملايين جنيه في الكلية ذات الأعداد الكبيرة، من المفروض أن تصرف على الخدمات التعليمية، أي توفير ما تحتاج إليه الكلية من وسائل تعليمية وأجهزة وأدوات معملية إلى غير ذلك من مستلزمات، كما يتم منها رعاية الطلاب، والمادة، لا تُعد من موارد الخزينة العامة للدولة لأنها لم تُعرض بقانون باعتبارها «درسا»، فهي لا تخضع للرقابة المالية التي تخضع لها حسابات الجهات الحكومية، ولا تدرج في الميزانية الخاصة بالكليات أو الجامعة باعتبارها أموالاً

كتاب الزاوية



نجيب محفوظ

أصداء من الحكمة

تهنئ كمال وقال:

.. دعني أخبرك بما قال لي أحمد ابن أختي عندما زرت

في سجن القسم قبل نقله إلى المعتقل..

.. على فكرة، أما من جديد عنهما؟

.. لقد رُحِّلًا مع كثيرين إلى معتقل الطور..

فتساءل رياض باسمًا:

.. الذي يعيد الله والذي لا يعيده؟

.. يجب أن تعيد الحكومة أولاً كي تمشي مطمئناً..

.. على أي حال الاعتقال أخف في نظري من المحاكمة!

.. هذا رأيي، ولكن متى تتكشف هذه الغمّة؟ متى ترفع

الأحكام العرفية؟ متى يعود السلطان إلى القانون الطبيعي

والدستور، متى يعامل المصريون كالأدبيين؟

فجعل رياض يعبث بخاتم الزواج في يسراه، ثم قال

بحزن:

.. نعم متى؟ ما علينا، ماذا قال أحمد في سجن القسم؟

.. نعم، قال لي إن الحياة عمل وزواج وواجب إنساني

عام، وليست هذه المناسبة للحديث عن واجب الفرد نحو

مهنته أو زوجته، أما الواجب الإنساني العام فهو الثورة

الأبدية، وما ذلك إلا العمل الدائب على تحقيق إرادة الحياة

ممثلة في تطورها نحو المثل الأعلى..

عن السكرية

الجامعة من وجوده فيها طوال تلك السنوات.

ولا يمكن أن يتوقع المرء أن يكون أداء

الدراسات العليا في جامعة غالبية

أساتذتها من الموظفين الذين يحملون

درجة الأستاذية، والقلة منهم أساتذة

بحق على مستوى يليق بأمر الجامعات

العربية، أو يكون مستوى البحوث فيها

(في قطاع الإنسانيات على الأقل)

مواكباً للتطور العالمي في مجالات تلك

العلوم، فلا يوجد مشروعات بحثية عند

أساتذة التخصصات، بوجهون

تلاميذهم إلى اختيار نقاط البحث في



أجهزة الأمن

الكلمة العليا في الترشيح

للمناصب الإدارية

الجامعية، ومنصب العميد

خاصة، نظراً

لأهمية ذلك في طبع،

انتخابات الاتحاد

الطلاب التي كانت

دائماً قضية

«أمن» بالدرجة

الأولى



تُعرض على رئيس الجامعة فيوافق

عليها. وعندما تفاقمت الظاهرة حولها

مجلس الجامعة إلى قاعدة عامة، فأصبح

من حق كل معار أن يتقرب من الجامعة

ست سنوات كاملة، بل تفتن بعضهم.

وبحت لزوجته عن عقد عمل، ليستمر

موجوداً في الجامعة التي يعمل بها

بحجة «مرافقة الزوجة»، ليظل بذلك

عشر سنوات بعيداً عن الجامعة، يتم

ترقيته خلالها إلى الدرجات الجامعية

الأعلى، وقد يعود إلى الجامعة أستاذاً بعد

أن تركها مدرساً.

وامتداد الفساد إلى تعديل شروط

الإعارة بالمخالفة للمقانون مسئول عن

تدري المستوى العلمي لأعضاء هيئة

التدريس، واختلال معايير تقييم أعمال

المتقدمين للجان الترقيات نتيجة خراب

دعم بعض مقرري وأعضاء تلك اللجان،

وسهلت قواعد عمل هذه اللجان، بما

حوته من شغرات، حصول الكثير من

المتقدمين على ترفقيات لا تهلهم لها

الأعمال التي يتقدمون بها للترقية، مما

ينعكس سلباً على أداؤهم الجامعي،

تدريجياً وازدواجاً، فإذا كان المتقدم للترقية

إلى درجة جامعية أعلى من أهل الحظوة

أو من أصحاب «التشفيحات»، اختار له

أصحاب الزعم الخربة من بعض

المسيطرين على لجان الترقيات، لجنة

ثلاثية لفحص أعماله، تناسب المقام

(ممن هم على شاكلتهم)، فتجمل من

الذين تبار، ومن الحمى لؤلؤاً، أما إذا كان

من غير هؤلاء، اختيرت له لجنة ثلاثية

من الأساتذة المتشددين، (وهو المصطلح

الذي يطلقونه على الأساتذة الشرفاء)،

ولما كان هؤلاء أساتذة بحق فهم لا يرقون

إلا من كانت أعماله تؤهله للدرجة المتقدم

إليها.

فإذا تقدم عالم رفيع القدر في

تخصصه، تحظى أعماله العلمية

باعتبار دولي، لوظيفة الأستاذية من

خارج الجامعة، حرصوا على إبعاده عن

الجامعة، حتى لا يغطي وجوده عليهم،

ويكشف حقيقة مستواه العلمي، حدث

هذا مع العالم الجليل أيمن فؤاد سيد

عندما تقدم لوظيفة أستاذ في التاريخ

الإسلامي أعلنت عنها جامعة حلوان،

وكانت اللجنة العلمية (عندئذ) مكونة

من سبعة أعضاء كان رئيسها وأربعة على

الأقل من الأعضاء من فصيلة الموظفين

بدرجة أستاذ ذوي الإمكانات العلمية

المناوذة، فاختاروا له لجنة فحص من

أناس لا يصلحون للتعلم على يديه،

رأوا عدم صلاحيته للأستاذية، ولكن بعد

ست سنوات من التقاضي رد القضاء

العادل له حقه، ولكن بعد أن حرمت

كتاب الزاوية



نجيب محفوظ

أصداء من الحكمة

زحف نحو الشرفة فرأى القمر من جديد متالقاً في مركز القبة المرسعة. نجاه مغمغماً أن ليس كوامتا شيء، الحب لعبة قديمة بالية ولكنه رياضة في عوامتا، الفسق رذيلة في المجالس والمعاهد ولكنه حرية في عوامتا، والنساء تقاليد ووثائق في البيوت ولكنهن مرافقة وفتنة في عوامتا، والقمر كوكب سيار خامد ولكنه شعر في عوامتا، والجنون مرض في أي مكان ولكنه فلسفة في عوامتا، والشئ شيء حيثما كان ولكنه لا شيء في عوامتا. أيها الحكيم القديم (ايو - ور) أقدم بعصرك الذي اضمحل فيه كل شيء إلا

الشعر وأسمعتنا الفناء. حدثني ماذا قلت لفرعون. أقبل الحكيم (ايو - ور) وهو يشد:

إن ندما لك كذبوا عليك

هذه سنوات حرب وبلاء

قلت أسمعني مزيداً أيها الحكيم! فأنشد:

ما هو الذي حدث في مصر

إن النيل لا يزال يأتي بفيضانه

إن من كان لا يملك أضعى الآن من الأثرية

يا ليتني رفعت صوتي في ذلك الوقت

قلت ماذا قلت أيضاً أيها الحكيم (ايو - ور)؟ فقال:

لديك الحكمة والبصيرة والعدالة

ولكنك تترك القصاد ينهش البلاد

انظر كيف تمتهن أوامر

وهل لك أن تأمر حتى يأتبك من يعددك بالحقيقة؟

عن شرخة فوق النيل

جعلتها جامعة القاهرة عشر رسائل، ثم فتح باب الاستثناء لخمس أخرى. وجعلتها عن شمس خمس عشرة رسالة مع إمكانية الاستثناء بحجة ندرة، التخصص. فهندما كان صاحبنا وكيلاً للكلية للدراسات العليا وعضواً بمجلس الدراسات العليا بالجامعة، عرض على المجلس النظر في استثناء أستاذ بطب القاهرة لديه ٢٥ رسالة من قيود التسجيل حتى يمكن أن يسجل رسائل تسعة طلاب جدد من الطلاب العرب بحجة ندرة التخصص. وعندما اتجه المجلس إلى رفض الطلب لتجاوزه عن الحد المسموح يخمس عشرة رسالة فإذا سجل التسع أصبح التجاوز ٢٤ رسالة. أرجأ رئيس المجلس (نائب رئيس الجامعة) التصويت للجلسة التالية (بعد شهر). وفي بداية الجلسة الموعودة، أخطر الأعضاء أن رئيس الجامعة قد اقتنع بما قدمه الأستاذ من حجج، ووافق له وأن هذا من حق رئيس الجامعة!!



وعندما كان صاحبنا وكيلاً للدراسات العليا، أفتح مجلس الكلية بضرورة تطوير الدراسات العليا بالكلية، وشكلت لجنة لهذا الغرض استمر عملها عدة شهور، ووضعت مشروعاً يضع من الضوابط والقواعد ما يكفل رفع مستوى الدراسات العليا، ومواكبتها بالإيقاع المتطور في المجال الأكاديمي العالي بقرى الإمكان. ولقى مشروع اللجنة عند العرض على مجلس الكلية من الحذف والإضافة ما أفقده ٥٠٪ من قيمته، وعندما أجيء بعد عام آخر، كان هم الأقسام الأساسية التحصيلي للاكتشاف حول الضوابط التي وضعتها اللجنة الجديدة، ولم يرحب لهم بال إلا بعد إلغاء العمل بها عام ٢٠٠٣.

هذا غيض من فيض عايشه صاحبنا تحت قبة الجامعة، التي ظلها يوماً مثلاً للنزاهة والنقاء خلت من الأفت التي يعاينها المجتمع، كان يظن أن الجامعة بيت الحكمة، العقل المفكر الذي يرسم لأمة خطها، فاكثرت أنه كان واهماً، وتبين أنه الجامعة خلية من خلايا المجتمع، تتأثر بما يصيب بقية الخلايا من عطشيه ومن أمراض، وادرك أن الجامعة مرة تنمكس على صفحتها صورة المجتمع بما فيه من تناقضات وما يعاينيه من حلل وأوجاع. ■

إطارها حتى إذا تكاملت محاور المشروع، كان إضافة علمية معرفية لها قيمتها، بل يترك الأمر للصعدة، ولدى قدرة الطالب على الاختيار أو استثناءه (من وراء ظهور أستاذ) بأحد الأساتذة المتميزين ليساعده على الاختيار، وهم الأساتذة (من أولئك الموظفين يدرجة أستاذ) أو يجمع تحت إشرافه أكبر عدد من الرسائل حتى وصل العدد عند بعضهم ٢٥ رسالة (في أحد فروع الطب) ناضيك عن الدراسات الإنسانية التي زاد عدد الرسائل المسجلة عند البعض إلى أكثر من أربعين رسالة. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على الإبتذال والفوضى، فلا يظن صاحبنا أن ذاكرة الأستاذ تسع مثل هذا العدد من أسماء الطلاب المسجلين تحت إشرافه، تاهيك عن موضوعات رسائلهم التي لا بد أن يكون كل منها، فحقيقية، هي حاجة إلى متابعة دقيقة من الأستاذ، خاصة في مرحلة الكتابة، ولا بد أن يكون الأستاذ عبقري زمانه حتى تسع ذاكرته هذا الكم الهائل من القضايا، فما بالنا لو كان تكوينه العلمي هشاً على نحو ما تقدم؟

نتج عن ذلك أن تعامل الأساتذة مع الطلاب باعتبارهم مجموعة من الأفتان، كان أحد أساتذة التاريخ (ممن تسلسوا) مناصب الإدارة العليا يعامل المعيدين معاملة الخدم، يكلف أحدهم مشلاً مالموقوف في طابور خزينة كلية الهندسة ليعسد الرسوم بدلاً من تجهله، ويكلف المعيد بجمع مادة علمية لطلاب سعوديين يعملون تحت إشرافه، ويبقى المعيد في كل رسالة سبع سنوات بينما لا تستغرق المدة التي يحصل فيها الطالب الخليجي معه أكثر من عام بارتسبية للماجستير من تاريخ التسجيل وعاميين بالنسبة للذكورة، فإذا سئل عن أسباب تأخر المعيد، زعم أنه بذلك يريد، «اضاع» المعيد خدمة للتخصص، وهو - في حقيقة الأمر، ينشد لإزالة، وإبقاء معطية له لأطول فترة ممكنة.

ورن يسن صاحبنا تلك الحركة التي دارت بين أساتذتين يقسمه تنافسا على الإشراف على طالب تقدم لتسجيل للذكورة من آل شان (حكام قطر)، وعندما وجه أحد أهل التخصص انتقاداً لشروع الرسالة الذي تقدم به الطالب، صرخ أحدهما قائلًا: «يكفي أن سعادته اختار قسمنا للدراسة فيه... شرف كبير والله العظيم».

وعندما وضعت مجالس الدراسات العليا بالجامعات حداً أعلى لعدد الرسائل التي يشرف عليها الأستاذ

الحياة

اليومية

عند

الأقباط

مينا بديع عبد الملك

لوحة الجدار

رسمة جدارية من دير

سريانا

كنيسة السيدة العذراء

■ ■ ■ عشر هي مخطوطات مكتبة النسخ الوطنية، التي تحوي عشرات الآلاف من المخطوطات النادرة، على الكثير من الكتب ومنه كتاب حياة الأقباط، الذي يشمل العديد من الموضوعات منها كيف كان يحيا الأقباط قديما؟ كيف كان نظام التجارة في البيع والشراء والمعاملات؟ كيف كانوا يتنقلون من مدينة إلى أخرى؟ كيف كانوا يكتاتيون بعضهم البعض؟ كيف كانوا يسجلون موايدهم وأين؟ ماذا كانوا يأكلون ويشربون؟ وكثير من الأسئلة

عالم الأقباط: الحياة اليومية عند الأقباط قديما (بالأثنية)
هيرمان هارور، هيلموت برشهاوزن،
أولريكا هوراك
ترجمه من الأثنية للعربية هلدجيل
ناصر البروبوي
المنسا دار بيارشيه - ٢٠٠٤

■ ■

الصور مأخوذة من كتاب:
Christian Egypt Coptic Art and
Monuments through two Millennia
(مصر المسيحية.. الفن والآثار
القبطية خلال ألفي عام)

Massimo Capuani, Otto, F.A
Meinardus, Marie-Helene
Rutschowskaya, , Gawdat Gabra
Cairo-AUC Press.
2003



وجهات نظر ٣٢



التي تكشف عن تفاصيل حياة الأقباط
الأوليين

هذه المخطوطات مدونة باللغة القبطية فقام كل من د. هيرمان هارور (مدير متحف البرديات بالمكتبة الوطنية)، د. هيلموت برشاورن (الباحث في القبطيات)، د. أولريكا هوراك (توقيت حديثاً) بترجمة هذه المخطوطات من القبطية إلى الألمانية

في الفترة ٢٢ مايو - ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٩٥ أقامت المكتبة الوطنية النمساوية بفيينا معرضاً بعنوان «عالم الأقباط» تم فيه عرض المئات من المخطوطات وقطع النسيج والأثار القبطية المختلفة يعود تاريخها إلى القرنين السابع والثامن الميلادي.

وفي فصل افتتاح المحرم الضام
 د. هريمان هارون - مدير المراسم العلوية
 في بيجينيا ، ألقاه كلمة في وجود مجموعة
 من الزوار من الأقباط ، جاء فيها ، أنه
 استخدمته كل خبرتنا وإمكاناتنا العلمية
 في ترجمة النصوص القبطية التي
 وجدناها مكتوبة في أوراق البردي والخط
 الفخار الممسور ، ودلنا جهود الصرخي في
 ترجمتها لتمامها ، ولكننا كثيراً ما نكتف
 حارين لأننا نلاحظ من بعض النسخة نحاول
 الهنسي التي كان يفتضه النسخة القبطية
 التي ترجم من ترجمتها الحرفية لها بدالة ،
 نحن نعلم بانكم اذتم الأقباط وحكم
 القادرون على فهم لغائنا وأسرار النصوص
 في الآثار بموهلة ، لأنكم بيسطرة الجيوم
 تحملون الإجابات على كل الأسئلة
 التي نطرحها ،
 بالدعوة ،

قامت المكتبة بتوثيق الآثار المصورة
في دليل، تم نشره بواسطة طابعة وإحدى
مخلف الخدماء في المكتبة العلمية
القميانية، وجاء الدليل في ٣٨ صفحات
من القطع المنجم مزود بصور كثيرة
المصورة مع مقدمات لتجميع من
التي في الألبوم، تم ترجمة حورية
لنصوص المعلومات، أو من فصل
الضلع النسيج، لكن جاءت ترجمات
الضلع. فقام كل من هاجا دي وأصغر
البردوسي، بالتعاون مع إدارة المتحف
بكتابة بعض التعليقات التوضيحية
اللازمة، ومن هنا صدر الجزء الأول الخاص
بالصورة المصورة عند الألبوم قديماً،
يتبعه بعد ذلك سلسلة من الحلقات
الخاصة بالألبوم.

هذا الجزء الأول من سلسلة «عالم الأقباط»، يستعرض العديد من الموضوعات، اخترت الموضوعات الآتية لعرضها:

الأسماء المتداولة في ذلك الوقت، أسلوب الكتابة، العمليات الحسابية، المأكول والمشرب والملبس، الأعمال الزراعية والتجارية، الأدوات المنزلية المستخدمة، الحياة الاجتماعية، المهن المختلفة التي كانوا يمارسونها، الضرائب التي كانوا يدفعونها، ثم علاج الأمراض.

في ذلك الوقت

في أوستراكا (قطع الفخار المكسور)
يعود تاريخها إلى القرن الثامن الميلادي
مساحتها 10 × 16 سنتيمتراً، وردت الأسماء
الآتية:

شنوتی، بتروس، گوزما، هارون،
نیوسجوروس (دیسکوروس)، فیبی، نازہ،
قلتہ، بیشا، سویروس، جیراجوس
(جوانجیوس ای جورج)، ستیفانوس، باولا
(ہولا)، میناس، (مینا)، ہیلیاتس۔

وفي بردية يرجع تاريخها للحقن
الثامن الميلادي مساحتها ١٥,٥ × ٢٥
سنتيمتر وجدت مجموعة من أسماء عمال
يعملون في الزراعة وهم:
أباسير (المعروف حالياً أباسير)،
بشتشال، كولتوس، إيلياس (أي إيليا)،
فوبيامون، سرفروس، باسومو، دافيد،
أوللو، أنوث، أبراهام، يامو.

هناك أيضاً بريدة أخرى يعود تاريخها إلى القرن السابع أو الثامن الميلادي مساحتها ١٧ × ١٠ سنتيمترات تحوي مجموعة أخرى من الأسماء:

أكوابين مكارى، باباشوتوى، كيرس ابن بيلتوس، تاخون، صامويل ابن ايلو، بله، ميخا ابن كور، سيمون ابن ابوللو، بابا يوهانس، إيليا ابن باولى، لوسون، ذراو ابن آدوب، سوسنا ثوبت، نوبه ابويولى النما.

ويعلق د. محرم كمال في كتابه (آثار حضارة الفراعنة في حياتنا الحالية) الصادر عام ١٩٥٦ عن الأسماء القديمة يقول: إننا نحمل أسماء قديمة جداً تورثناها عن أجدادنا منذ آلاف السنين. ومن هنا فإن الحفاظ على الاسم القبطي المصري هو الحفاظ على الشخصية القبطية المصرية.

(٢) أسلوب الكتابة

استخدم الأقباط العديد من الأدوات الكتابية. والتي مازالت محفوظة والمتاحف القومية أو النولية وهي:

البردي، وهو كان الأكثر استعمالاً من بين المواد الأخرى. وكان قد بدئ استخدامه في الكتابة من حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م إلى ما بعد ١٠٠٠ بعد الميلاد. ويكون أوراق البردي تفقد مع الوقت مرونتها، لذلك لم تكن جيدة لعمل الكتب أو المخطّاف.

الرق: وهو يصنع من جلود الحيوانات وهو أكثر مرونة من ورق البردي ولا يتلف بسرعة لذلك استخدم بكثرة في صناعة الكتب وبالأخص في الكتب الدينية. ونظراً لارتفاع أسعاره فلم يستخدم في الكتابة في أمور الحياة اليومية العادية. الأوستراكا: وهو اسم يطلق على شقف

في الأفراح

كان طعام الأقباط يتكون من: لحوم الخراف المتبيلة المشوية مع خبز وفطير وخضار، والشراب كان يتكون من فواكه وعصير

الكرمة المزوج بالماء، أما
الحلويات فكانت
هاكهة وكحكا محشواً
بالمحوة



السيدة المذراء والطفل



الضخار: قطع الحجر الجيري وحجر الصوان.
وكانت أسفاره زهيدة. وكان يستخدم عند عم
قوافر ورق البردي. فقد عثر على أوستراكا
يعود تاريخها إلى القرن السابع الميلادي
سجل بها خطاب جاء فيه: (أنا أسف.. لأنني
لا أملك بريدية في الوقت الحالي... أنا أود أن
أبلغك بأستجدات في الأمور التي كنت لك
عنها في خطباتي السابق...).

الورق: ظهر الورق في مصر في القرن التاسع الميلادي، وبدأ يتفوق على البردي حتى انتشر استخدامه بينما توقف استخدام البردي.

الألواح الخشبية، وهذه استخدمت في كتابة النصوص المستديسة مثل قطع الصلوات والصيغ القانونية الثابتة في مكاتب الكتبة أو مكاتب الشهر العطار.

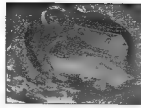
الألواح الشمعية، وهي عبارة عن ألواح خشبية مسطحة كانت تكتب عليها طريقة من التشفير لم يسبق طرحه من قبل بكنم مصنع من الخشب أو المعدن كان يتم الكتابة عليه. وعند الاستفتاء عن المخطوط فيه، يمكن تسوية الشمع من جديد ثم يعاد الكتابة مرة أخرى.

الألغام: استعمل القبطي «القلموس» Kalamos المصنوع من الخشب في الكتابة على البردي والورق والصخر والحجر الجيري وحجر الصوان. ولكن للكتابة على لوح الشمع فقد استخدم «الاستيلوس» Stilos وهو قلم مصنوع من مادة شديدة الصلابة.

الأحبار، الهباب، والصمغ والماء كانت مكونات الحبر الذي استخدمه الأقباط في الكتابة وكان جيداً، في القرن الثالث الميلادي استخدم الأقباط حبر بني اللون - سهل التدوين في الماء - يدعى «جاولوس بايزيس، Gauiulus-basis» وكان هناك نوع آخر من الحبر يدعى «فيتريول، Vitriol» لكن كيف كانت تصنع الأخطاء عند الكتابة؟

الكتابة التي تسجل على البرديات
وتفخر والحجارة ولوح الخشب كانت تزال
بالتصميم ويعد تفهيمها يماذ الكتابة عليها
مرة أخرى، أما تلك المسجلة على البرق
فكانت تكشف هذه الكتابة ويماذ الكتابة
عليه من جديد، وكان يطلق على البرق
المكتوب: الوعاذ استعماله اسم
باليمبستين، Palimpsesten. أما
المكتوب على لوح الصمغ، فكما سبق ذكره،
توضع طبقة أخرى من الصمغ ويماذ
الكتابة عليها.

عرف الأقباط منذ كتابية القواميس، فقد عثر على ورقة قاموس يوناني - قبطي يعود تاريخها إلى القرن ١٠ - ١١ الميلادي ومساحتها ١٦ × ١٢ سنتيمتراً وفيها صفت الكلمات في تتابع الحروف الأبجدية. ففي المخطوط الذي عثر عليه كتبت الكلمات اليونانية التي تبدأ بحرف (O) ثم يحد الكلمة ويصنف فئتان ١: «و» ويعدها كتبت الترجمة باللغة القبطية لتلك الكلمات.



الحياة اليومية عند الأقباط

ونظراً لتعدد الضرائب فإنها كانت تحتاج لمجموعة ضخمة من العاملين للقيام بها وإجرائها. ونظراً لأن الكاهن يعتبر كبير الكهنة لذلك فإن السلطات جعلته المسؤول أمامها عن جمع الضرائب من شعب كنيسته وتقديمها كاملة للسلطة. كما كان يطلب من الرهبان دفع ضرائباً على الرغم من أنهم كانوا يعيشون مستقرين عن العالم لكن كان يطلب من رئيس الدير أن يسد ضرائب عن العمال الذين قاموا بأعمال حادة أو تجارة. إلخ في الدير

كانت هناك ضريبة تعرف باسم «ضريبة الأجنبي»، فقد حدث بعد دخول العرب مصر سنة ٦٤١م أن عدد حرموم بالزمام العائلات القبطية بأعاشة جندي غريب (ضريبة الأجنبي) ولأن بعض العائلات أبدت عدم رغبة في استقبال جندي أجنبي ليعيش بينهم رغم أنهم فقدت كانت هناك إمكانية دفع مبالغ من المال مقابل السماح لهم بعدم استقبال جندي في البيت، فتمت القادرون مادياً استطاعوا دفع هذه الضريبة التي عرفت باسم «الضريبة الأجنبي»، ففي بردية قبطية مؤرخة في سنة ٣٣١ هجرية (أي ٩٤٠م) جاء فيها أن رجلاً يسمى «ببائوس» قام بدفع ضريبة الأجنبي بالنسيئة عن ابنه «موسس» ونوما واحدة. ونص هذه الوثيقة مسجل باللغة القبطية الرسمية. في ذلك الوقت -وكتبه ووقع عليه الكاتب بديوكرابن تيودور-.

(١٠) علاج الأمراض

لعلاج الأمراض عند الأقباط، كانت تستخدم الأدوية التي يدخل في تكوينها أجزاء من نباتات مختلفة محلولة ببعضها البعض. ففي استراكون قبطي من القرن الثامن الميلادي تركيبة في دواء تدعى «فونينه»، وهي ثمرة شجرة اللوتس، لكن معظم وصفات الأدوية هذه كتبت باللغة اليونانية وقليل منها كتب باللغة القبطية.

أيضاً كانت الصلاة التي يقوم بها الكاهن إحدى طرق العلاج التي كان يلجأ إليها الأقباط.

إنها بالحقبة حياة تستحق الدراسة والبحث والتفتيش لما كانت تحويه من فكر ومنهج وأسلوب في الحياة.

وهناك تكملة لهذه السلسلة الرائعة تتناول أسلوب قضاء وقت الفراغ والتسلية، نظرة الأقباط للموت والجمال والزينة.. وهكذا ■

عملية فسح الكتاب الواحد كانت تستغرق وقتاً كبيراً جداً. وبعد الانتهاء من مرحلتى النسخ والرسم تأتي مرحلة عمل الغلاف النسيج الخارجى، وفي هذا كان الرهبان المسؤولون عن هذه العملية يقومون بشراء كميات من ورق البردى القديم الذي سبق استخدامه سواء في المصالح الحكومية أو كرسات طلبة المدارس وبعد ذلك يقص هذا الورق إلى قطع صغيرة ويوضع في الماء لبعض الوقت ثم توضع هذه القطع فوق بعضها البعض على شكل طبقات وتترك تجف تماماً، بعدها تصبح لوحة جاهزة مثل طريقة من الخشب. بعد ذلك تكتب على ورق الكتاب لحمايته من التلف. ثم تأتي مرحلة التجميل وفيها يستخدم الجلد المثلون الجميل الذي يتم تثبيته على الكتاب من الخارج.

من المهن الأخرى مهنة مساعدي نجار فقد ورد في بردية قبطي من القرن السابع الميلادي مساحته ٥ × ١٥ سنتيمتراً، أن نجاراً يدعى «فلته» اتفق مع رجل آخر للعمل معه «كمساعد نجار» وجاء في العقد الرسمي أنه يتعهد بدفع أجرة للمساعدة في العام الواحد بمئة مثقال من ١٠ أرباب الفصح، ٢٨ البريق صهير الكرملة، بالإضافة إلى خشب القاصس هافكة.

أيضاً مهنة مساعد درجية بهلهم من المهن التي كانت منتشرة في ذلك الوقت نظراً لكثرة المراسم التي كان يستلزمها الأقباط.

(٩) الضرائب التي كانوا يدفعونها

أيضاً دفع الضرائب كانت تكتب على الأستراكون بسبب مقاومته للرطوبة ومن هنا فإنه كان أفضل من ورق البردى.

الأياء الكهنة والشمامسة والجنود والأصفاء، أما بالنسبة لجهاز العروسين -لقادرون مادياً- كان مكثفاً من صندوق خشب محفور عليها أشكال صلبان أو زخارف أو مناظر طبيعية، وفي هذه الصناديق يوضع جهاز العروس الذي كان عبارة عن ملابس جديدة مصنوعة من الكتان والحبرير الملون وبعضها مطرور بالإضافة إلى الملابس المنزلية، ثم أدوات التجميل وأدوات الشعر كالأمشاط والبنيس وشباك الكتان لتثبيت تسريحة الشعر وأيضاً بعض الأسلاك الذهبية أو الفضية التي تضرع مع الشعر. أيضاً كان من ضمن جهاز العروس وسائل جديدة، الفطية، بطاطين، سجاجيد للأرض وأخرى تعلق على الحوائط كنوع من التجميل، هذا بالإضافة إلى ملاعق وسكاكين وأطباق وأواني للطبخ ثم مجموعة من مصابيح الإضاءة التي تحمل بالزينة، كذلك هدبة خاصة من الولدين للعروسين لمساعدتهما في حياتهما الجديدة، إضافةً إلى كميات غناب أو حقل مري للحيوانات. وكانت هذه تسجل في الشهر العقارى.

(٨) المهن المختلفة

التي كانوا يمارسونها

مارس الأقباط العديد من المهن المختلفة من أهمها كانت مهنة «صناعة الكتب» والتي كانت تقتصر في ثلاث مراحل: عملية النسخ، عمل الرسوم والزخارف سواء داخل الكتاب أو غلافه، ثم عملية التجميل، وكانت الأيدى أكثر الأمكن التي يتم فيها إعداد الكتب الدينية.

كل شيء أحبيكم من كل روحى، الرب يبارككم بعد أن رحلت من عندي أرسلت أنا أخى ببيكوس إلى الشمال من أجل الفصح. لقد قيل لي أنه لم يبق في الشمال فصح بـ ١١ للبيع بعد. على كل حال أحدهم يبيع في بشيناي فصح جند حوائى ١١ أربب لو أصبحت أرسل لي المال مع بساتي أنا سوف أبعث وأشترى.

أيضاً كانت هناك زراعة الكتان ومنه كانت تستعد الحبال العادية لصناعة شبك صيد الأسماك أما الحبال السمكية فقد كانت تستخدم لربط السم.

(٦) الأدوات المنزلية المستخدمة

في بردية قبطي من القرن ٨ م مساحتها ١١ × ١٠ سنتيمتر، ذكر فيها بضاعة عند تاجر يبيع مستلزمات منزلية جاء فيها.

إثاء، ٤ كوكب صمير، ٨ أوانى، ١٠ أكواب صفيرة، ٨ أفران.

كما كان الخشب من المواد الأساسية التي تدخل في صناعة الأثاث، ففي أوستراكا قبطي من القرن ٨ م مساحتها ١١ × ٧ سنتيمتر جاء فيها.

«الحقيران أرون والندرياس يترجبان الأخ الحبيب باولوس أن يرسل الحرية محملة بالأخشاب».

هذا في الوثائق التي كانت فيه الأخشاب نادرة في مصر.

أيضاً كان الزيت من المواد الغذائية الأساسية في الاقتصاد القبطي. وكانت بدور الفجل تعصر ويستخلص منها الزيت وكان يعرف «زيت مدرة العجل».

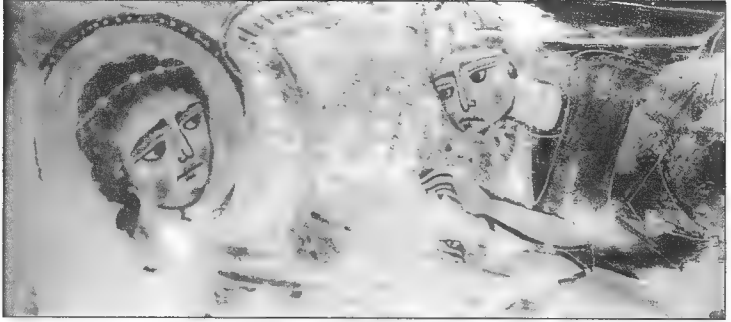
(٧) الحياة الاجتماعية

وجدت مخطوطات قبطية عديدة توضح الأوضاع الاجتماعية في البلاد والتي يتم من خلالها تنظيم العلاقات بين الناس، والحفاظ على حقوق كل عامل أثناء عمليات البيع والشراء والمعاملات والتزواج وغيرها وكان التمسك فيها يؤدي إلى عقوبات حادة. فأي عقد كان يبرم بين شخصين كان يحتاج إلى تزيين محدد، موضوع العقد، شروط جزائية لن ينقض الاتفاق وشهود وأعضات وتسجيل في الشهر العقارى.

ففي الأفران كان الأقباط يدعون الكثير من أولادهم الأقباط في احتفالات كبيرة للمشاركة في المرحاحم، وهؤلاء المدعوون هم أفراد العائلتين وكبار البلد من موظفي الحكومة وأصحاب املاك

حين أصبحت الكنيسة.. مصرية

فكري أنندراوس



بقايا رسوم على جدران دير القديس مكارىوس بواحي المطرون

والكتابات المسيحية لم تعترف بها الكنيسة الأولى التي اعتبرت فقط بآناجيل أربعة منذ أواخر القرن الثاني وتلك هي أناجيل مرقس، يوحنا، متى ولوقا. وكل تلك الأناجيل تحكي قصة حياة المسيح إلا أن هناك بعض الاختلافات الهمة بين تلك الأناجيل وقد حاربت الكنيسة منذ أواخر القرن الثاني باقى الأناجيل وقد نجحت تماماً فى إخفائها إلى أن عثرنا على مكتبة نجح حمادى.

حوالى ٩٠، من مكتبة نجح حمادى يعتبر كتاباً غنوسية Gnosticism والكلمة أصلها يونانى تعنى المعرفة ويعرفها قاموس المورد بأنها عذهب بعض المسيحيين الذين اعتقدوا أن المادة شر وأن الخلاص يأتى عن طريق المعرفة الروحية. أما القاموس لعصرى فيعرفها بأنها مسيحية يعتقدون بأن الخلاص بالمعرفة دون الإيمان. والحقيقة أن تعريف الغنوسية أمر صعب حيث أن هناك أيضاً غنوسية يهودية وغنوسية إسلامية (مثل آراء المعتزلة الخاصة بالتفسير) وكذلك غنوسية معاصرة ومن الممكن تعريف الغنوسية التي نحن بصدها أنها حركة دينية مسيحية فلسطينية عرفت في القرن الثاني الميلادي تعتمد على التفسير الرمزي المستدير ولها جذور في الفلسفة القديمة لليونان وبلاط فارس والهند. وقد حاربت الكنيسة هذه الحركة وقضت عليها. في أواخر القرن الرابع من هنا

أقباط مصر تركوا بصماتهم على مفهوم المسيحية في العالم فمنهم خرج فلاسفة المسيحية الأوائل من مدرسة اللاهوت بالإسكندرية. ومنهم خرج رواد الرهبنة الأوائل والتي انتشرت بعد ذلك في العالم المسيحي

الماضى حيث استطاعت هيئة اليونسكو مع هيئة الآثار المصرية تصوير الكتب كافة والتي تحتوى على ٥٢ شتيبا ٤١ منها لم يكن معروفاً من قبل وعدد صفحات الكتب المكتشفة ١١٥٢ صفحة. بعد التصوير أصبحت محتويات المكتبة متاحة للباحثين الذين نشرها آلاف الكتب والمقالات.

تعد سلطت مكتبة نجح حمادى الكثير من الأضواء على المسيحية فى قرونها الأولى. أهم محتويات تلك المكتبة: إنجيل توماس، إنجيل فيليب، إنجيل الحقيقة، إنجيل ولية، إنجيل المصيرين. الكتاب السرى ليوحنا. الكتاب السرى لجيمز، حكمه المسيح، جمهورية افلاطون، أصل العالم. وبعض رسائل تحمل اسم تلاميذ المسيح. كل هذه الأناجيل

كاهن القرية الأب باسيليوس عبد المسيح وصرح للكاهن أن يأخذ أحد هذه الكتب على أن يحفظ الباقي لديه كامانة. وجدت بعض هذه الكتب طريقها للقاهرة ونسرب الخبر لتجار الآثار وكذلك لصلحة الآثار. وقد وجد بعض هذه الكتب طريقه إلى الخارج. وقد استطاعت بعض هذه الكتب أن تكون معروفة من قبل مكتوبة على أوراق البردى باللغة الميمنية. وقد أطلق على تلك الكتب فيما بعد مكتبة نجح حمادى.

لم يعرف العالم الكثير من تفاصيل ذلك الاكتشاف حتى سبعينيات القرن

■ ■ ■ في يوم مشمس في شهر ديسمبر سنة ١٩٤٥ فى قرية جبل الصافية بالقرب من نجع حمادى كانت المصادفة حليفة الإنسانيات فى اكتشاف بعده البعض أهم اكتشاف أثرى فى القرن العشرين. فى ذلك اليوم كان المزارع محمد على السمان وأخوه أبو المجد ينفقان عن سياج لتسميد الزراعة وإذ بهم يكتشفون وعاء من الفخار طوله أكثر من متر. أثار ذلك الاكتشاف الدهشة والأمل والخوف بين الأخوين. كان الخوف من أن يحتوى الوعاء على مفرقت أو روح شريرة ولكن الأمل كان يداعبهم فى اكتشاف كنز يحل مشاكل الفقر والتي تعاني منها الأسرة بعد قتل نجلها.

لم يتروا الأخوان كثيراً ففتشوا الوعاء يجدوه الأمل فى كنز. فتح الوعاء ولم يخرج عفرين ولكن لم يكن هناك كنز أيضاً. كانت خيبة الأمل كبيرة حين اكتشفوا أن محتويات الوعاء عبارة عن بعض الكتب مكتوبة بلغة غير معروفة على أوراق لم يروها من قبل. حمل الأخوان محتويات الوعاء مع بعض السياخ على ظهر الجممل وعادوا إلى منزلهم بلمنان حظهما السرى. ابتدأت والدتهما تستخدم بعض هذه الأوراق لتسهيل إشعال وقود الفرن لطهو الطعام وانصاج الخبز. لم ترغب العائلة فى بقاء تلك الكتب فى منزلهم لأنه كان عرضة للتفتيش فى أى وقت لأهلام محمد فى قتل قاتل والده شأراً. أخذ محمد على هذه الكتب إلى



حين أصبحت الكنيسة مصرية



من الأسباب التي ساعدت المصريين على الدخول في المسيحية بعض الشبه بينها وبين ديانات مصر القديمة والتي منها: مفهوم القيامة في الأموات ويوم الحساب، الثلاثي إيزيس وأوزيريس وحورس، والولادة من عذراء



مرة بعد مئات السنين تعرض بعد ذلك لكثير من التغير المتعمد وهناك خمسة تقنيات معروفة للمتخصصين وأخيراً استقرت إلى النسخة المتداولة الآن بعد أكثر من ألف عام من خروج اليهود المزعوم من مصر. ويرى المتخصصون أن هناك الكثير من التناقض في كتاب اليهود والتي لا مجال لها هنا. أما القرآن فقد ابتدأ تجميع ما هو مكتوب منذ حياة الرسول وقد جمعه زيد بن ثابت في عهد الخليفة أبو بكر الصديق ثم احتفظت بالنسخة، فحصة بنت عمر بن الخطاب. لم يكتب القرآن بالصورة التي نعرفها إلا لأن أنشاء خلافة عثمان بن عفان. في ذلك الوقت أصبح للمسلمين إمبراطورية وابتدأ ظهور نسخ من القرآن مختلفة بعض الشيء وخصوصاً في اللمحة الكتابية. وقد كلف عثمان زيد بن ثابت وآخرين بإعادة كتابة القرآن من النسخة التي لدى حفصة على أن تسودها لهجة قريش. ولم يكتب القرآن وفق تاريخ نزوله بل كتبت الآيات التنظيمية في الأول وتلتها آيات الدعوة. بعد الانتهاء من كتابة النسخة المتداولة للآن والتي عرفت بأنها نسخة عثمان قرر عثمان إعدام باقي النسخ الموجودة وكانت آخر نسخة أعدمته هي نسخة حفصة والتي أعدمته فقط بعد وفاته.

إيرانيوس الذي سبق الإشارة إليه حارب باقي الأناجيل (أنتوسطية) لأسباب متشكك فيه قليل، وقد كتب خمسة أجزاء للتحكيك في صدق تلك الأناجيل وهي:

The Destruction and Overthrow of Falsely So-Called Knowledge
ولكننا لم نعرف أي شيء يتكرر عن الأناجيل المرفوضة إلى أن اكتشفت مكتبة نجع حمادى. ومن أناجيل نجع حمادى المهمة إنجيل توماس والذي يقع في حوالي ١٥ صفحة ولم يحك قصة

العدد زاد الاضطهاد . وكان الاعتقاد السائد بين كثيرين أن نهاية العالم قريبة وأن المسيح سيعدو سريعاً لخلص العالم. ومن الأسباب التي ساعدت المصريين على الدخول في المسيحية بعض الشبه بينها وبين ديانات مصر القديمة والتي منها: مفهوم القيامة في الأموات ويوم الحساب، الثلاثي إيزيس وأوزيريس وحورس، والولادة من عذراء. وقد استطاعت المسيحية الكثير من الفقراء الذين لم يجدوا أملاً في الخلاص من عذاب الميمنة تحت الظهور الممنوع الاقتصادي والسياسي كما يتضح ذلك من هجرة الكثير من المصريين إلى الصحراء للفرنج وسعدو إلى ذلك. ولم تكن زيادة عدد المسيحيين في مصر فقط بل كان في أغلب أنحاء الإمبراطورية الرومانية، مع زيادة عدد المسيحيين ابتدأت المسيحية تتبدل ومع ذلك التبليو ابتدأ يظهر للكنيسة كيان ورسائل قوية وابتدأ يظهر الشقاق بظهور العديد من الأناجيل. في ذلك الوقت ظهر بمدينة ليون بفرنسا أسقف اسمه إيرانيوس Irenaeus توحيد المسيحية وكان يخشى عليها من كثرة الآراء والأناجيل المتداولة. يعتقد بعض المتخصصين أن هؤلاء الذين تحمل جميع أناجيل العهد الجديد كما نعرفها الآن. وقد أرجع إيرانيوس كتابته لتلك الأناجيل إلى هؤلاء الذين تحمل أسماءهم وهم مرقس، متى، لوقا، يوحنا. إلا أن المتخصصين يرون أن الأناجيل الأربعة كتبت بمجهود مجامع ونسبت لهؤلاء بعد استهدافهم بسنين طويلة. فمثلاً إنجيل مرقس كتب ما بين سنة ٧٠-٨٠ م. باقي الأناجيل فقد كتبت ما بين سنة ٩٠ و ١١٠ م. تقليد شفهي متواتر. ونحن بهذا الصدد يجب أن نذكر أن العهد القديم وهو كتاب اليهود كان حفظ بالتقليد الشفوي لد طويلاً وقد صاحب ذلك الكثير من التغير وعندما نسخ لأول

كان اهتمام الباحثين بمكتبة نجع حمادى حيث إنها أضافت لمعلوماتنا الكثير عن المسيحية في قرونها الأولى وكيف استقرت الكنيسة إلى ما صارها الكنائس الآن خصوصاً الأرثوذكسية وإتقنى التفكير السليم (والكاثوليكية) وتعتنى كنيسة جامعة).

كيف كانت المسيحية إذا في مصر في قرونها الأولى؟ نحن نعلم من قديم أن أقباط مصر تركوا بصماتهم على مفهوم المسيحية في العالم فمنهم خرج فلاسفة المسيحية الأوائل من مدرسة اللاهوت بالإسكندرية، ومنهم خرج رواد الرهبنة الأوائل والتي انتشرت بعد ذلك في العالم المسيحي. ومنهم من دافع ببطولة وتضحيات كثيرة عما اعتبره الإيمان الأرثوذكسي السليم. وإن كنت سأعرض لهذا المقال بإيجاز شديد من بعض المهم في مكتبة نجع حمادى إلا أنني سأهتم أكثر بتاريخ المسيحية في مصر حتى القرن الرابع حيث استقرت الكنيسة المصرية.

اختيار بعض الأناجيل دون الأخرى

المفهوم السائد بين الأقباط أن المسيحية دخلت مصر على يد القديس مرقس عام ٤٣ حين زار الإسكندرية ورسم حناانيا كأول أسقف بمصر ليكرس بالمسيحية. ولكن غالباً ما تكون المسيحية قد دخلت مصر قبل ذلك التاريخ حيث إن العلاقات بين فلسطين والإسكندرية كانت قوية وسريعة وقد كان بالإسكندرية جالية يهودية كبيرة، وحناانيا هذا الذي رسمه القديس مرقس كان يهودياً قبل تحوله إلى المسيحية. وقد اعتبرت المسيحية في أوائل عهدها كمذهب يهودي. يذكر لنا التقليد الكنسي أيضاً أن القديس مرقس زار الإسكندرية للمرة الثانية ما بين عام ٦٨ وعام ٧٨ وكان عدد المسيحيين قد زاد خلال وأصبحوا عرضة للاضطهاد. وفي خلال هذه الزيارة كتب القديس مرقس أحد الأناجيل الأربعة (باحتيا) وشهدوا بها كاترانية ضخمة ماراث موجودة وسميت فينسيا جمهورية القديس مرقس

نحن لا نعلم الكثير عن المسيحية حتى أواخر القرن الثاني وإن كنا نعلم أن عدد المسيحيين قد زاد كثيراً ومع زيادة

حياة المسيح كما في الأناجيل التي اعتبرت رسمية بل هو عبارة عن ١٩ قولاً من أقوال المسيح أو المنسوبة إليه. وتلك الأقوال بسيطة وجميلة ورغم بساطتها تحتمل العديد من التفسيرات وتكاد تكون غالبة تماماً من الأساطير والمعجزات. وإن كانت ترجمة تلك الأناجيل خارج نطاق هذا المقال إلا أنني اخترت عشرة من الأقوال المنسوبة للمسيح في إنجيل توماس للعرض على القارئ لإعطاء فكرة مبسطة عما تحويه الأناجيل الخسوسطية. وقد ترجمتها من الإنجليزيتي مع بعض التصرف للحفاظ على المعنى:

١. المسيح قال: إذا قالوا لك المملكة في السماء فسيبقتك الملك وإذا قالوا لك إن المملكة في البحر فسيبقتك السمك. لكن المملكة داخل الإنسان وخارجة وإذا عرف الإنسان ذلك فسيصم أن الناس أولاد الأب الذي يعيش وإن لم يعرف الإنسان ذلك سيصم في فقر وسيكون هو الفقر.

٢. الإنسان كالصياح الذي يطرح الشبكة في البحر ويصيدها بمسيلة بالسمك. الصياح الحكيم يكتشف السمك ويختطف ويبيع السمك الصغير للبحر ويختطف ويبيع السمك الكبير. من له أذن فليسمع .

٣. المسيح قال لتلاميذه: قارنوا بيني وبين آخرين يقولون لي: أنت ماضٍ! بطرس قال: أنت كرسول صادق. ماثيو قال: أنت تكفلسوف حكيم. توماس قال: سيدى قمى شير قادر أن يجد لك كنيسة .

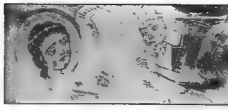
٤. المسيح قال: إذا تسب سيديك، لأنك أرتويت فقلت من البيوع الذي اعتنيت به .

٥. سأل التلاميذ المسيح عن ملكة السماء؟ المسيح قال إنها كحبة الخردل التي هي أصغر الحبوب لكنها لو سقطت على تربة جيدة تنمو إلى نبات كبير يأوى طيور السماء.

٦. سأل التلاميذ: أترادوا إلى مكائلكم التي يجب عليا أن تسبقوا؟ المسيح قال: من له أذن فليسمع. هناك نور داخل الإنسان ويضيء العالم كله إن لم يضيء سيكون هناك ظلام.

٧. المسيح قال: الكتبية والفرسيون أخذوا مفاتيح المعرفة وأغصوا فلم يدخلوا ولم يسمحوا للآخرين بالدخول أما أتم فتكونوا حكماء كالحنايات ودعاء الحماح.

٨. سأل التلاميذ المسيح: من أنت تقول لنا هذه الأقوال؟ المسيح قال: لهم من أنا ما أقول لقد استسلمت كاليهود الذين أحبوا الشجرة ولكنهم كرهوا شمارها أو أحبوا الثمار ولكنهم كرهوا الشجرة.



حين أصبحت الكنيسة مصرية

استمر وجود الأنجيل الفتوسطية

في مصر حتى عام ٣١٧ حين طلب البطريرك المصري أنطونيوس في خطابه للرهبان بمناسبة عيد القيامة الإخلاص من كل الأنجيل والكتابات التي لم تعترف بها الكنيسة

الوقت ذهب أوروخيوس إلى مدينة صور بلبان الحالية واستمر في الكتابة والتعليم إلى أن توفي عام ٢٨٤ خذجة جوبغه في التفسير المجازي المستنير وعندما أصبحت الكنيسة ومؤسستها محافظة والتحمت بالعودة أدين أوروخيوس بقرارات كنسية عديدة من الإسكندرية Justinian سنة ٥٢٩. وكان ذلك سنة ٤١٣ و٥٢٩ أي بعد وفاته بحوالي ١٥ إلى ٣٠ عام وانهم بالهرطقة ليس فقط من الكنيسة بل أيضاً من الإمبراطور جوستينيان Justinian سنة ٥٢٩. بكل تلك الإدانات أصبحت كتابات أوروخيوس كافة محرمة من الكنيسة ومن الدولة مما أدى إلى إخفاء وتحريف الكثير من أعماله. ويعتبر بعض المؤرخين المعاصرين أن المسئولين عن إدانة أوروخيوس وأعماله قد خذلوا المسيحية وخدعوا أعداءها. وبكيفية اليوم أن نعلم أن المتخصصين في الغرب اعتباراً من عام ١٩٧٢ وحتى الآن يعقدون مؤتمرات دورية عن ذلك الصيوسف المصري القديم والذي أصبحت كتاباته تخدم الحاضر والمستقبل.

تولى رئاسة المدرسة بعد أوروخيوس خمسة من تلاميذه وإن كانوا دون مستواه إلا أنه كانت لهم مساهمات لا يستهان بها وقد أصبح بعضهم بطريرك الإسكندرية وكان أحد هؤلاء الأعظم Didymus الضمير الذي توفي عام ٣٨٨ وهو الذي ابتكر طريقة تمكن الصغار من القراءة تشبه طريقة بريل Braille وإن سبقتها بحوالي ١٥٠٠ سنة. بعد ديجيوس دخلت المدرسة في عالم النسيان واهتقت بذلك فلسفة مسيحية اعتمدت على العلم والحكمة وانتهت بذلك فترة ثنوية مهمة أعيد اكتشافها في العصور الحديثة.

من الصفح الغربية أن يكون القرن الثاني وحتى القرن الرابع الميلادي والقرن

هلامسة مدرسة الإسكندرية. ومن أقواله الشهيرة: إن الجهل أسوأ من الخطيئة. وله ثلاثة كتب من المسيحية بمفهوم مستنير وبعض كتاباته لم توافق عليها الكنيسة في أوقات لاحقة، مما أدى إلى اتهامه بالهرطقة. ولد اضطد كليمنصس لترك الإسكندرية سنة ٢٠٢ لشدة الاضطهاد الروماني.

خلف كليمنصس تلميذه أوروخيوس Origen الاسم فرعوني مشتق من اسم حورس) وكان عمره يقارب العشرين كان ذلك الشاب أسطورة خلال حياته فقد كانت عنده قدرة خارقة للعادة في الحصول على المعلومات والتفكير المستقل وفي الكتابة. خلال رئاسة للمدرسة تقدم بها كثيراً وأصبحت لها مدرسة الإسكندرية الشهيرة والتي كان يحضر بعض محاضراتها. أصبحت المدرسة تدرس بالإضافة إلى المسيحية: اللغة، الموسيقى، الفلسفة اليونانية، علم الرياضيات والطبيعة. أصبحت مدرسة اللاهوت ذات شهرة واسعة داخل وخارج مصر فقصدها الكثيرون في خارج مصر وأصبحوا فيما بعد رؤساء كنائس وكان أوروخيوس يحاضر كثيراً خارج مصر وقد كتب ما يقرب من ٦٠٠ كتاب بعضها يعتمد على التفسير المجازي الذي وضع له أسما وقواعد وكان أوروخيوس رغم شهرته الواسعة إنساناً شديد التواضع وقد أثر ذلك في مسار الرهنية فيما بعد فكان الكثير من الرهبان الأوائل متعلمين على عكس ما أشيع بعد ذلك من أنهم رهبان أنماك بسطاء. وقد لاقى أوروخيوس الكثير من المضايقات من البطريرك المصري الذي ضايقه أن يتألم أوروخيوس تلك الشهرة الواسعة سنة ٣٢٣ طرد البطريرك المصري ديمستريوس Demetrios أوروخيوس لأسباب يعتقد المؤرخون أنها شخصية ولكن لم يصدر ضده أي اتهام بالهرطقة حتى ذلك

٨ المسيح قال: إذا قدمت ما بداخلك، ما بداخلك سينتقدك. إذا لم تقدم ما بداخلك، ما لم تقدمه سينتقدك. ٨ المسيح قال: من أصبح غنياً (بالهرفة) يجب أن يحكم ومن عنده القوة يجب أن يتنازل عنها. ١٠ من يتشرب مما أقول سيكون مثلي وأنا ساكنون مثله وسيكشف الفموش. المسيح في إنجيل توماس يعتبر كلمه روحاني وليس كاله. ومفهوم الجنة والنار والخلاص في الأنجيل العنوسطية مفهوم رمزي وهناك خلاف آخر مهم بين ما وجد في تلك الأنجيل وما تعترف به الكنيسة من قيامه المسيح بعد الوفاة وصعوده بالجدس. فلأنجيل نجح حمادي تعتبر القيامة في الأموات هي قيامة رمزية للخلاص ويعتبر أن التفسير الحرفي للقيامه هو إيمان الجبهة والضعفاء.

وقد استمر وجود الأسانجيل العنوسطية في مصر حتى عام ٣٢٧ حين طلب البطريرك المصري أنطونيوس Athanasius في خطابه للرهبان بمناسبة عيد القيامة الإخلاص من كل الأنجيل والكتابات التي لم تعترف بها الكنيسة. وربما كان ذلك العام هو نفسه الذي دفنت فيه مكتبة نجع حمادي لإخفائها. ولا اعتقد أنها مصادفة أن تكون قد دُفنت بجوار أحد أدبره الأنبياء بأومخيوس القديمة. في ذلك الوقت أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية وقد التحمت الكنيسة بالعودة والغيا ما تكون الكنيسة قد استعملت القتل والعنف للخلاص من الأنجيل المخالفة والتي اعتبر اقتناعها جريمة.

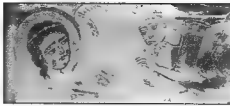
مدرسة الإسكندرية للاهوت

شهدت مسيحية مصر منذ أواخر القرن الثاني مولد مدرسة اللاهوت الإسكندرية والتي بعد سنوات قليلة تألفت بفلسفة ولادة اثر في المسيحية العالم. أول رئيس لتلك المدرسة دامت شهرته هو بنينوس Panenus وكان ذلك سنة ١٨٠ ويقال إنه اسم في تطوير تلك الفطرية وهي الهيرولوجية مكتوبة بحروف يونانية بعد إضافة سبعة حروف. وإبتدت المدرسة خلال تلك الفترة تتحول من مجرد كائن صغير لتعليم بعض قوانين المسيحية إلى مدرسة تدرس آثار أخرى بجوار المسيحية. سنة ١٩٠ أرسل البطريرك المصري يتيوس في مهمة إلى الهند وحمل معه تلميذه كليمنصس Clements وبوإني الأصل وكان عليهما بالفلسفة اليونانية وطوعهما لتفسير المسيحية وإبتدا حواراً مع

الثاني وحتى القرن الرابع الهجري عصور تنوير في المسيحية والإسلام تعتمد على العلم والعقل والعلمسة اليونانية للوصول لتفسيرات دينية مستنيرة. وكما كان رواد مدرسة اللاهوت بالإسكندرية مصدر إشباع للتفسير المستنير كان فرسان المعتزلة مصدر إلهام للتفسير الإسلامي المستنير كلاهما اعتمدوا على التفسير المجازي ولم يلقوا عند طواهر النصوص. وكما اتهم أوروخيوس وكليمنصس بالهرطقة فقد اتهم فرسان المعتزلة بالهرطقة ورج بهم في السجون بقوانين الدولة والتي كان آخرها التي سماها الخليفة العباسي القادر (٢٨١-٤٢٣ هـ) وكان ذلك قمة المحنة في المضهوم الإسلامي والسياسي كما قال د. محمد عمارة أو كما قال المفكر الإسلامي الكبير هود أمين إر من أكبر مصالبي المسلمين. موت المعتزلة وأصبحت أعمالهم محرمة وأخشي الكثير منها. وكما يعاد اكتشاف أعمال مدرسة الإسكندرية يعاد اكتشاف أعمال المعتزلة.

المصريون رواد الرهنية المسيحية

الرهبنة هي الاعمال عن العالم للتعبد والتأمل. وتلك الأنفلز قد يأخذ عدد صبور. هذه الرهنية هو التجرد من الدنيا والالتزام بالخالق كما في الرهنية المسيحية أو الصوفية في الإسلام أو نكل الكائنات وكما في الرهنية البوذية أو الناطيكية كما في بعض مذاهب الرهنية الحديثة. والرهبنة البوذية سبقت الرهنية المسيحية بحوالي ٢٥٠٠ عام وإن كان الابدع عن العالم للتعبير والتعبود قد يكون قديماً قدم الإنسانية. الرهنية المسيحية تعود لرائدها المصري أنطونيوس والمخلوق عام ٢٥١ في قرية قمن العربى بالبحيرة وعندما كان أنطونيوس في المنشرب وبعد وفاة والده بفترة قصيرة سمع كاهن القبطية يقرأ قصة من الإنجيل تقول إذا أردت أن تدخل ملكوت السموات فانهب بيع كل ما تملك واقتطع للفقراء. وابتني. وقع أنطونيوس وصية الإنجيل حرفياً وهدم بيته وحيداً للتعبود بجوار القبار. كانت هذه بداية رحلة أنطونيوس في حياة الوحدة والرهبنة والتي استمرت لأكثر من ثلاثين عاماً. ثم انتقل ليعيش وحيداً في ميني روماني مهجور هو الآن دير الميوني بجوار بني سويف. كان أنطونيوس في وحدته قليل الأكل. قليل النوم، كثير الصلاة والتعبود. أصبحت تلك الحياة أنطونيوس وأصبح نقي الروح ذا احتياطات وأصبح قلبية. إبتدا ذلك المسلك يجذب بعض راضعي النسك وكانوا كثيرين



حين أصبحت الكنيسة مصرية

ازدهرت الرهبنة المصرية وأصبحت زيارة رهبانها مكملة لزيارة القدس وقد زارها في ذلك الزمان الكثير من الأجانب بعضهم ترك لنا مذكرات تستحق القراءة

القديمة والتي دمر المسيحيون الكثير منها ، توفي شودة سنة ٤٥١ ع من حوالي مائة عام .
أما في الوجه البحري فقد كان هناك عدة نساخات رهبانية في غرب الدلتا على حدود الصحراء وفي وادي الشطرون . كان أول هذه النشاطات في منطقة تريا قرب جبل البروج حوالي ٤٥٦م في مدينة منهنو . وقد توحد في ذلك الجبل ناسك اسمه أمون سنة ٣١٥ م معاصرًا للقدسي أنطونيوس . وقد تجمع حول أمون بعض المتوحدين وكان يكن هذا التجمع في بدايته منتظمًا إلا أنه بمرور الوقت اشتهر ومع زيادة عدد النساك التزم أمون بعض النظام وكان فكان الكثير من رهبانه متعلمين وعلم في بعض الرهبان أروحيون . وقد أثار ذلك علم بتعاليم أروحيون . وقد أثار ذلك في سلوك الرهبان القليل . وقد اجتهد هذا التجمع الرهباني بعض الأجانب الذين ترحبوا هناك وأرخوا تلك الفترة .
ابتدأت شمس تريا تغيب منذ أواسخ القرن الرابع حين ظهرت مشاهير الرهبان تضيقت بين بعض الرهبان المستنيرين وبعض الرهبان البسطاء . وكانت المشكلة تتعلق بصورة الله ومشابهة الإنسان تلك الصورة . يرى المستنيرين منهم أنها مشابهة رمزية ويرى البسطاء أنها مشابهة فعلية . وقد تشيبد رأى البطريرك (٣٨٠-٤٣٠) ثاوبليس Theophilus (٤١٢-٤٣٨) حول هذه المشكلة من نتج عنها استفحالها . وقد استخدم البطريرك العنف بتأسيده صكار الدولة ففني مئات من الرهبان وحرق بعض مساكنهم . ومن الأسباب التي أعطاه البطريرك لهذا العنف أن الرهبان المستنيرين قد تآثروا بتعاليم

عشر من الأديرة اثان منها للرهبان . وقد رتب باخوميوس مكان إقامة الرهبان في فليات (غرب صفيرة) فيسكن كل منها ثلاثة رهبان . وقد حدد رتباً معيناً للرهبان مازال يعمل به للآن . وقد رتب اجتماعات سنوية للرهبان لانتخاب المشرفين علي الدير . وقد اهتم بالتعليم وعين طائفة تنسج الكتب وأخرى للزراعة وثالثة للخلاص وسلكا الحظائر والزراعة ومجموعة أخرى للخدمة خارج الدير . ومنهم من كان يساعد الفلاحين في موسم الزراعة . توفي باخوميوس سنة ٣٦٦ ع من ٥١ عاماً . وقد أثار النظام الباخومي التباه العالم المسيحي والذي اقتبس الكثير منه في أديرة العرب وخصوصاً أديرة البندكتين (Benedictine) أما شودة (الاسم أصله شوتى وتعني بالمصرية القديمة ابن الله) فقد أسس ديراً كبيراً بجوار مدينة أخميم ويسمى بالدير الأبيض وقد التبّع نظام أديرة القديس باخوميوس وكان ذا شخصية قوية وجذابة . وقد تجمع في الدير الأبيض في ٢٠٠ عام ٢٢٠ م .
أسس ديراً للرهبان تجمع به حوالي ١٨٠٠ راهب . ومن مميزات شودة أنه اهتم كثيراً بالتعليم وقام بتعليم الرهبان الأميين . وقد سن قوانين قبول الرهبان مازال يعمل ببعضها . وقد فتح شودة الدير للأهل فقما لهم ما كان يحتاجونه من طعام وخدمات وأمنت نطاق خدماته خارج الدير رقب كان الأهالي يلاون إليه لحل بعض مشاكلهم . كان شودة يخطب ويعطى في مناسبات عديدة وكثيرة .
يهاجم القلم الواقع على الفلاحين لحساب الأغنياء . وقد ترك شودة ثقافتين صخرة ومزالت بعض طلائه تنلني في الكنائس .
وكنيسة البطريرك الأبيض الأديرة مازالت حوافظها قائمة وهي تشابه العابد الفرعوني وقد استخدم في بنائه كتلاً حجرية كبيرة أخذت من المعابد

ومنتشر في مصر . ابتدا تجمع البص بجوار أنطونيوس بفسد عليه حياة الوحدة فترك مكانه وذهب شرقاً علي بعد ٣٠ كم من البحر الأحمر وعاش في مقارة علي جبل القلم حتى توفي سنة ٣٥٦ ع من ١٠٥ سنوات

تتبع بعض النساك أنطونيوس في مكانه الجديد واعتباراً من سنة ٣٥٥ ابتدا يرشد التجمعين حوله في حياة النساك والعصيلة ويمتد هذا أول تجمع رهباني فيما يسمى الآن دير الأنبا أنطونيوس . لم يكن لهذا التجمع خواص ثابتة فاعلّب التجمعين كانوا يعيشون فرادى كل في مقارة علي الجبل يجمعهم وجود أنطونيوس بينهم . ذات شهرة أنطونيوس داخل مصر وخارجها وأصبح إنساناً روحانياً يقصده الكثيرون .

كثبت سيرة القديس أنطونيوس بعد وفاته سنين قليلة بواسطة الشاسيوس البطريرك المصري والذي كان منفيًا خارج مصر حوالي سنة ٣٦٠ وكان الشاسيوس أحد تلاميذ أنطونيوس . وقد ساعد كتاب سيرة أنطونيوس في انتشار الرهبنة خارج ودخل مصر .

لم يكن أنطونيوس سوي سبع رسائل عن حياة النساك وقد كان اعتقاد السائد أن أنطونيوس إنسان بسيط غير متمتع إلا أن التحليل الحديث لتلك الرسائل أثبت أنه كان علي علم بلفظغة الإفرنجي وعلي الأقل ببعض تقنيات أروحيون وأنه استخدمها في بعض رسائله . ولم تكن أعمال أروحيون قد أدت بعد . والنسأل الواحد الآن هو : لماذا أصبحت سمعة أنطونيوس بالبساطة وعدم العلم ؟ والإجابة عن هذا السؤال سيستلهمنا

القارئ مما سبق ورعنا سيأتي . وإن كان أنطونيوس قد ابتدا أول تجمع رهباني في القرن الرابع فقد شهد هذا القرن تجمعات رهبانية أخرى مستقلة وابتدأت الرهبنة تستلثم داخل تجمعات رهبانية كبيرة وصل عدد رهبان بعضها لبطنة الالف . وبرز الوقت ربي هبة البسيط للرهبنة التي كانت في هذه المرحلة مستقلة عن الكنيسة إلى مؤسسة قوية مرتبطة بالكنيسة بل أصبحت جزءاً من الكنيسة . ومن الرهبان الذين تركوا بصماتهم في الرهبنة في صعيد مصر باخوميوس وشودة .

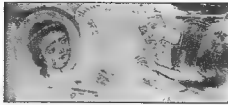
كان باخوميوس (٤٣٨-٤٥١) بالمصرية القديمة (نسر) في منطقة طيبة وكان معاصراً لأنطونيوس . ابتكر القديس باخوميوس نظاماً جديداً وواقعاً للرهبنة كارت عملاً لكل راضع ونظم مواءمته ومناخه للصلاة ومواعيد ثابتة للطعام وعين أحد كبار الرهبان للإشراف علي الدير وعين مساعداً له . أصبحت أديرة القديس باخوميوس مؤسسة كبيرة جيدة النظام وقد أنشأ في حياته أحد

الفيلسوف أروحيونوس فجمع مجمعاً نسبياً ٤٠٣ . وأدان أعمال باخوميوس رغم أنه لم تكن هناك مشاكل مع تعاليم أروحيونوس قبل ذلك بل إن البطريرك كان علي علاقة طيبة مع رهبان تريا وقد أرسل ابن أخيه ليترهن بينهم والذي خلفه كبطريرك . بعد هذه الفترة الشائكة ابتدا غروب شمس الرهبان المستنيرين وابتدأ عهد الرهبان البسطاء وعهد الأساطير .

ابتدا تجمع رهباني آخر في منطقة تبعه ٤٥٦م غرب تريا وسميت بالقلالي لانتشار قلالي الرهبان بها وكان هناك تجمع رهباني آخر في منطقة وادي الشطرون وأصبحت تلك المنطقة تكتظ بالرهبان وأنشأ بها العديد من الأديرة وأدار منها أربعة عامرة بالرهبان . أسس أديرة وادي الشطرون مقار (اسم فرعونى معناه صادق الصوت وكان معاصراً لأنطونيوس . ابتدا مقار تجمع الرهباني سنة ٢٠٠ وكان مشاهير تجمع رهبان تريا إلا أنه كان أكثر انعزالاً . لم يمض وقت طويل قبل أن يصل عدد الرهبان هناك لبطنة الالف . وقد أصبحت الظروف في تشكيل النمط الرهباني في وادي الشطرون .

ازدادت شهرة رهبان غرب الدلتا ووادي الشطرون وأصبحت مزاراً للنساج داخل وخارج مصر وترهن بها بعض ذوى الثروة . وابتدأت الرهبان تثرى بل تلك المنطقة في وقت أصبحت فيه المسيحية الديانة الرسمية الوحيدة للإمبراطورية . أثار هذا الثراء قبائل البربر الذين يقطعون الصحراء ويمتشيون أحيانا من الهجوم على أطراف الوادي لنهب خاصة في أوقات الحصاد . ابتدا هؤلاء البربر يهاجمون أماكن الرهبان ويسلبون ما عندهم وأحياناً يقتلونهم . تتسبب لذلك ابتدا الرهبان يحيطون مبانيهم بأسوار للحماية ازاد ارتفاعها وأصبحت الطراز المتبع حتي في المناطق التي لم يهاجم رهبانها .

اشتهر بعض رهبان وادي الشطرون بالروحانية العالية والنسك والبساطة والتاريخ الكسبي يذكر الكثير من أسماء الرهبان والكثير من الأساطير التي أصبحت جزءاً من التراث الشعبي . وهكذا ازدهرت الرهبنة المصرية وأصبحت زيارة رهبانها مكملّة لزيارة القدس وقد زارها في ذلك الزمان الكثير من الأجانب معهم ترك لنا مذكرات تستحق القراءة . وقد أثرت الرهبنة المصرية علي مسار الرهبنة خارج مصر فكان القرن الرابع ليس قرن انتشار الرهبنة في مصر فقط بل قرن تطور الرهبنة من مصر إلى العالم المسيحي وتحن تعرف علي الأقل عشرة من تلك الأديرة والتي أصبحت مراكز لانتشار الرهبنة في بلاد كثيرة .



حين أصبحت الكنيسة مصرية

الأرثوذكسية السليمة

في أوائل القرن الرابع ابتدأت المسيحية تشهد تغيرات واسعة منها ازدياد الاضطهاد خلال حكم الإمبراطور دقلديانوس Diocletian (284-305) وانتهاء الاضطهاد واعتراف الإمبراطورية بالمسيحية كأحد أديان الدولة حوالي سنة 312 خلال حكم قسطنطين. Constantine وشهد هذا القرن مشكلة دينية هزت العالم المسيحي واستمرت تهزته لحوالي نصف قرن. كانت مصر مصدر تلك المشكلة والتي عرفت فيما بعد باسم بدعة أريوس Arian والتي ابتدأت عام 319. كان أريوس كاهناً مشهوراً بالإسكندرية وكان ذا علم وله الكثير من المؤمنين بتعاليمه داخل مصر وخارجها. كانت تلك البدعة ببساطة تنادي بأن المسيح مخلوق ولا يساوي الأب (الله) في الجوهر. لم يوافق البطريرك المصري السكندروس ومعه آخرون على تعاليم أريوس وجرمته بجمع كنس سنة 321 فصاعدت تلك المشكلة وتحولت إلى صراع بين أريوس ومؤيديه داخل وخارج مصر وبين رئاسة الكنيسة المصرية. كان بعض أساقفة أريوس على صلة بالإمبراطور قسطنطين الذي حاول أن يعيد أريوس للكنيسة المصرية إلا أن البطريرك المصري رفض ذلك. كان قسطنطين قد تحول إلى المسيحية حديثاً بمسيحية جميلة لا مكان لها هنا إلا أنه كان رجل دولة ذا رؤية وحاول تلافي أي انقسام في الكنيسة والتي كانت في طريقها لتكون إحدى مؤسسات الدولة القوية. افتتح الإمبراطور بضرورة عقد مؤتمر كنسي لتلافي تلك المشكلة المتصاعدة وحده له الزمان والمكان. ولكن البطريرك المصري الذكي والقرى تسامحه سمعاً مدمرة الألهوت السكندري أرسل خطابات تفصيلية تحكى وجهة نظره في هذا الصراع إلى حوالي 70 من رؤساء الكنائس خارج مصر.

عقد المؤتمر سنة 325 في مدينة نيقية بجهة الحكم الإمبراطوري ومركزه وكان قسطنطين رئيساً للمؤتمر إلا أنه لم يتدخل في قراراته. حضر هذا المؤتمر ويعد الأول من نوعه في العالم المسيحي الكثير من الأساقفة ورؤساء الكنائس. وقد ذهب السكندروس إلى المؤتمر تسانده معظامة من الأساقفة اللاتين لكنكريس البابوي وكان معه أيضاً سكرتيه الشاب الطموح والعديد من الأساقفة. نوقش في هذا المؤتمر العديد من مشاكل الكنيسة (التي لا أهم ما كان يتعلق بأريوس وإرائه وقد نادى المؤتمر بأن البطريرك المصري وقرر المؤمنون قائلين أنهم يوافقون الإيمان

لم تقبل الإسكندرية الخضوع أو التسليم وقد زاد من قوة الصراع نفوذ الكنيسة المصرية الذي لم يكن ممكناً تجاهله وقوة أنثاسيوس والثقاف المصريين حوله

فقال أنثاسيوس وأنثاسيوس ضد العالم. نفى أنثاسيوس أي طرد من منصبه سبع مرات لفترات مختلفة كان أطولها ثلث عشر سنين وكان يعود بعد كل مرة لنفسه أقوى وأشد مما كان. كان مجموع سنوات أنثاسيوس 18 عاماً وأول مهام منصبه كدسيسة وعشرين عاماً في فترات متقطعة. حاولت المؤسسة الدينية في القسطنطينية والتحالف مع الإمبراطور فرض بطاركة خرين على المصريين بدلاً من بطاركة ولكن المصريين رفضوا أي بديل للزعيم المصري والذي أصبح رمزاً لمقاومة النقص الروماني. كانت بعض فترات النفي خارج مصر كأنها عبارة عن اختفاء أنثاسيوس داخل مصر المتور على.

لم تخرج أنثاسيوس قيد أنملة عما اعتقه أنه الإيمان السليم ولولاه لتغير وجه المسيحية في العالم. ومن أهم أعمال أنثاسيوس أنه وجد الكنيسة من الاضطرابات التي عاصرتها وكانت بدعة أريوس أهمها وكانت تشق الكنيسة. كما أنه ربط حركة الرهبنة بالكنيسة والتي كانت من قبله مسقلة عن الكنيسة. وقد ابتدأ في تعيين أساقفة ومطارنة من بين الرهبان وابتدأ البطاركة من بعده يعينون رؤساء الأديرة وأصبح التقليد المتبع الآن أن يختار البطاركة من بين الرهبان. وقد كتب أنثاسيوس حوالي 40 رسالة وكتائباً أسبغها انتشاراً سيرة حياة القديس أنطونيوس المتداولة لأن وإن كانت محل نقاش من البعض. اعتباراً من عام 326 وحتى وفاة أنثاسيوس عام 337 استقر في الكرسي البابوي واستمرت معه الكنيسة المصرية لم تتغير كثيراً حتى الآن.

لم تكن المشاكل مع أنثاسيوس لاهوتية فقط بل كان لها بعد سياسي

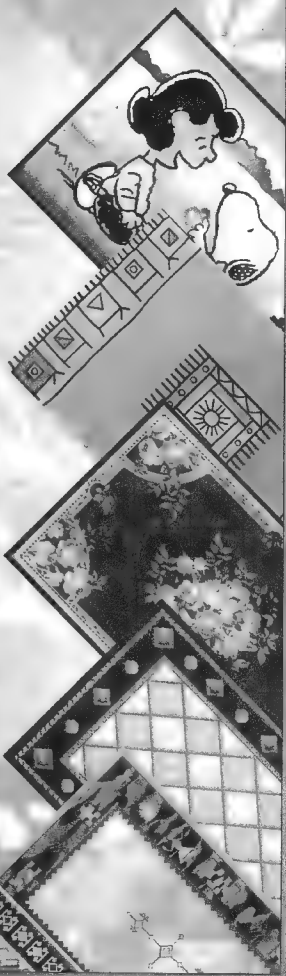
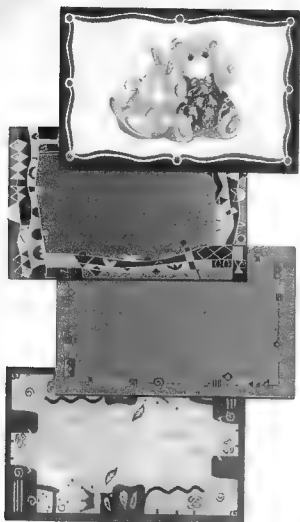
مهم. كانت لرئاسة الإمبراطورية الرومانية في القسطنطينية وفي روما بينما كانت الرئاسة الدينية في الإسكندرية ولم يكن ذلك أمراً مفضولاً في وقت التجمعت فيه الكنيسة بالدولة وأصبحت إحدى مؤسساتها المهمة. ولم يكن مقبولاً من الحكام أن تكون رئاسة المؤسسة الدينية خارج العاصمة. لم تقبل الإسكندرية الخضوع أو التسليم وقد زاد من قوة الصراع نفوذ الكنيسة المصرية الذي لم يكن ممكناً تجاهله وقوة أنثاسيوس والثقاف المصريين حوله. ولم يكن من الممكن لهذا الصراع أن ينتهي دون أن يسلم أحد الأطراف للأخر. ولهذا لم ينته الصراع. كانت هناك بعض فترات هدوء في الظاهر فقط فقد انفجر الصراع مرة أخرى عام 361. كان الصراع هذه المرة حول خلف لاهوتي بسيط لن العرض له الآن. عقد مجمع كنسي في ذلك العام عرف باسم مجمع خلقيدونيا انفصلت على أثره الكنيسة المصرية ومعه السوية عن باقي الكنائس وسألتني هذا المقال بما قاله المؤرخ الأمريكي ساويرس جوردن تعليقاً على انفصال الكنيسة المصرية. عندما ذهب المصريون إلى خلقيدونيا كانوا خوروس تاريخهم المزعومة وكانوا على حق بذلك وكانوا خوروس بآباء مدرسة كنيسة الإسكندرية وكانوا على حق في ذلك قالوا لأعضاء المؤتمر يعتدون على الصواب وعندما رفضوا المؤتمر وجهوا نظرهم خارجاً من المؤتمر وكانوا على حق في ذلك أيضاً.

منذ عام 361 أصبحت الكنيسة المصرية كنيسة قومية مسقلة تعرضت لكثير من المشاكل ولكنها لم تغير هويتها المصرية وكنيسة لم تتغير كثيراً خلال 1000 عام.

المراجع

- (1) The Nag Hammadi Library, James M Robinson, General Editor, Harper & Row Publisher, 1977
- (2) The Gnostic Gospels, Elaine Pagels, Vintage Books, 1998
- (3) The Roots of Egyptians Christianity, Birger A. Pearson and James E. Georbing, Ediciones, Fortress Press, 1988
- (4) The Letters of St. Antony, Samuel Rubenson, Studies in Antiquity, 1990
- (5) Athanasius and Asceticism, David Brakke, John Hopkins University Press, 1995
- (6) الابن متى المسكين، القديس أنثاسيوس الرسولي، دير القديس أنبا مقار، الطبعة الثانية، سنة 2002

ملا متواجد في مراكز





ماك على الإنترنت www.maccarpet.com

سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

مشایات

قطع موگیت

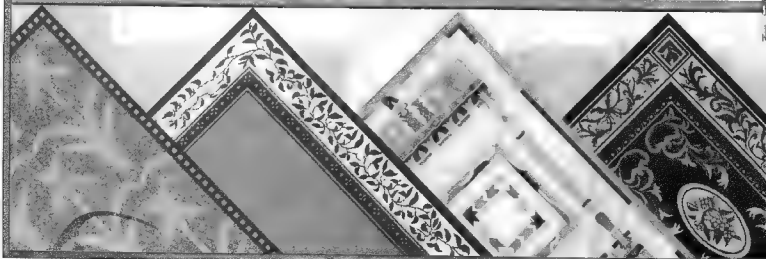
مطبوع

دواست حمام

شرقی

سجاد اطفال

بيع بواقى التصدير المنتشرة في كل أرجاء مصر.



نجيب محفوظ.. المصائر

■ نجيب محفوظ هو نجيب محفوظ
هو الأول بين كتاب الرواية، من باب
الريادة، ومن باب الإجابة

قضى في عصره الطويل، أبطال الله
سنينه بيننا. أكثر من ستين عاماً مترجماً
على القمة، دون أن يستطيع أحد، من
الكاتبين بالعربية، أن يزاحمه في
المكان والمكانة

ومكان نجيب محفوظ
ومكانته لم يأتيا من فراغ،
جاءا نتيجة أعمال، جيدة
كثيرة - أراد لها أن
تستقرن والعنا
السجودي



بين الفنائب والمتروك!

هشام الساموني

الأمر جلاً: ولنبعد في التفرقة، مستعنيين بالفسافة والفكر وعلم الجمال.

الأقائيم الستة:

الفيلسوف صاحب نظرة كلية للوجود، يصل إليها في محاولة لأن يحصل على منظومة من أجوبة للمسائل أو الأسئلة الكبرى في الوجود وحياة الناس ومصائرهم.

والفكر صاحب معطيات يراها مؤكدة، يستهدف منها الحصول على منظومة من الأجوبة على مسائل أو أسئلة تظنها مهمة أو ضرورية أو عاجلة. يحاولها إلى أسئلة مجاهدة من أجل الحصول لها على إجابات من الأيديولوجيات المتحاة (غالباً من أيديولوجية واحدة).

وصاحب الرأي صاحب ثقة فيما توصل إليه، دمنياً. في مجالته لا إحدى القضايا

أما عالم النفس فيرى الإنسان كلاً (هو النفس الانسانية الواحدة، العامة، في تجلياتها المجتمعية العديدة والمتخلطة) يحاول سبر أغوارها، والوصول إلى كنه التحول في حالاته، وكيفية العودة به إلى التوافق مع المجتمع (والتوافق الإيجابي الذي يسعى إلى تغيير المجتمع، إلى الأفضل، نوع عظيم وسام من التوافق، إذ لا يخلو التوافق مع النفس خلال الرغبة في التوافق مع المجتمع).

ليس لنا حيلة، وهذا الشيء الواحد هو عين الظلم الفلاح، الذي غناه أديبنا الكبير في تأويل أعماله، وتقولها، وهو السبب الرئيس وراء تلك الواقعة الشنعاء الرهيبة، التي كاد يدفع نجيب محفوظ حياته النبيلة تمناً لها، حين كمن له بضعة ممن لم يقرعوا حرفاً في رواياته، وطعنوه طعنات شاذرة، مازال يعاني آثارها في ذراعه الأيمن، وأصابه التي أمسكت سكين بالقلم لتنهنا أعلى ما لدينا من الروايات، ثم كان - هذا

الظلم الفاح - أس ما غناه من تيمه من الفنانين الحقيقيين والموهوبين، من مطاردة وتضييق، بل وما يغني حربة الإبداع ذاتها (الأمر خطير إذن). واظن أنني بالإضافة لهذا - في مواجهة الأمر الخطير - أمسكت القدرة والشجاعة لأقول، نقدياً وعلى أسس فنية - إن هذا الظلم الفاح هو نفس الشيء الذي صنع من أنصاف الموهوبين، ومن عديمي الموهبة، من يشار إليهم - في الساحة الأدبية - بالهنا في مجتمعاتنا المرص (حين يشغلون الفن اهتماماً، بقصدية لا تنتمي إلى الفن، ويفهمون أعمالاً قصيرة العمر وجماهيرية، وهو أمر في الحقيقة لا يقل خطورة من سابقه)، وصنع فئة ثالثة تعيش اصحابها ويتكسبون على اتهامات، يستجلبونها بأعمالهم عمداً، ومع سبق الإصرار والترصد، لكي تتعقهم - الاتهامات، محققين الشهرة، دون فن يهون (وهو أمر ثالث بالغ الخطورة في حياتنا الثقافية وبإلغ الخطر، بل هو شيء مدمر).

ليتحلنا القارئ قليلاً (إن مادام

والسياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، فاستطاعت، الأعمال، أن تقرأ باكثر مما أراد، بل وأكثر مما علم شخصياً ويعلم، وهذه إحدى خصائص الفن، الذي لا يحيد مدعنه عن التمسك بالصدق الفني وحده، فالصدق الفني - وحده، هو مبرط القوس في الفن، يعطيه صمقه الإنساني الخاص، وروحيته الكشفية البصرية الثاقبة، ويهب بمدعنه - كما يهب فنه - البقاء والاستمرار والخلود.

ولقد حير نجيب محفوظ فقاد (وإن كان القارئ «البريء» لأصابعه لم يمان نفس الحيرة المعجبة!)، وهكذا تطوح النقاد بأبده إلى اليمين، حتى أقصاه في الصوفية والتقديرية، وإلى اليسار، فأخذه بعض الشايخ والمتفهمين حتى سأحذت الكفر والضلالة والإضلال، حدث هذا بينما تراوح به بعض ثالث في حركة بدنيوية لا تتوقف عن التنازع في غياهب الطبقة الوسطى المحافظة، وشربيتها الدنيا، التي لا تستطيع التخلص من عجزها، ولا يخرجه إلا التدرى إلى قاع المجتمع حيث الفقر والحوار والمرض، ومن ثم لا تتمسك بمبادئ، وخلال ذلك التحصيل السدقي، الذي عمد إلى تقويل النصوص، أكثر مما عمد إلى تأويلها!، رسوماً عدة صور للرجل، وليس لأصمائه - وهو أمر غير مستحب نقدياً لكونه مثلاً، فوق كونه شديد الخطورة على الفنان، بل ويحمل بدور إغرائه في مجتمعاتنا التي شاب عنها كل ما أميل، فهديتها صوفية لا تستحب إيمان الرقبة والتفكير.

ما موجهة كل هذا، لا يكون من الغريب أن تبدأ مقالاً - نقدياً، عن قراءة جديدة لأعمال نجيب محفوظ العظيمة، وفنه العالي الجميل الخالد، بالتفرقة بين الفيلسوف، والمفكر، والثقاف وعالم النفس، وصاحب الرأي، والأديب لا حيلة لنا في الأمر، والكثيرون - في حياتنا الثقافية - يخلطون بين الأديب، المسنة، ويتعاملون معها، أو مع أغلبها، وكأنها شيء واحد، أو على أنها صفات يمكن أن يوصف بها أديب فنان! (يعني القارئ إن أرادوا مدح أديب وصفوه بواحدة أو أكثر من هذه التوصيفات «الأدبية»، أو بكلها مجتمعة! غير عارفين أنهم بها أو بإحداها ينفون عنه صفة الأديب الملاق، التي يريدون جادين أن يتوجهوا بها!).

والأديب (وبعض الأديب العظيم حين تتكلم عن الأديب) غير هؤلاء جميعاً، إنه شيء آخر غير الفيلسوف والمفكر والمتفهم وصاحب الرأي والعالم النفسي (حتى لو زعم بعض الفنانين وقالوا بغير هذا! أو أخبوا أن يزعموا بغير هذا!).

الأديب لا يبعد بنظرة كلية (كالفيلسوف)، إن ما يستغرقه هي التفاصيل الصغيرة في حياة إنسان بعينه (أو مجموعة من البشر بعينها) كما رسمها ووصفها هو، بينما ي - الأديب - سلمه الصاعد من منتهى الخصوصية إلى العام والمشارك الرحب، دون تعمد أو قصدية (فالقصيدة اصطلاحاً يشوه الفن، وهي ضلال، في الفن - أكثر من كونها وسيلة معرفة!).

والأديب هو يندع لا يكون صاحب معطيات يراها مؤكدة، إنه يبدأ من حدث غام (هو واقع فني، وليس واقعاً معيشاً، لأنه واقع معيش - كما تتقدم أبعاده كلها بعد لتصبح فني، إن لم يكن - في بعض الأحيان واقعاً يتم تخليفه في الخيال)، يشاغله، هذا الواقع الفني، ويخاطله، ولا يتحدد في صورة بديهية مفهومة أو متفهمة، (إلا أثناء الكتابة، وهو - الواقع المعيش - حين يتحدد بفرض نفسه (كما هو وليس كما يجب أن يراه الأديب) وفرض معطياته الخاصة (شديدة الخصوصية)، بل ويفرض تناميها على المبدع الخالق نفسه.

والأديب لا يكتب بثقافته (الثقافة هي الطريقة التي تعيش حياتك على نهجها، وتعايش بها مع الآخرين) لكنه يفوض ويتلصق - ويكسر - شخصيات عمله، ومن ثم يكتب على ضوء ثقافته تلك الشخصيات (ولا يكتب الثقافة المحصلة في مجتمعه، أو ما يسمى ثقافة المجتمع في فترة زمنية معينة وفي مكان معين).

والأديب يعرف أن التصرفات ولادة الشخصية المتفاعلة مع الواقع (الحدث) الذي ينسج من خيوط الواسع والحدت الأحداث (الحاكة) في عمله، وليست ولادة لتفاعلات الإنسان بشكل عام (كأي) مع عناصر الواقع الكلي في فترة زمنية، ومن هنا فإن فارقاً كبيراً بيننا في الأديب والعالم النفسي الذي يحاول أن يحصل في طريق البحث عن المشترك، إلى قوانين عامة تحكم أو تكشف التصرفات الإنسانية.

الأديب - واقعياً - صاحب حيرة، يبدأ من حيرة (حدث



سأنت مرة الأستاذ نجيب محفوظ، - في «ثرثرة على النيل»، توقفت حضركم النكسة

قبل أن تدهمنا بعام، كيف عرفت أن النكسة قادمة؟!؟

رد الأستاذ بصدق وتواضع معروفين عنه، - هل كان في مصر وقتها من يتوقع نكسة، حتى أعرف أنا أنها آتية؟!؟



غنم أو فكرة غائمة). وقد يصل منها إلى حيرة أشد، أو هو بالتأكيد يصل منها إلى حيرة أشد، وإلى رغبة في المعرفة لا تلتفت لها جنة، ولو كان الأمر هذا، لكتب غير كونه. الأمر: حيرة تجسد، لكتب الأدب عملاً واحداً واكتفى.

هذا المثير المسمى الأدب:

الأدب - واقعياً - يستهوي أمر، فيحاول أن يمسك بهذا الأمر أشياء الكتابة، متمنياً (لكن يحصل على اللذة بعد الألم) أن ينتهي من اجتلاء هذا الأمر.

والكتابة - لو أصفا في التجريد - محاولة للتخلص من الحيرة في مواجهة الوجود، وأحداث الحياة، وتصرفات الإنسان خلال ضغوطها، وفي مواجهة الضغوط، وأيضاً في وجه المثير الدنيوي واليتأثر في الغيب.

وقديماً قال إرسطو أن drama وسيلة للمعرفة، لأنه لم يقل وسيلة معرفة لن، فإذن أسمع نفسي بقناعة. إن القول أن الكتابة الدرامية كعمل (والفنون جميعاً) وسيلة للمعرفة يستهين بها (بما لحظته الخلق الفني يعرف: حين يستطيع الإنسان بما يخالته، وحين يتم هذا الخلق مستوعباً على ميثه، وأن إنتاج الكتابة (وأي كلمة ناتجة أفضل من كلمة منتج في هذا السياق، فكلمة منتج تقريباً من معنى القصيدة، التي لا أراها واقعية في الأدب العظيم إلا في اختيار الموضوع) وسيلة معرفة للمتلقي (والناقد يمثل درجة عليا سامية في التلقي).

نعم يكتب الأدب العظيم ليُعرف، لا ليُعرفه. يكتب ليُعلم لا ليُعلم أو يعلم، يكتب لتقول له الكلمة شيئا، لا ليقول له الكلمة شيئاً.

وحتى لو حاول الأدب أن يكتب ليُعرف ويعلم ويقول، فإن الكتابة الحقيقية (الصدق الفني) قادرة على تغيير المفاهيم التي بدا بها، وتغيير الأدب نفسه!! (لا يسخر الأدب من الكتابة الحقيقية كما دخل - أبداً - إنه يخرج أكثر معاً بالبحرية، وبالإنسان، يخرج متغيراً).

ثم إن الكتابة واحدة من تجريبتين، تجربة مستعملة (عاشها الأدب أو تمايش فيها مع آخرين عاشوها). وهذه التجربة لا تكتب كما تصور الأدب أنها حدثت في الواقع تماماً، لكن الأدب يجد فيها أيقونة جديدة قد انفتحت على ما لم يتصور أنه يعرفه، أو هي - الكتابة - تجربة متخيلة. تجيب عن سؤال يبدأ بـ «ماذا لو حدث كذا أو كيت لفلان أو علان..»

الدrama (هذا الفن الجدلي)، ابتعد المؤلف، واقتطف الفني الخلاق (الخرج.. مصمم الديكور، الموسيقي..)، والمؤدى، ابتعد كل واحد عن الآخر، واقتربوا من شخصيات العمل، التي لا تشبههم في الحياة، بل وأصبحنا نحكم على هويتهن وإدراجهن بمقدار ابتعادهم عن ذاتهم وأزلهن ولقتهن أيضاً، وعلى تلبسهم الشخصية الفنية.

إن تعدد الأصوات في العمل العنصر، يعني أن ليس صوت المؤلف موجوداً في العمل، وقد يعني - وهذا هو الاحتمال الفني الأصظم - أن العمل لا يتضمن صوتاً للمؤلف على الإطلاق، بل الصوت الكائن هو تلبس للشخصيات ورويته من خلالها.

إن المؤلف الدرامي الجيد، والعظيم، يتوب كلاماً عن شخصياته، ولا يستأجر أيهما الشخصيات لإبراز صوته (مثلما يعمل النصف اليوناني ومن هو دولهم، ويعدّ الذين يحبونه أن تلاحقهم الاتهامات، ومن ثم الشهرة، أكثر مما يحبون الفن الكشاف كوسيلة للمعرفة). ومرة أخرى نحن نشكك عن الفن الجيد والعظيم.

الفن الملتزم بالصدق المسمى هذه اللحظة الأثرية للحظة

الخلق الفني؛ بكل ما فات من المؤلف (لكل أشكال الدrama/ الأدب) لا يكون نفسه في لحظة الخلق، الملتزمة بالصدق الفني، والغبيا يكون المؤلف عناصر من مكوناته هي اشتباك مع الواقع المستعز والمستغفر للحيرة، وبهذا تكون العناصر المشاركة في لحظة الخلق الفني بعضها خارجي (الواقع بعناصر منه) وبعضها داخلي (عناصر التجربة الحياتية) العريضة للمؤلف، وهي مبعث نقاشه، منها ما هو موضوعي (ينتمي إلى نبذة الواقع) وبعضها ذاتي، وبعضها يمس بها المؤلف (عناصر ذهنية) وبعضها يكمن فيما دون وعيه (عناصر حسية).

هذه العناصر غير قابلة للحصر ولا للتوصيف الكامل حتى الآن. لهذا قلنا إن المؤلف الجيد والعظيم يكونان أول الملاحظين بالنتاج المكتوب (نتيجة حتمية للعناصر التي لا نستطيع توصيفها حتى الآن، ولا يعيها المؤلف نفسه، ويضع العناصر التي لم يكن المؤلف يتصور وجودها في وعيه أيضاً).

ولهذا نقول إن العمل الفني يكون أكبر مما كان عليه مؤلفه قبل لحظة الخلق الفني (التي يعرف فيها ما لم يكن يعرف، وتستخرج منه - أيضاً ما لم يكن يتصور أنه يعرفه - بل ويعدّها - كذلك - إذ يكتشف المؤلف أفعاله (ناقد/ قارئاً) ما لم يعلمه المؤلف في صله، ومنطقياً

ما يدعش - كاتبه (وكثيراً ما يتساءل الكاتب الكبير، حين يتوقف عن الكتابة، ولو إلى حين - ويهاين ما كتب، هل فالكاتب يرى في عمله، وهو براجم، أو وهو يعيد قراءته بعد تمامه (يفترة زمنياً طالت أو قصرت، ثم لم يلفته فيه أثناء الخلق الفني).

والdrama (والرواية نوع من أنواعها غير المكتلمة بنظام التجسيد، العمل، كما يحدث في المسرح، إذ يتدخل السرد فيها في قمع الصراع الجدلي ولو بنسبة ضئيلة، وهو أمر لا يستطاع في المسرح معها حاولنا)، الدrama في صراع بين مختلفين أو متعارضين، صراع تلاحقه فيه عقول ورغبات وإرادات وأفعال، الحقوق والقيود والإرادات والأفعال تصنع الحدث، مثلما يصنعها هو الحدث، ويحركها ويضع بها، الدrama فعل جدلي.



الدrama القطع في زمان متواصل وفي مكان. تظهر الحدث المشتعل في لحظات قد تمر كغيرها، دون إدراك عيقل كونها وتفاعلاتها، في حياة البشر، ولتأجلها أيضاً (من هنا جاءت المحاكاة، يتم في هذا القطع معانية الحدث (رمزياً ومكانياً) معانية تسمح بالتأمل، والتصادم الجدلي مع التلقي، الذي يعاين ويتمعن الأفكار والرغبات والإرادات، والمصائر، وقد سلط الضوء عليها جميعاً، ليس في الدrama رأى واحد (ولا رغبة واحدة ولا إرادة واحدة، ولا فعل واحد). لهذا - ومنذ اكتشفت الإنسانية

الغريب أن أغلب النقاد لا يصدقون

نجيب محفوظ (وهو صادق -

كامل المصدق - فيما

يقوله عن فنه، وفيما

لا يقوله أيضاً،

ويرون في كلماته

نوعاً من المكر

الجميل



هل كان في مصر وقتها من يتوقع
تسكة، حتى أعرف أنا أنها أديبة؟
(هكذا قال الأستاذ إن العمل الهكدي
الحيد يعرف، ويتأقن ويرى ما لم يكن
يعرفه الأديب العظيم قبل عملية الخلق
الفني، بل ولأنها، وبمدها بوقت أيضاً،
وإن التفكير الحديس أثناء عملية الخلق
يصل إلى نتائج محيرة حتى للأديب
نفسه، وأن النص يكون، في حالة الأدب
العظيم، أكبر من كاتبه، وأن التفكير
الحديس هو وسيلة الفن العظيم في
التشوف المستقبلي والنبوءة).
وفي كتاب جمال العيطاني نجيب
محفوظ يتذكر «أوقات ما ذهلتني، وقتها
فـ سأتت الأستاذ:
أتحسأ أردت أن تكتب بداية ونهاية
كوميديا؟
فـ فلأ، حدث، أردت أن أكتبها كوميدياً،
عن بطليها، المذنبين كان معنا في
الدرسة، وكانا يمارسان علينا كل حيل
النصب (القراري)، ليخرجنا من جيوينا
(بضمة لطافة) كل قرش فيها، ويأخذاه
منا، ولكنهما - الرواية - انقلبت في يدى
في هذا القدر الهائل، الذي استدعى
الناس - من الحزن على من أردت
الضحك منهما؟
(وهكذا قال الأستاذ إن العمل الفني
يفرض على مبدعه ما لم يكن يتصور أن
يفرضه عليه قبل أن يبدأ عملية الخلق،
وأن النص قد تعاطف - حين كشف
المفصّل في حياة أبطاله - مع الأبطال
عكس رغبة كاتبه وإرادته الأولية، أي عكس
الفكرة المبدئية لمخبراتها (الدراسي).
وذات مرة قال نجيب محفوظ
لجلسائه
«أنا كتبت «خان الخليلي، عي
شخصية حقيقية، كان صاحبها موظفاً
في إدارة الجامعة، وبقيت خايف موت
بقراها، ويعمل معاً جانيلاً، الغريب إنه
قرأها وما عرّض نفسه فيها!
(ثم نقل أن الشخصية الفنية ليست
مرة أسبعية لمصدرها الواقعي، إنها مرة
لما لا تعرفه الشخصية الواقعية عن
نفسها، وما يمكن أن تصدقه أيضاً عن
النفس، ومرة تكس ما لم يكن يتصور
الأديب أنه يعرفه عنها)
وفي إحدى الليالي، في منزل الأستاذ
الدكتور يحيى الخراوي (أستاذ الطب
النفس بكلية الطب، جامعة القاهرة)،
قلت للأستاذ نجيب محفوظ:
«أنت دائماً تقول إنك تحب وتقدر
الرئيس السادات، بينما لم يكن عملك في
السادات، وصبره مثلاً أذنته صممتا
«الشيطان يعظه، «الحب فوق هضبه
الهرم، بل إن رواية «دائلي ألف ليلة، قالت
إنه لا يد مقتولاً،
وتساءل الأستاذ مفكراً،

مثال أو قصير، إن المعنى الكلي محصلة
جدلية، متفاعلة، لأجزاء العمل، وليس
حاصل جمع جبري لكوناته، وما ينتمى
للشخصيات ينتمى لها، داخل الحدث
الحي، ينتمى لأربابها، لتفاهتها، لرغباتها.
وإرادتها.
الأديب يسأل عن أمر وحيد، هل
تحرى الصدق الفني، أو اهتم، ولوى عق
شخصيات عمله لتقول ما لا يمكن أن
تقوله، بعد أن رسمها - هو - لنا، وحده
حاصلاتها التفاعلية، الأديب يحاسب -
فقط، على الصدق الفني
أما التلقّي فهو المسلول عن تأويل
العمل.
والبعض يسأل عن تقويده.



ولكن لماذا تمضي بعيداً هكذا؟
اعترف الآن بأن القارئ يكاد - أو أنه -
بالفعل يعتقد أننا فتحنا موضوعاً عن
نجيب محفوظ، ثم أخذنا علم الجمال
(وأصول أخرى) بعيداً، لكنني كتبت
استمحت القارئ عندي في البداية،
وطلبت منه أن يتحملنا قليلاً (وإن كان)
معتزلاً، أخذنا فرصة، وأفلحت عليه، بما
رأيت ضروري في جرأة جديدة لأعمال
الكاتب الكبير).
الآن لن نذهب بعيداً،
سألت مرة الأستاذ نجيب محفوظ:
«في «درشرة على النيل، تoulعت
حضرتي النكسة قبل أن تمهنا بها،
كيف عرفت أن النكسة قائمة؟
رد الأستاذ بصدق وتواضع معروفين
عنه:

إن نجيب محفوظ الذي كتب
«أولاد حارثتنا»، ليس هو
نجيب محفوظ الذي
كتب - بنفس حيرته،
ولكن بعد أن تنامت
بشكل مذهل
لنا ومؤرق له -
«الحرافيش»



والشعب والنفس، وإن كان الموضوع هو
«المدخلات، التي يدخلها المؤلف إلى
الحصل الفني مختاراً، أو مضطراً
للاختيار، فإنه يصح أن نقول إن الموضوع
ينتمي إلى المؤلف (وإن كان محتواه
يتعرض للتعبير أثناء عملية الخلق
الفني، لهذا نقول الموضوع المبدئي/
الأولي)، لكن المضمون، وهو «مخرجات»،
العمل الفني في لحظات الخلق (التي
لا يكون فيها المؤلف نفسه كما يتصورها
ويعيها، شيء ينتمي إلى العمل الفني،
وليس للمؤلف، من هنا لا يستطيع
المؤلف أن يحدد مضمون عمله تحديداً
كاملاً ونهائياً، ويبقى التحديد النهائي
عملاً من إعادة الخلق تتم عبر قراءات
عديدة (تضمن اختلافات) للعمل يقوم
بها المثقّي (لقاداً وقراء)، في زمن المؤلف
وبعد، فالتلقّي درجات، وله صيغور عبر
الزمن (هل تلتقى اشتراحيديات
اليونانية الآن، وتستمتع بها بنفس
الكيفية التي تلقاها بها أهل الليتا، لا
يمكن ذلك، لقد تلقاها أهل أيتنا كجزء
من نظرتهم المايافيزيقية للكون نشأة
وسريورة ومضيرة، بينما خلق فيها نحن
معارف، ممتعة، أخرى مختلفة.
بعضاً سبق لا يحق لأحد أن يقول
أن أديباً يقصد إلى ذلك في عمله، أو أن
أديباً قال في عمله، الصحيح الوحيد أن
نقول إن العمل الفني قال (من خلال
قرائنا نحن له)، لا يصح أن نتصور أن
العمل الفني هو رأي الأديب، هذا ينطبق
على المعنى الكلي للعمل الفني، لهما بال
الفارئ، بجملة حوارية، تنتظمها شخصية
في العمل (ليست هي المؤلف بالثأكية)،
أو جملة سردية في خضم العمل، التي
يظهرها العمل الفني، أو جزء من العمل

بالجمع بين كلا الحالتين (قبل الخلق
الفني وبعد)، يكون العمل الفني، حقيقة
أكبر من كاتبه (يعرف أكثر من كاتبه،
وإن رفض الكاتبون الاعتراف بتلك،
الحقيقة).

بقي أن نتكلم في ثلاثة أمور.
أولها: إن لحظة الخلق الفني (بكل ما
حاولنا شرحه) لا تجعل من العمل الفني
شيئاً يصلح أن نسميه رأي المؤلف في
موضوع ما، العمل الفني ليس شيئاً غير
العمل الفني، وهو بعد الولادة الفنية
يقطع حبله السرى عن المؤلف (كأي وليد)،
فلا يبقى للوليد من أبيه (المؤلف) إلا أن
يحمل بعضاً من ملامحه (ويخاصة
الأسلوب في السرد، وليس في الحوار).

الأمر الثاني هو العلاقة بين
الأديولوجية والكتابة، ولنتلّ أن
الأديولوجية قد تتدخل في اختيار
الموضوع، لكن تكون الإنسان هو مادة
الأديب، فإن لحظات الخلق الفني، للتمتزة
بالصدق الفني وحده، لها شأن آخر، فهي
لا تستطيع الالتزام بفكر الصدق الفني،
وبغير إنسان (واحد أو أكثر) له مواصفات
خاصة، في حدث يستمتع هو الآخر
بالخصوصية، وإن كان جزءاً قابلاً
ومتفاعلاً، جدلياً، في بنية الواقع المادى
كله، هذا الالتزام الفني (الصدق الفني)
يجعل (الفن كاشفاً لتناقض
الأديولوجيا السائدة، ويجعله فوق
الأديولوجيا، ولأن الأديولوجيات
بعضها متحركة في مواجهة واقع لا
يعرف الثبات، ذلك لأن جمودها -
الأديولوجيات - يجعلها عاجزة عن
الإجابة عن أسئلة في مواجهة الواقع
يطرحها، فهي في حاجة إلى الفن
الكشاف عن وضعية الإنسان في ظل
تطبيقاتها، في حاجة إلى حرية الفن،
في ألا يكون بوقاً لا هو متبذل، بل لا هو
أماول، فلا يمكن محاسبة الفن
بالأديولوجيا، إن الأديولوجيات
تجسّد بالفن الملتزم بأمرين - وهي -
الأديولوجيا، مثل الفن في خدمتها،
أو أن التصور والغائي إنما في خدمتها،
الصدق والإنسان.

الفن يحاسب الأديولوجيا.
الفن الأديولوجيا لا تحاسب الفن.
الأديولوجيا تنتقص من القدرة
الكامنة في الفن.
الفن يساعد في تعميق الأديولوجيا
التي تستهدف صالح الإنسان.
والأمر الثالث أن فارقاً كبيراً يكمن
بين الموضوع والمضمون، الموضوع
(المبدئي/ الأولي) يكون من اختيار
المؤلف، وإن كان في أغلب الأحيان
يفرض نفسه فرضاً على المؤلف، فلا
يستطيع التهرب من الكتابة، وألا طارده
العمل الفني، وطرده من واحد الراحة



وهو الذي يعرف ان العمل الفتي أكثر من قراءة.

١٩٠
 . حقيقى الكلام ده
 (هذا يعنى ان العمل المبنى يقول
 بالحدس ما لا يتصور العناد انه مفتتح
 بها، وليسيمته القارى الى اننى قلت ان
 "فالى ألف ليلة، قالت، ولم اقل ان
 الأستاذ نجيب محفوظ فالى فيها،
 هاتواق الى العمل الفنى هو الذى يقول
 ما يعرفه المؤلف، وما لم يكن يتصور انه
 يعرفه، حتى عرفه من العمل، او تعرف
 عليه فبناج الكتابة، فاعمل الفنى، كما
 احسنا اننا اننا كاتبه)

وفي الخطابات المتبادلة بين الأستاذ الدكتور ادهم جبب (رئيس قسم العقليات) - السابق - في كلية الطب جامعة القاهرة) وصديق خبيب محفوظ¹¹، عالت الدكتور ادهم (وكان في لندن وقتها) خبيب محمداً، لأنه لم يعط الفرصة نفسها في روايته الجديدة (في حينها) «رأواويس»، فردة الأستاذ عليه في خطابات، بأن رواويس التي جاءت في نهاية العمل لم تكن هي ما يهيمه، وإن ما كان يهيمه هو هذه العلاقة بينه الملك والعمرو والغائب «رأواويس».

(هكذا قال الأستاذ إن ما كان يهيمه هو الالتزام بالشمعية والحدث والصدق الفني، ما لم يصعب، وهذه وجهة نظري ولم يقل بها الأستاذ - فقد قال رواية إن ضرورة التوبة على نفي الفرض، وإن ما يشغل الكتاب نفسه غير الصنوع الفني، أو دون أن ينشغل بالأيديولوجيا)،

والب مرة (إن لم يكن أكثر) قال الأستاذ:

لا يعطيني شيء بقدر ما يفيظني
سؤال يحصر عليه التفحص «ماذا أردت
أن تقول في العمل الفلاني أو الفلاني؟»
وفي كل تلك المرات كان يتهدد الأستاذ
ويقول:
«لو كنت اعرف ما الذي أريد قوله،
كان إيه لزوم التقيص، كنت قلته في مقال
والنصبي الأمر... ما أريد قوله، أو ما كنت
أريد قوله هو كل ما كنت عليه في العمل،
وكل ما يمكن أن يفهمه القراء منه.
وفي كل مرة كان الأستاذ يسأل
تستفسره:

ما الذى فهمته أنت من العمل؟
ولم يحدث مرة أن اعترض الأستاذ
على أى فهم يبيده أمامه مستفسراً، فهو
يعرف أن قراءات العمل الفنى تتبع
تختلف عند التلقى بعددًا واختلافًا
ليس بالقليل، وأن فيها لدى المتلقى ما
هو ذاتي وموضوعي، وقد كانت ولا زالت
حاجبة الأستاذ الخالدة على من يناقشونه
أعماله

• یجوز.. ممکن برضہ.

(هكذا قال الأستاذ إن المعنى

المصموم، للعمل الفني يخص النص
ناتج الكتابة، ولا يتعلق بقصد الكاتب).



والآن... من يصدق نجيب محفوظ؟؟؟
الغريب أن أغلب النقاد لا يصدقون
نجيب محفوظ (وهو صادق - كامل
الصدق - فيما يقوله عن نفسه، وفيما لا
يقوله أيضاً)، ويرون في كلماته نوعاً من
المر الجميل، بل والدفاع عن نفسه بعدم
التصريح بما يريد أن يقوله في العمل.

الأغرب أن بين النقاد الذين لا يصدقون
مبدعين من المعترض أنهم تعاشوا
في لحظات الخلق الفني. مع ما يصرح
به نجيب محفوظ!!

هؤلاء النقاد لا يصدقون أن نجيب محفوظ، كأي أديب عظيم، صاحب حيرة عظيمة.

لا يصدقون أنه - حين اخذ الأدب -
 يظرف حمرانه من البجمة العليا. بعد
 أن درس الفلسفة في كلية الأدب، جامعة
 القاهرة (الأول)، يتوقف في دراستها،
 ثم بعد إلا مستفيداً من الفلسفة، ربما
 اختيار موضوعاته، لكنه في لحظة
 الخلق الفني (الكتابية) لا يلتزم بغير
 الصديق الفني من الحدث المكتوب،
 المحاكاة الفنية للواقع (التي لا تجعله
 يستبعد الصدفة في أعماله، أو التقدير -
 كما يسميها البعض - لأنها جزء من
 انشغاله الجوهري، لذلك، كما تقي

والمسرحية)، التي يصنعها الحدث مثلما

المضمون الكلي لأي عمل من أعماله
لفلسفة فنيها، ولا يشكل مجموع
مضامينه فلسفة خاصة بل يشكل حجرة
في الأعمق (هذا إذا اقتضينا أن
ملتزمون بالمعنى الكلي للأعمال كما هو،
وأنا لا نلوي عنق النصوص، ونجرها وراء
قناع مفسبة، بل نجعل مصنوعة من جملة
نقطتها في السرد من هنا أو هناك، أو
نعم معنى جملة في الحوار منتزعة من
السياق، ومن المزاج التكويني لقائلها، في
النص، على النقيض كله).

ثم من قال إن كل دارس للفلسفة
فيلسوف 119

لقد بدأ نجيب محفوظ مقالاته، في الثلاثينيات من القرن الفائت، وهو صاحب حيرة عظيمة^(٢)، وأصبح في أصداء سيرته الذاتية، بعدما يقرب من ستين عاماً، متروعة بالإنتاج الفني الشديد التميز. الأستاذ الشيخ: عبد الله التائه.

هكذا الأديب العظيم بينما حاضراً،
ويقرب من النهاية . أطل الله عمره .
عبد الله التائه .
في واحدة من «أصداء السيرة
الذاتية»⁽¹⁾ ، كتب نجيب محفوظ:
« كان أول ظهور الشيخ عبد ربه في

حينما حين سمع ينادي:
«عيل تائه يا أولاد الحلال»...
- ولما سئل عن أوصاف الولد المقصود

بشقتہ منذ اکثر من سبعین عاماً
نفايت عن جميع اوصافه.

من يصدق نجيب محفوظ؟
أنا أصدقه، ولولا هذا لما كتبت هذه
المقالة على هذا النحو.

أنا أصدق أنه، منذ بدأ الكتابة، وهو

في أعمال نجيب محفوظ هناك

«غائب، دانه‌ها»

وفي أعماله، متروك،

دائماً.

وفي أعماله يرتحل

المُتْرُوك (كَادِحًا كَدْحًا)

ففي اتجاه

الفائز



صاحب حيرة عظيمة، وأنه حتى الآن عبد الله التائه.

سلسلة مفاتيح لقراءة

أعمال نجيب محفوظ،

أول المفاتيح هو القراءة البريئة، أو التلقائية البريئة. الحقيقة أن قد تولدت لدينا. نتيجة تأويلات تصفية لبعض النصوص، وتؤيلات مختلفة لبعض آخر. صورة ذهنية عن نجيب محفوظ تصاحب أعيننا ونحن نقرأ، وتصل مع ما نقرأ عبر الشبكات العصبية إلى العقل، وتشغل وجداننا. ومن ثم تحرم قراءتنا من البراءة الضرورية للاستمتاع - المشبع - بالعمل الفني، ومن استخلاص قراءتنا الخاصة، الوافية للمفردة. لهذا العمل، والعصاة الخاصة التي نكتسبها بها.

أدبى هي صورة مضللة، ومضللة، وبالصورة، لذلك أنى أدب عظيم يكون هو حراك مستمر، لا يوجد أدب عظيم لا تغيير، اتصال، مشغلا فبشرنا هو ببعاله، الأعمال التى تجعلنا أكثر فهما، لنسج، تجعل كاهنا. فجلا. أكثر فهما، وتغير، والخليفة أن الفن الذى يرسم صورة للأدب فى فترة من فترات حياته، فلها كان إسنادا آخر، ويدها بى لتأكيد هو إنسان ثالث، لكن الأدب لا يتحكم فى صورة عمله الأداعى.

إن تجيب محفوظ الذي كتب «أولاد حارتنا»، ليس هو نجيب محفوظ الذي كتب «بنفس حيرته». ولكن بعد أن تنامت بشكل منهل لنا ومزرق له.. «الحرايش»، ليس هو في الشكل الفني، أو في المضمون

والله اعلم بالصواب، والحمد لله رب العالمين.

بعبارة هذا نحن نعلم الأدب العظيم
الأديب العظيم.

المفتاح الثاني هو قناعتنا بأننا نقرا
للاديب نجيب محفوظ، الذي استغرقه
لصدق الفن، والتزم به وحده، ليس
لفيلسوف، أو الفكر، أو المثقف، أو العالم
لنفسه، أو صاحب الرأي الأيديولوجي
نجيب محفوظ، أي بقناعتنا بأن نقرا

العدد الثاني والسبعون - يناير ٢٠٠٥ م



هو طرد من واحة الامى الذى يحققه وجوده فى جماعة ما، ثم انه يحصل على حبراه من تلك الجماعة، وهى خبرات قد جرت، ولها وإن لها مصداقية كبيرة ومريحة وقتياً لديهم (وإن كانت اصطلاحية رافعة على حقيقتها)، ومن ثم تصبح لها نفس المصداقية لديه (ينص) الكبرية، وصولاً إلى الانتماءات الكبرى ثلاث براءة الإنسان، ولا تقصى عليها قضاء ميرماً، لهذا لا يترشح الإنسان أبداً، فبراهته، التى لوئت، تعديه، وعجزه عن استعادة نقائها هو العذاب الأكبر، ورضائه عن اضطرابه من رابع المستحيلات والإنسان عند نجيب محفوظ متروك لا اضطراب، لا هناك غلابة، والغالب عند نجيب محفوظ يتخذ صوراً لتكامل لا تعاد.

الغالب قد يكون الله، وقد يكون العدل الاجتماعى، وفى كل الاحيان هو امان النفس. والله غالباً لا تعنى عند شخصيات نجيب محفوظاً إلا غير موجود (ولا يمكن، كما أسلفنا - أن نرى رأى نجيب محفوظ فى آراء شخصيات الفنية)، انه ولكن تعنى، عند الشخصيات - انه محسوب، والحقيقة أن الله غيب، والغيب فى اللغة غيب، والغيب يعنى الضلم معاً، (الم يقل إبراهيم لربه إنه يريد قلبه ١١٩).

الشك لا ينشئ الوجود، ولا ينشئ الإيمان بالغالب الموجود، (الله غيب لأنه محسوب عن حواسنا، ولسان العرب يقول: إن الغيب هو كل ما غاب عن العيون سواء كان محصلاً فى القلوب أو غير محصلاً). والغيب أو الحبيب، له جانبته الملازم لا فناء، والجانب الملازم هو أن الإنسان - بالضرورة - محسوب عن الله (هل نفعن قليلاً فى اسم محسوب عبد الدائم، فى القاهرة الجديدة، لنجيب محفوظ؟). ولأن أسماء الشخصيات فى فعل واو من الكاتب، ولأن بعض الأسماء لها دلالات فى بعض أعمال نجيب محفوظ، فإننا نجزم بأن محسوب عبد الدائم، مثل شخصيات محفوظية كثيرة، عند نجيب محفوظ - مفتع عن الغيب، محسوب عنه (وهذا بما شرحناه عن الغياب والغيب يجعل ما ارتكبه الذين لم يقرعوا حرقاً من كتابات نجيب محفوظ - باعتراهم - عملاً أخرق أحقق فى حق الكتائب العظيم، والإنسانية معاً، ومؤشراً، وإن ارتضاء بعض من يقصرون اسم رجال الدين عن التمسك).

ولعل من يرون أن أولاد حارتنا

استعاد الحماية، ومن ثم الامان، ويحمل فى طياته فرض الاضطراب عليه حين يريد الاختيار، والإنسان يورقه الحطاً وتورقه الحقيقة، متلماً يورقه اعتقاد الحماية، ويورقه الاضطراب. (الإنسان يستطيع الاختيار، لكنه - فعلى، يرسف فى عبود الأضرار. ولا تكمن مأساة الإنسان فى اضطرابه وحده، ولكن تكمن أيضاً فى قدرته على الاختيار. الإنسان يورقه اضطرابه.. ويورقه أيضاً أنه مع اضطرابه قادر على الاختيار.



عند نجيب محفوظ، حيرة بين الاختيار والاضطراب، ها الإنسان عنده يحاول الاختيار فى نفس الآن الذى يقع فيه فريسة لأغياب الاضطراب شديدة القراسة، الهواء، التى لا ترحم، ومن هنا كان التنبؤ - الذى لا يمكن اتقاؤه - للتراجيديا الإنسانية، فى نظره، ومن هنا يكون مفتاح كبير للقراءة الجديدة لأعمال كتابنا العظيم، الحاصل، بجدارته، على جائزة نوبل فى الأدب. وأعمال نجيب محفوظ تدرى أن الإنسان عاجز عن أن يقدم الاختيار على الاضطراب، لأسباب كثيرة، منها أن الاضطراب لا يرحمه، ومنها أن تاريخ النوع البشرى يثبت أن فى الإنسان سجراً يقعده عن أن لم ينصره - من الاختيار، إنه، فى لحظات حاسمة، يفضل أن يكون كالمحيطين به، إذ هو أضعف من أن يشد عنهم، ومن أن يتحمل نتائج شؤده، لو

بأعمال نجيب محفوظ، عن طريق البحث عن رمز يشير للواقع الآتى (وقت إنتاجها) ويعضه، فى أحسن الأحوال - قدم واحدة من قراءات عديدة للعمل العظيم، والإسقاط السياسى، الذى دأبوا عليه، لم يعد ضرورياً لفهم الأعمال، إن شئنا أكبر ما عاينه هؤلاء، يكمن فى قراءة الأعمال، وقد انخفضت ظروف إنتاجها، هو الذى يقفز إلى السطح فى القراءات الحالية، وهذا شأن العمل الأدبى العظيم، وهو ما يجعله عملاً خالداً، وينشئ عنه وقتيته، وهذا أيضاً العارق بين نجيب محفوظ، والعض من لموا فى بعض الأوقات المترنمة مع أعماله، ثم خيا تورهم الزفاف. الفضاخ الخامس، وهو مفتاح دو خصوصية بأعمال نجيب محفوظ، وليس مفتاحاً عاماً للقراءات المشبعة وهو الأهم فى نظري، هو الحيرة العظيمة للأدب العظيم، حيرته بين الغالب والمتروك. فى أعمال نجيب محفوظ هناك «غالب دائماً» وفى أعماله «متروك دائماً»، وفى أعماله يترشح المتروك (كإدخا كدخا) فى اتجاه الغالب. وفى أعماله يسقط المتروك قبل أن يصل إلى الغالب. فى أعمال نجيب محفوظ حيرته العظمى بين الغالب والمتروك. والمتروك فى أعمال نجيب محفوظ، هو الإنسان بالعلمى الكلى، وهو الشخصية الرئيسية التى تنشئ الترك وتعانيه فى العمل الفنى. المتروك عند نجيب محفوظ هو الإنسان فى كل زمان ومكان، والترك يعنى

صملاً أدبياً، مادته وغلغايته الإنسان (بصفات وملاح خاصة) كما هو كان فى لحظة معينة، وفى حدث له خصوصية، يحاول فيه الإنسان فهم ما هو كلى وعام بالاستعراق فيما هو جزئى وخاص، يحاول بالكتابة فى غير المفهوم أن يفهم، ونحن فى التلقى نحاول معه، أو نحاول بما كتبه أن نؤداه هماً. المفتاح الثالث هو تقاطعنا بأننا نتطلع أدبا إنسانياً، صالماً لكل زمان ومكان، أدباً إنسانياً لأنه مرتبط بإنسان (أو مجموعة من البشر فى أزمة، نحى دخلها معه أو معهم، أو تدخل شبيبتها عند التلاوة أو التلقى أو على الأقل تتمثلها، وهذا أضعف الفهم)، وإن تفتتح بأن ليس للعمل الفنى العظيم مرجعية خارجة عن التلقى، (وإن كنت أوافق جولدمان) بالتأويليين فى المرجعية التاريخية - الواقعى المادى - إذا انحصرت كلامهم على لحظات الخلق الفنى فى كل مرحلة، وتضمنن مواقيت كون الأدب غير واو - بوضوح كبرى متكاملة بهذه المرحلة، وأن عمله العلمى هو الذى يتكشف، إذ تكمن عناصر كثيرة منها فيما دون وعى الأدب، يستخرجها له تفكيره الحدسى، وهو تفكير أعمق من التفكير العلمى، فالحالات، والكتايب أب للتلقى سيورق مع الزمن وسيورق أيضاً، ولأن هناك للتلقى سيورة وصيرورة، فإن المرجعية الخارجية، فى لحظة الخلق - تفتقد نفس قدرتها على التناثر فى المتلقى، التى فارقتها بسنوات بعيدة أو شديدة البعد، ولا يبقى منها إلا الإنسان داخل العمل الفنى - فى أزمة (أيضاً داخله)، تتشظى وتعانيها، وحقيقة أن الأزمة تتضمن مرجعيات التاريخية، لكن وعى المتلقى - من غير الناقدين المتخصصين - لا يستطيع أن يراها وحدها، أو يفصلها عن ثنائيا العمل الأخرى، لا يستطيع أن يرى غير ما جرتها الطافي وحده، فالعمل الأدبى يتضمن التاريخ فى عناصره، لكن العمل الأدبى (العظيم) مهما حاول لا يستطيع أن يكون تاريخياً بمعنى التاريخ، وهكذا فإن ما يصلح لتفسير لحظة الخلق الفنى، لا يحكم التلقى بالضرورة، ولا يعنى كلامى هذا - على الإطلاق - أن أعمال الفنية العلمية، فى وقت تفتقد قيمتها. أو بعضها، ما مرور الزمن، إن كلامى يعنى العكس تماماً، ألم نقل - للتلقى سيورة وصيرورة؟، وهاتان - السيورة والصيرورة - قادرتان على إثراء العمل الفنى بأكثر مما تنصرون، فيما لو تحلى زمان كتابته).

والحقيقة أننى أركز على هذه النقطة تركيزاً كبيراً، فقد دأب بعض النقاد على أن يصلوا إلى ما يتصورونه الكلى



المتروك عند نجيب محفوظ
هو الإنسان
فى كل
زمان ومكان،
والترك يعنى
افتقاد الجمالية.
ومن ثم
الأمان



[١]

الأسطورة الشخصية

■ ■ ■ عندما نقرب من شخصية عادية لتعرف عليها، من الضروري أن نهين أنفسنا لهذا الاقتراب بتجميع قدر كاف من المعلومات التي تجعل من هذا الاقتراب أمراً مفيداً ومفيداً. لكن عندما نقرب (العادي) إنسان يفارق المألوف ويخرج على (العادي) فإن التهيئة لا تكفي يمثل هذه المعلومات السريعة العجلة، وإنما تحتاج إلى نوع من الإعداد العقلي والنفسى على صعيد واحد، فإذا انتقلنا بالاقتراب إلى منطقة الأسطورة، فإن التهيئة يجب أن تصعد إلى آفاق التخيل بكل طاقته في إدراك ما وراء الواقع، أو ما فوق الواقع.

كان هذا كله في الوعي ونحن بصدد مقاربة (نجيب محفوظ) أسطورة مصر القرون العشرين. وهو أسطورة مدت أبعادها وتأثيراتها إلى العالم العربي والعالم الإنساني.

لقد تحققت أسطورة محفوظ من عصره الإبداعي الذي كاد يستغرق عصره الزمني، ذلك أن الأساطير لا تقاس بمساحتها الزمنية، وإنما تقاس بمساحتها التأثيرية، ويشعر الساع هذه المساحة تزداد قاطعتها شموخاً يوراني شموخ الأثر الخالدة.

ومن طبيعة الأسطورة أن تبدأ تجلياتها في إدارة زمنية بعيداً، لكنها تنفتح على الزمن الحسود، لتفرض وجودها في الزمن الحقيق، وخلال هذا التحول تكتسب إضافات وبركاز في الأسس واللواحق الإضافية إلى أن تأتي لحظة التوقف المؤقتة للحظة الكمال، حيث تستحيل إلى كائن يعيش في الذاكرة الإنسانية ويخالجها في كل مراحلها الحضارية.

لكن على مستوى (الأسطورة الشخصية) يكون الزمن طوع هذه الشخصية، فيقدم لها عناصر الحيوية، ويضع أبعادها نوافذ المصير والخبرة، ويوسع لها بالاستمرار في مرحلة شبابها ما تقادها إلا لتعود إليها. أو لتقبل: إن الزمن يتوقف بها في مرحلة النضج، ويميل على تمحيصها زاسياً، وتوسيع مداها أفقياً، ومن ثم تصير إلى حالة داملة من التحنن للالتحاق والمغامرة الحسوية التي لا تعرف النكوص أو النقص، وإنما تعتمد التنامي المساعد مع الحفاظ على البكارة والنقاء.

وهكذا نجيب محفوظ يعيش زمن الشباب المتحمم الذي يلتمح بحاضره دون أن يحول نظره بعيداً عن آفاق الآتي بكل احتمالاته المغممة أو غير المتوقعة، ويرغم استمرار محفوظ، بعمره الإبداعي، في زمن الشباب فإنه - في عصره الفعلي قد بلغ مراحل الكهولة والشيخوخة والكبر والهرم - بل إن يلق هذه المراحل المتتالية كذا فاعلاً بالغ التأثير في تشكيل (البصمة)

محمد عبد المطلب

ولكن الهجمات الشرسة لن لا يستوعبوا الكثير من علم الجمال، وضرورة وأهمية الفن، اضطررتي. كأمثال نجيب محفوظ - لا تستمتعاً به، فليس من وظيفة النقد البحث في الثبات والحكم عليها. ولقد قلنا أن الغالب في روايات نجيب محفوظ هو العدل الاجتماعي أيضاً، وهو الأمن النفسي للإنسان في كل الأحوال، وأن الغالب يتكامل في أعماله ولا يتضاد، وقصة ارتحال الإنسان المتروك إلى الغالب بالمفهومين الآخرين، أو بالمعاني الثلاثة المتكاملة، نستطيع أن نراها بوضوح في قلب الليل، وفي اللص - والكلاب، وفي الحرافيش، وليالي ألف ليلة وليلة، وفي ليلة قتل الحريم، بل في كل أعمال نجيب محفوظ دون استثناء، بشكل ظاهر أو خفي، وإنما يمكن أن نرى لها تخلصاً مدهلاً. وإن كان لا يمكن الاستعاضة به - في روايته والشاهد، بحيث نستطيع أن نقول باطمئنان إن من المقاييس الكبرى في قامة أعمال نجيب محفوظ، حيرته بين الغالب والمتروك، حيرته في ارتحال المتروك إلى الغالب، والسقوط التراجيدي للمتروك قبل الوصول (حتى لو لم يستطع) حياة أخرى غير حياته، يحاول أن يصلح فيها ما أبسده في حياته الأولى، وهو رأى في، واضح في، ديالي ألف ليلة).

البيت حيرة نجيب محفوظ، عظيمة مثله، ومثل حيرتنا ١١٩ ■

هوامش:

- ١- راجع مقال الدكتور جابر مصغور، نقاد نجيب محفوظ، في كتاب: نجيب محفوظ، إبداع نصف قرن، إعداد وتقديم: الدكتور غالي شكرى، دار الشروق القاهرة ١٩٨١.
- ٢- نشره ضياء الدين بيهري في ملحق خاص في مجلة أكتوبر، بعد حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل.
- ٣- راجع القصة القصيرة في مسرح القرن العشرين، هشام السامح، المجلس الأعلى للفنون والآداب، القاهرة ٢٠٠٤.
- ٤- أسماء السيرة الذاتية... نجيب محفوظ، مطبوعات مكتبة مصر، القاهرة ١٩٩٥، ١٠١ صفحة.
- ٥- نظريات معاصرة، جابر مصغور، الأعمال العسكرية، مكتبة الأسرة، القاهرة ١٩٨٨، جودمان ورثة العالم، ١٠٧ صفحة وما بعدها.
- ٦- لسان العرب، دار المائدة، القاهرة، مادة نجيب.
- ٧- المراسل على الله عليه وسلم يقول فيه لحاروبه ما معناه: لا كنتم، وجندكم الشك فقد استتب، أو كما قال.
- ٨- لسان العرب، مرجع سابق، صفحة ٣٣٢٢.
- ٩- نجيب محفوظ، صفحات من متكرراته وأوضاع جديدة على أديمه، مركز الأهرام لترجمة والنشر مؤسسة الأهرام، القاهرة ١٩٨٩، صفحة ٢٦٤.

رواية دون مستوى روايات الكاتب العظيم، وأن ضعفها جاء نتيجة كونها تحتاج إلى مرجعية من خارجها (هي نتيجة موازنة للتاريخ بدنيته ملحوظة، تحتاج لكي نفعها أن نرددها للتاريخ بتفصيلاته أكثر من نفعها في تفصيلاتها)، ولأن نجيب محفوظ قريب - وحدها - حاول التخلص من حيرته العظيمة بقصد، لا يبرره التصاعد الروائي الحبسي على الحيرة، لذا جاءت النهاية فيها مفتعلة. وذهنية، لم يفرضا الصدق الفني، في رأيي، ولقد عاد نجيب محفوظ لنفس موضوعه الأخير عنده، والمخير له ولنا - في الطريق، ولكن بغيتنا عظيمة، وبحيرة لا نلتقي بصورة قصدية مفتعلة. ولعل هذا الأمر كان شافله - أيضاً - في «حشرة المحترم»، وفي «الحرافيش»، وفي «رحلة ابن فطومة»، وفي ديالي ألف ليلة، وفي قصص قصيرة كثيرة، وروايات قصيرة عديدة كذلك، وهذا دليل على أن الكتابة، وهي تزيد كتابها وعياً بالحياة وهما للإنسان. لا تخلص الكاتب من حيرته، بل من الممكن أن تزيد الحيرة، وقد أزداد هماً، بدليل عودة الكاتب إلى نفس الموضوع، منتجاً عملاً جديداً - أو أعملاً - ومضموماً جديداً، أو مضامين. هل يصح أن نحيل القارئ إلى ما تضمنته كتاب رجاء النقاش «نجيب محفوظ، صفحات من متكرراته، وأوضاع على أديمه وحياته»، من اعترافات كان منها قوله: إن في أعمال قلبي وروحي إيماناً بالله لم تستزعه منى دراستي للفلسفة، ولا تفكيرى المتصل في مشاكل الإنسان والجموع والكون (٩)، هل يصح ذلك وقد أجهت القارئ معنى في تبيان ضرورة الفصل بين رأى نجيب محفوظ وأراء شخصياته في أعماله؟، لا أظن أنه يصح.



(القصة) حيث كانت بدايتها سنة ١٩٣٢. ثم تداخلت المرحلتان من زمن (الرواية) التي كانت بؤكيرا سنة ١٩٣٩.

[٣]

ومن سمات الأسطورة الإبداعية أن تتوازي مسيرتها الحياتية ومسيرتها الثقافية، فمنذ الصغر فقد والد محفوظ بابنه إلى رحاب المعرفة الأولية في (الكتاب) لتكون متابعه الأولى في (القرآن) وكانت قراءة القرآن ومعه من مهيئته لاستقبال الثقافة العربية من متابعها المركزية التي كان يزده إقبالها عليها في شهر رمضان، فقرأ كتب السيرة والتراجم، وقرأ الشعر الجاهلي، ثم أقبل على أبي نواس ويشار بن برد والبيهقي والمتنبي وأبي العلاء، ثم أقبل على التصوف وقرأ ابن عربي والصهروري والنصري، ومن طبيعة التقاضي أن يقوده التصوف إلى الفلسفة التي أصبحت ركيزة معرفية حرة، ومعرفته أكاديمية منهجية بعد التحاقه بقسم الفلسفة.

لقد كانت قراءة الفلسفة ودراساتها نوعاً من الإضاءة المبكرة، وأكسبته طبيعة منهجية في مسلكه الخاص والعام، وكان هذا كله أثر بالغ في مسيرته الإبداعية، لأن المبدع الحق في حاجة أساسية للثقافة الشاملة، ومن أهمها الثقافة الفلسفية، لأنها تؤسس المنهج من ناحية، وتنظم الفكر من ناحية ثانية، وتوسع دائرة الرؤية من ناحية ثالثة.

واعتقد اعتقاداً يقينياً أن الوعي الفلسفي كان الركيزة لشروع نجيب محفوظ الروائي من حيث النسق المعرفي، والتنظيم المنهجي، والحرص على القيم والأعراف والتقاليد، وإعطاء الرؤية قدراً وافرًا من الضوئ والاضواء، وإكسابها كما وفيرا من الوعي التأملي الذي يلاحظ مفردات العالم في مصيرها المعقد، ومسيرتها الغامضة.

وعطمت ثقافة محفوظ أنها خصبت نفسها بالانفتاح على الثقافة الغربية في مستوياتها وأشكالها المختلفة، وقد بدأت مرحلة التخصيب مبكراً، كما يقول محفوظ أنه في سنة ١٩٣٠ أقتنى كتاباً

الذي سوف يتجلى فيه محفوظ، إذ صدرت رواية (زينب) لهيكل سنة ١٩٤٤. ولكن تكتمل للأسطورة مكوناتها الجهرية، كان التحاقها بكلية الآداب قسم الفلسفة سنة ١٩٣٠، حيث تخرج فيها سنة ١٩٣٤، وقد صاغ القسم محفوظاً صياغة عقلية ونفسية من طراز خاص، هذه الصياغة التي شكلت رؤيته للعالم بكل مقعها وشموها، وبكل توجهاتها في البحث من الجوهر الذي لا تحجبه الأعراض والهوامش، صحيح أن المرض والهشام قد يكونان ملوطين، أحياناً عند محفوظ. لكنهما مطلوبان لخدمة الجوهر الأصيل بوصفه المادة الأولية للوجود.

وفي مرحلة مبكرة من العصر أخذت العبقورية الأسطورية لـ محفوظ تراسس تحلياتها في الكتابة، حتى إنه ترجم (كتاب مصر القديمة) لجيمس بيكر من الإنجليزية وهو طالب في المرحلة الثانوية، وقد نشره سلامة موسى بوصفه نوعاً من التشجيع لهذه المهمة المبكرة التي بدأت أولى خطواتها في كتابته تاريخها الإصاعي العظيم.

لكن التجلي التفتيزي لهذه الأسطورة كان في كتابة (المقال) الذي بدأه سنة ١٩٣٠ وعصره تسعة عشر عاماً. واستمرت عملية الإنثاق حتى سنة ١٩٥٢، حيث قدم في هذه الفترة ما يقرب من سبعة وأربعين مقالاً، وقد تداخلت مرحلة المقال مع مرحلة

يلامز الواقع. ويصعد به إلى أفق التخيل، وكثير من عايشوها، مازالوا يحاشونها، ويشبهون بحضورها وإن استحال معظمهم إلى كتاب مفتوح يسجل أحداث الأسطورة أحياناً، ويسجل ما يدور عنها وحولها أحياناً أخرى أو تنقل إلى كل واحد من الحواريين قد تحول إلى ذكراً ومن ثم فقد تراكم مع محفوظ سجل سمعه، وتصيف إلى هذا ذلك الطابع الذي في قدر كبير من الدقة والأمانة، والكتابة التي تتساقط مع محفوظ سجل الرواد. وأظن أن هذه الصفحات سوف تستمد من هذه الوثائق معظم معارفها عن أسطورة نجيب محفوظ الحياتية والإبداعية.

تقول الوثائق إن نجيب محفوظ ولد سنة ١٩١١، وكان هذا الولد بشارة مرحلة التحول في الواقع المصري. فقد انفتحت نافذة الوعي الأكاديمي قبله بمسنوات قليلة، حيث انشئت جامعة فؤاد الأول (القاهرة) سنة ١٩٠٨، وهو عام وفاة الزعيم مصطفى كامل الذي ظل صوته مدوياً في أسماع المصريين بعد وفاته، وكانت أصوات شوقي وحافظ وإسماعيل صبري وسواهم من المبدعين تملأ سماء الوطن، وكان سعد زغلول يقود حركة الوعي إلى زرونها في سنة ١٩١٩. وكانت المرحلة إلهاماً باضن

المحفوظية بكل خصوصيتها في إطار العمومية، وبكل فريدتها في خضم الجماعية، فنجيب محفوظ المصري في إطار عربته، والمصري العربي في إطار إنسانيته، وكان الزمن مع محفوظ قد خرج عن قانون وجوده، فهو يتحرك حركة مزدوجة، للأمام تارة، وللوراء تارة أخرى. أو لنقل إن حركته أصبحت حركة واحدة لا تتبين فيها وراء أو أماماً، لأنها خاضعة لحركة محفوظ الذهنية والنفسية، فعايشه هو مستقبله، ومستقبله هو عايشه بكل سموهما الباذخ.

إن هذه المسيرة الممتدة زمنياً وإبداعياً بطبيعتها الجدلية بين الماضي والحاضر والآتي، قد اكتسبت نجيب محفوظ قدرة غير محدودة على الصفاء، وعظمة هذه القدرة في أنها لا تنتظر مردوداً لمعطائها، صحيح أن المردود قد يكون، أحياناً، من دوافع الاستمرار في الصفاء، لكن ذلك لا يكون إلا مع الشخص الماثقفة التي تثر عليها الحياة، أو تثر على الحياة مردوداً ماثقفاً يشابه بمرورها على الشخص العادية، لكن يتغير الموقف تماماً مع الشخص الأسطوري التي تطول بقايتها عنان السماء، حيث تراسس الأسطورة فاعليتها بين الناس دون أن تنتظر جزاء ولا شكوراً.

لقد اتاحت الخصوصية والتصد لـ محفوظ إمكانية الرؤية الشاملة العميقة التي تعاشي والقها المباشري، ثم ترصد تحولاته الداخلية والخارجية، الجزئية والكليية، دون أن تعوقه هذه المعاشية الحميمية من معاينة الواقع الإنساني في نماذجها العليا والدنيا، وفي تحولاته السياسية والاجتماعية والثقافية. فـ محفوظ مصري وطني، وعربي قومي، وإنساني كوني على صعيد وعيه الذاتي، وعلى صعيد وعيه الإنساني.

[٢]

إن طبيعة الأسطورة أن تغيب شخصاً وأحداها من الواقع لتحتل الناكرة التخيلية، وغيب معاصروها، من عايشوها في تجليها التخيلي، لكن أسطورتنا تنفرد بحضورها المباشر الذي



من كل عام، وكان يبرود دائماً، أنه أديب شتوي، أما في الصيف فهو موظف فقط.

[٥]

لا شك، أن الحوار السابقة كانت تتلاحق لتبلغ هدفها الرئيسي عن (أسطورة نجيب محفوظ) الإبداعية، وهي أسطورية لا تنحصر في إنتاجه من حيث الكيف، فهذا ما يكاد يكون حقيقة وجود، وإنما الأسطورية المدهشة كانت، أيضاً، من حيث الكم، فقد أبدع محفوظ ما يربو على خمسين رواية، وثلاثمائة وخمسين قصة، وخمسين مسرحيات من ذوات الفصل الواحد، فضلاً عن مقالاته التي بلغت سبعة وأربعين مقالاً، ومآزير المعطاء مستمراً حتى لحظة الحاضر.

أي أن هناك توازياً بين الإنتاج الكمي والكيفي، والكمية يتوازى مع الاستعداد الزمني، ومن ثم كانت التأثيرات من الإنتاج مستمرة في الزمان والمكان والشخص داخلية وخارجية، وهذه التأثيرات تستمد قواعدها من طبيعة المادة الروائية وقدرتها على الاقتحام الفني والجمالي للمناطق المغمورة أو القابعة للتخلف، وقد رتقا على تحريك البراكين، وفجر الثوابت، وقد رتقا على أنيق السكون، ومنع النوافذ لا تطلق الميكروب القمع السياسي الاجتماعي والنفسى، بل ذلك كله لخدمة المجتمع المصري أن يتألم نفسه في حالة من الانكشاف والتعرية، حتى ولو جاء الانكشاف خلال الألفعة والأمزج لا تألفه ثقافة تسبح لمن يوجهها لأخراها إلى ما وراءها، وهي رموز لصيحة، تكاد من الإفصاح تتكلم بها تهدف إليه على المستوى، الضريدي أو الجماعي.

لقد كان إبداع محفوظ كتاباً مفتوحاً للواقع المصري بكل تحولاته في القرن العشرين، ككتاب يستوعب قضايا الإنسان على وجه الإطلاق، قضايا الظلم والعدل، القيود والحرية، والتخلف والتقدم، ويمكن القول على نحو من الأنحاء أنه اختراق الحريات الثلاثة: الدين والجنس والسياسة، لكنه اختراق محسوب بدقة ومهارة فنية لا تجرح ولا تعدي.

أما المرحلة الثانية، فهي مرحلة الواقعية التي بدأت تجلياتها برواياته (القاهرة الجديدة) سنة ١٩٦٥، وقد صدرت إحدى طبعاتها تحت اسم (فضيحة في القاهرة)، وأخذت في السبيل، ما دلتا (القاهرة ٣٠).

ولا شك أن دخول هذه المرحلة كان إشارة بالغة (الحزب الفني) للمشروع وصاحبه، لأن محفوظاً لم يكن في هذه المرحلة، مجرد أداة لتسجيل الواقع، بل كان بمثابة (المشاهد) بالهنيء الصولي، لأن هذا المشاهد هو الذي يدرك، في

نفسه واجتماعي غير محدود، فالمشفي عنده ليس مجرد مكان لقاء الأصدقاء، والحرارة ليست مجرد مكان لمساكنها أو المارين بها، وإنما استحلال هذا أو ذلك إلى فضاء اجتماعي مزدحم بالحياة الإنسانية، والتقلبات الاجتماعية والسياسية، وإلى ذاكرة لعافية لا تنفذ.

لقد امتلك محفوظ قدرة مدهشة على تصوير الأماكن من قيودها الجغرافية، ومن حدودها الفيزيائية، وفتح نوافدها لتتصلق بمبانيها من العادات والتقاليد والأحداث والشخص، ولم تنحصر الأماكن في حدود المقهى والحارة، بل اتسعت لتمتص أمكان إضافية مثل: الولف والتخية والزراية والسيل والقرافة والحانة

وبنية النظام المكاني لتلحم ببينية (النظام الزماني)، وكما استوعبت البنية الأولى المتن والهوامش، فكذا ذلك استوعبت الثانية المتن والهوامش أيضاً، والهوامش يطبعها أكثر تمييزاً عن حقيقة البنية النظامية، ومن هذه الهوامش عادة التدخين عند محفوظ التي بدأت في الأربعينيات، ومنذ بدأت وهي مرتبطة بالنظام الصارم، فقد كان يستمر يبرور ساعة كاملة بين كل (سجارتين).

أما الصورة النظامية الألف، فكانت هي التزامه بمواعيد العمل الوظيفي، والعمل الإبداعي، فلا يخلط زمن هذا بزمن ذلك، فمنذ ما يحين وقت العمل، يعطيه حقه كاملاً، وعندما يحين وقت الكتابة يتفرغ له بكل كيانه ويحتشد لزمه دون قصد أو زيادة، وعندما ينتهي الوقت المحدد يتوقف تماماً مهما أحت عليه الأفكار والخوارق.

ولا ينحصر زمن الكتابة في المساحة اليومية، بل يمتد إلى الزمن السنوي حيث يتوقف عن الكتابة في نهاية شهر إبريل

تستحيل إلى بنية نظامية لا تعرف العشوائية، ويستوعب هذا النظام الذات في مسلكتها الخاصة، والعام، ويستوعب مجموع الأحداث التي تعاقبها أو تحولها إلى بناء حكاية، كما يستوعب مجموع الشخص وما يلقفها من إبعاد مكانية وزمانية، والذات المتكلمة تأتي في مقدمة الشخص المتصو في بنية النظام.

وقد كان نجيب محفوظ (بنية نظامية) في أساليته وهواشيه، وربما كانت الهوامش أوغل في الدلالة على هذه البنية من المتن ومن هوامش النظام عنده التزامه في مسيرته اليومية للرياضة، فكان يلزم طريقاً محدداً لا يحدد منه، حرصاً أن يمر على الأماكن التي يمر بها كل يوم ويدور حولها كحاشيته، كما لو كان هذا النظام الدوري طقساً مقدساً لا يجوز الانحراف عنه.

ويمكن القول إن جغرافيا المكان كانت ركيزة أساسية في إبداع نجيب محفوظ، حيث استوعبت عليه أماكن يعيشها في أحياء واقعية الشبيهة، وكثير من رواياته تتخذ مدخلها من (الجنون) لأحد الأماكن مثل: (كفاح طيبة) (القاهرة الجديدة) (خان الخليلي) (زقاق المدق) (بين القصرين) (قصر الشوق) (السكينة) (الطريق) (شرارة فوق النيل) (ميرام) (الكركك) (حكايات حارتنا) (الحب فوق هضبة الأهرام) (قشتم) (الواد حارثا).

والقصر بين حقل الملاح، احتل مساحة واسعة في معظم أعمال محفوظ الروائية، ولا يبالغ إذا قلنا أنه (ابن المقهى) (الحارة المصرية بمحاذاة الفريدي، وهذه العلاقة المحيية أتاح له أن يتقل المكان من بعده المادي المحدود، إلى بعد

اجتياها هو (المعرفة الجديدة) وكان أشبه بدائرة للمحرف، وكان به شغوفاً، لأنه يحيط بكافة الأنشطة الإنسانية التي كانت تلج عليه بالأسئلة، وقد قلقة هذا الكتاب من حالة الانعزاع إلى حالة المعرفة، وقد دفعه هذا الكتاب إلى قراءة سواء من كتب القيم الثقافية والفكرية والنجيب أن يقول محفوظ، إنني كلما قرأت كتاباً أضرع برأي الجهل يطاردني، فأتغلب عليه بالاستزادة من القراءة، وبخاصة في مجال القراءة الإبداعية. فقد قرأ (بيكيت)، وأحب (ديستوفسكي) (بروست) (زكاكا) (شكسبير) (ويوجين أونيل) (جاسترناك) (توماس مان) (طافور) (حافظ الشيرازي)، كما قرأ (جويس) وتشكوف وهمنغواي وفوكس). والذات أن هذه الحرية الشاعرية النظرية قد تم تخصيصها بالخبرة الثقافية العملية التي امتاحها محفوظ من مجموع الوظائف التي تولاه، فقد كانت وظيفته في وزارة الأوقاف بمثابة مصدر معرفة أدبي واجتماعي على صعيد واحد، وذلك أن الوظيفة قد تم له (المعمل الوالفي) بكل محتوياته من القيم والأعراف والعادات والتقاليد، وكل محتوياته من المعتقدات البشرية المتأينة، وقد اتسع هذا (المعمل) بمجموعة الوظائف الهندسية، فقد عمل مدبراً للرقابة، ومدبراً لمؤسسة من مؤسسات، ورئيساً لجلس إدارتها، ثم رئيساً لمؤسسة السينما ثم مستشاراً لوزير الثقافة لشئون السينما، حتى أصبح للمعاش سنة ١٩٧١.

لقد أمد له موقع وظيفي بمجموع المكونات البشرية التي تعامل معها أو التي بها، كما أمد بكثير من الأحداث والحكايات، وكشف له كثيراً من أبعاد الواقع المحيط به، أي أننا يمكن أن نعتبر هذه الوظائف نافذة أطل منها وهي محفوظ على عالم المياض، خاصة أن أدركنا أن كان بعيداً عن العمل السياسي والحزبي، وربما كان يتأمله الحزبي الوحيد هو حزب الوفد قبل الثورة.

[٤]

إن نضج الحياة ومكونات الثقافة كان لهما أثر بالغ في مسيرة نجيب محفوظ، لا شك أنهما قد ساعدا على إكساب هذه المسيرة طابعها الأسطوري الذي افترضناه بداية، وذلك أن الأسطورة كتكتسب إنسانيتها ومعها من الواقع الذي تلحتم به أولاً، ثم ترتفع بهذا الواقع إلى منطقة التخيل ثانياً، وسواء ظلت الأسطورة ملتزمة بالواقع، أو حلت به إلى منطقة التخيل فإنها تحتفظ لأسطورتها بقدرة هائل من الانتظام، أو نقل، إن الأسطورة



[٦]

إيثار المقتولة الأولى مؤثر على وعي محفوظ بالحقيقة الجهرية للإبداع . على وجه الخصوص ، فاشعر في اللغة بكل جمالها ، والتمسك فيها أداة لغوية معاً ، أما الرواية فإنها تستخدم اللغة بوصفها أداة ، ثم تقدم إضافات وروايات على هذه الأدلة .

واعتقد أن عشقه لملحة وسكانه في دورها هو الذي باعد بينه وبين كتابة (الحوار) للسينما ، لعدم قدرته على التعامل بالعامية تعاملًا فنيًا ، وذلك برغم أنه كتب ما يقرب من مائة (سيناريو) أفلام سينمائية أولها : (مستر وعيلة) ، وأكثر من ثلاثين سيرة لتليفزيون ، وأثنى عرض مسلسل لتليفزيون ، لكنه كان حريصاً على أن يردد : (إن أدبي في كتيبي ، وليس في أسيمناتي أو التليفزيون) . وعظمه محفوظ الأدبية تمثل في تجده وتناميه ، حتى إننا ونحن نتابع مقالاته العداوة وأجراماتها الشديدة ، سوف نجد كثيراً من وثائقيه التطبيقية وفيرة في نصوصه ، سوى مقولة واحدة هي مقولة : (موت المؤلف) ، فهذه العظيمة حاضرة حضوراً مبشوراً بذكرياتها البهجة التي تحارب الشبان أو النفساني ، وعيها التشخيص الذي تحارب الاغلاط والتشدد ، ولعل هذا بعض ما أسست عليه جائزة نوبل لميشتاها عندما قالت :

"نجيب محفوظ يكتب منذ عشرين عاماً ، وهو الآن في السابعة والسبعين ، وأصول الإبداع ، وأصلم إنجازاته هي الرواية والقصّة القصيرة ، لقد أعطى إنتاجه دفعة كبرى لقصّة كعذب يتخذ من الحياة الميومة مادة له ، كما أنه أهتم في تطوير اللغة العربية كلغة أدبية ، ولكن ما حققه نجيب محفوظ ، أعظم من ذلك ، فأعماله تخاطب البشرية جمعاء ، "

أهم المراجع :

١. نجيب محفوظ ، رجاء النقاش ، مركز الأهرام للدراسة والنشر سنة ١٩٩٨ .
٢. نجيب محفوظ ، الثورة والنصوف ، مصطفى عبد القنني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٤ .
٣. نجيب محفوظ ، الطريق والصدى ، د. علي شمش ، الهيئة العامة للنشر الثقافية سنة ١٩٩٣ .
٤. نجيب محفوظ من الجهادية إلى نوبل ، د. غالي شكري ، الهيئة العامة للاستعلامات سنة ١٩٨٨ .
٥. نجيب محفوظ ، وطني مصر ، محمد سلماوي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ٢٠٠٠ .
٦. نجيب محفوظ يتذكر جمال المصطفى دار المسيرة مروت سنة ١٩٨٠ .
٧. نجيب محفوظ يقول ربح حسن لهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٣ .
٨. مجموع حوارات والمقابلات حول نجيب محفوظ في عهد ميلاده الثماني

(والكرنك) يمكن تلقيها بوصفها نصاً روائيًا ، ويمكن استبدالها في أفق مسرحي نتيجة لتبسيط الحوار على مستنها ، واستحوادها على فضاء كبير منها إذ تبلغ أسطر هذا النص اثنين وثمانين وستين سطراً ، يستحوذ الحوار على ألف وواحد وعشرين سطراً ، وفي إطار التلقي يمكن استقبال النص في أفق السيرة . أيضاً ، حيث بلغت ضمائر الذات المتكلمة خمسمائة وسبعة وسبعين ضميراً ، بمعدل ضمير لكل سطرين تقريباً . وهذا التلقي الاحتمالي يصلح لكثير من أعمال نجيب محفوظ ، لأنها أحياناً تعتمد إلى الغامضة المباشرة ، وأحياناً تقود المعاني إلى تجريدات فلسفية كما في (الطريق) ، وكثير من الأعمال يمكن اعتبارها نوعاً من (الكتانية) حيث تقول شيئاً على السطح ، وتشير إلى غير المقول والنشئة ، فكل بناء صياغي ، عده ، له أهدافه المحددة ، وكل بناء نصي له فضاءه الاحتمالي الفسيفسي ، وهو فضاء يوحج التلقي إلى استحضار المعاد الموضوعي ، حيناً ، والتفلسفي حيناً آخر .

[٧]

ويبدو من تسميات هذه الأسطورة الإبداعية ، عرويته المتجددة في ذاته ، وسكانه هي اللغة العربية سكنى العاشق المتوحذ بمشوقه ، وربما لهذا كان على يقين ثابت من المقتولة التراثية (الشعر) ديوان العرب ، وهذا اليقين جعله يتحفظ على بعض المقولات المأثورة : (الرواية ديوان العرب) ، (المسلسل التليفزيوني ديوان العرب) ، ولا شك أن

لا نجاح الصواب إذا قلنا أن أعمال محفوظ الإبداعية تمثل لوحة حية قصر خلال القرن العشرين ، وفي الوقت نفسه تمثل خريطة جغرافية وتاريخية لها ، لكنها الخريطة التي لا تعرف التوقف ، أو التجمد ، بل هي متنامية مع حركة التاريخ وامتداد الجغرافيا ، ومن يقدر ثلاثيته الخالدة يستوفى من هذه الحقيقة الفريدة ، فقد رصدت تحولات أجيال ثلاثة في أسرة واحدة ، بدءاً من سنة ١٩١٩ ، ومن يتابع (زقاق المشق) ليلحظ تحولات الأرملة ومصابير الشخص ، ثم تأتي (الكرنك) سنة ١٩٧٤ لترصد سلبيات المرحلة الناصرية ، أما تاريخ السليمة ، فقد سيطر في (الحرافيش) سنة ١٩٧٧ ، وفي (يوم مقتل الزعيم) سنة ١٩٨٥ ثم رصد الحرب المدنية ، وسجنت (أهل القمة) والحب فوق مضية الهرم) مرحلة الانفتاح بكل سلبياتها .

إن هذه اللوحة الحية التي يمتزج فيها التاريخ بالجغرافيا بالشخصيات شكلت كما هائلاً من التناقضات والتصادمات ، امتدت خطوطها لتلتحم بالفلسفة والاجتماع وعلم النفس ، ومن ثم كان من الصبر حصر أعمال محفوظ في مجموعة من الأطر المحفوظية ، بل يمكن القول إن كل عمل من أعماله كان يستعدي إطاراً الذي يلائمه ، ويحتكم إلى الإجراءات التي تقرنها خصوصيته ، ومن ثم يمكن تلقيها بوصفه (نوعاً حياً) أوجه ، يقوم مثله بإعادة إنتاجه على النحو الذي استقبله في الحقة ، ف (حكايات حارثا) يمكن تلقيها بوصفها نصاً روائيًا واحدًا ، وبوصفها مجموعة قصصية متعددة التراكيز والأركان ، ويمكن تلقيها بوصفها نوعاً من السيرة الذاتية نتيجة لصيطرة ضمير المتكلم عليها ،

مشاهداته ، المادة الأولى (الخام) لمكونات هذا الواقع ، كما يترك تحولاتها الداخلية والخارجية ، الظاهرة والخفية ، ومن ثم كان صاحب حق شرعي في إبداء الرأي ، وتحديد وجهة النظر خلال النص ، سواء ثم ذلك بوصفه شخصية مشاركة من الداخل ، أو مطلقة من الخارج ، وسواء ثم ذلك على نحو مباشر ، أو عن طريق الأفعنة والإسقاط ، أي أن السرد لم يكن مجرد رصد وصفي ، وإنما نوعي وكشف لغارات الطبقية والاجتماعية ، وتنقاضاته الاقتصادية والسياسية ، وتصداماته الفكرية والثقافية .

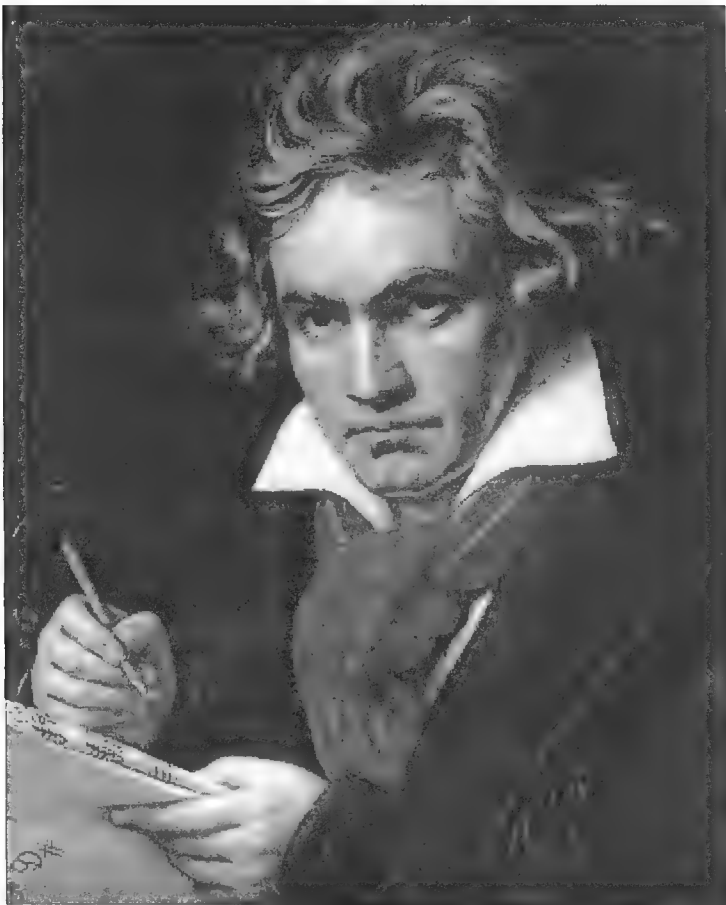
إن أعمال محفوظ ، في هذه المرحلة ، كانت فضاء واسعاً لمجموع الأدبيولوجيات السائدة ، ويزنًا كافية لمجموع التيارات بين الجود والتطور ، وبين ما كان وما يجب أن يكون . كما كانت الأعمال علماً مزدهراً بمضاربات الأجيال والأحداث والشخصيات والمواقف الثورية والانتهازية ، والاستقرار والقلق والاستواء والشذو ، والانتماء والغوص .

وإذا كانت (القاهرة الجديدة) هي باكورة المرحلة الواقعية ، فإن الأعمال التالية قد أدخلت الواقعية في تحول حاسم للمصادرة والمواجهة لحاظه في (زقاق المشق) سنة ١٩٦٦ ، (وبداية ونهاية) سنة ١٩٦٨ ، ثم أخذت الواقعية صورتها الأكمل في الثلاثية : (بين القصرين) ، قصر الشوق (السكيرية) من سنة ١٩٦٩ إلى سنة ١٩٧٧ ، ويقول عنها (يوسف القعيد) إنها كانت عملاً واحداً ، يجاوز ألف صفحة ، وقد طالبه الناشر بتقسيمها ، فجعلها على ثلاثة أجزاء ، كما هي بين أيدينا اليوم .

وثاني المرحلة الثالثة مليحة بالثلاثية هي (الواقعية الرمزية) والتي تلتمح بمرحلة التجريب الشكلي ، وتخل السيرة إلى نوع من الوعي الشخصي ، والخيال الفلسفي ، وهو من تلحم مداه في روايات مثل (أولاد حارثا) سنة ١٩٦٢ ، والصلب والكلاب سنة ١٩٦٣ ، و(الطريق) سنة ١٩٦٥ ، و(الشحاذ) سنة ١٩٧٧ ، و(حكاية بلا بداية ولا نهاية) سنة ١٩٧١ ، و(قلب الليل) سنة ١٩٧٥ ، ثم (الحرافيش) سنة ١٩٧٧ ، و(رحلة ابن فطومة) سنة ١٩٨٣ .

لكن التآمل الفلسفي يكاد يكون مهيئاً سنة ١٩٩٤ ، دخل في طور طائر خلال كتابه (أصداء السيرة الذاتية) في نصوص قصيرة متعددة الملامح يصعب إدخالها في نطاق مفهومي محدد ، وهي نوع من التوافق مع المرحلة السنية التي بلغها بكل ما تحمله من ضعف في الحواس والجسد لا يسمح بكتابة النصوص الطويلة . لكن من المؤكد أن دخول هذه المرحلة الطويلة يرسخ الاعتقاد بأن المبدع إذا بلغ مرحلة الأسطورية ، فإن حياته تصبح قربة الإبداع ، وتوقف نوع من الموت التقديري .





بيولوجيا الموسيقى.. فُصْلة

العدد الثاني والسمون . يناير ٢٠٠٥ م

وجاهات نظر ٥٤

الموسيقى عُلمُنا لا يحلو منها هي حياتنا مكان. هي الموج والقي الشط. هي أوراق شجرية تعانينا الريح. هي صوت نحلة تعازل رطبة في شناه طير يداي ليمه في صكة طفلة. وفي يصات قلوبنا نحن. عندما يخالط الحب حبيته. ويعول مع الجود. كانت الموسيقى طالما كان غنة موسيقى. فإنه يسمى بحبيته إلى غنة السماء. وما يخطرل في الموسيقى عاصفته. وجمالها حبة أسنى ألم يقل بيترن إن اصماق السماء لا يصلها في الموسيقى أجمل من بعض قلب الصبا الموسيقى هي راحة الحب. هي لغة القلوب بين المحبين. لغة اللانكحة للحيثيين. حيث توجد الموسيقى يحمى كل شر. إذا فاص الشعور ولم يعد في مقدور الكلمات أن تفسح. استغنتنا الموسيقى. في أعرق اصماق الكون تسري الموسيقى. اختزل هياظوت الحركة الإيقاعية للأجرام السماوية من نجوم وكواكب في موسيقى تكى جمال الكون وهازم دينته. ومثل كل معنى عميق غزير في حياتنا. يصعب أن نجد لها تعريضا يرضى الجميع. مثلها مثل مفهوم الخير أو الإنسانية أو الشعر. الموسيقى هي فائرا استبدلت في بالكلمات الألمان. من شأنه تتسلسل إذ تتسلسل إلى الروح. إلى الجوهر منا. هي عند بيهتهوف إلهام يسوع على كل الحكمة وكل الصبر. إنها التمكنر بالصوت النقي الخالص. هي حصرتها بحس بةلغة العودة إلى الإنسان والروح. كما يقول توفيق الحكيم. بلا موسيقى تصبح الحياة خطأ. وليس ما يمر من هذا الفصل من الأصوات. مكننا قال نيتشه. الذي قال أيضا "من أجل الموسيقى. تصبح الحياة على الأرض شيئا يستحق. إله منا من يستطيع أن يتخيل عالمًا صامتًا بلا صوت. بلا موسيقى؟ عالمًا أصم يحين به أناس كلهم صمًا؟

فُلُوتٌ قِيسِي

الإنسان العالق (هو ما سابينوس Homo sapiens) هي القدم خبير من الزلغات وزرما سبقت حتى اللغة ذاتها. في عام 1996 عثر في أحد الكهوف عند سفوح جبال الألب بواحد نهر إدرىكا Idrijca. غربي سلوفانيا. على قطعة من فُلُوت من العظم طولها 11 سنتيمترا. أثارت ضجة كبرى. وفرد عمرها بما لا يقل عن 43٠٠٠ عام. وما قد يصل إلى 8٢٠٠٠ سنة. صنع هذا الفلُوت إن. وقد فرد طوله الأصلي بنحو ٢٦ سنتيمترا. في زمن لم تكن قد ظهرت به تكنولوجيا معالجة العظام. ولا ما تتطلبه من. كان الفلُوت (فلوت ديفين Divre) عبارة عن قطعة مجوفة من عظمة خنزير شبل من أحيال ذب الكهف

المنحصر. وكان يحمل أربعة تموب متساوية الخطر. ثبتت صنعًا بأداة ما (ربما كانت سنة من أسنان حيوان لاجم. كالصمغ). كانت الثقوب تجرى في خط مستقيم على ناحية واحدة من العظمة. المسافة بين الثالث والرابع. الأمر الذي سمح للعازف بالعرف الثقافات الكاملة. ونصت النغمات أيضا. غير هذا الفلُوت من رويوتا إلى صائمه. إنسان نياندرتال (هومو نيبانديرتاليس Homo neanderthalis) الذي اقترض منذ نحو ثلاثين ألف عام. وكان هو النوع البشري الوحيد الذي تطور في أوروبا. يبدو أن إنسان نياندرتال كان يعرف الموسيقى ويعزفها. موسيقى العصر الحجري. وتسبب هذا الفلُوت في أن يعد المؤرخون تاريخ الإبداع الموسيقي للإنسان إلى الوراء في الزمن نحو عشرة آلاف سنة على الأقل. فاقده ما عثر عليه قبله من جنس الفلُوت في أوروبا أو آسيا كان عمره يتراوح ما بين ٢٢ ألف عام و٣٥ ألف عام. لكن الفلُوت الخبيث. بلاشك. قد سبق هذا. فهو أسهل صنعًا من الفلُوت العظمي. ثم لا بد وأن قد كانت قبله أيضا الآلات الإيقاعية التي يصنع منها الصوت عن طريق القصر (كالطبول). الأداء الموسيقي إذن كما يرى العلماء الآن يعود إلى أكثر من ٢٥٠ ألف سنة إلى الوراء. بل وربما إلى ٥٠٠ ألف سنة.

من زمان سحيق والإنسان يعزف الموسيقى. ويبحث كي يصنع لنفسه آلة تعزفها. ماذا يا ترى في الموسيقى يدفع الإنسان البدائي إلى أن يتكرر آلة للعزف؟

يعبر عنها البشر قبل أن تؤثر فيها النغمة في الأطفال مثلا. الأطفال والرضع يحسون بالفعل بالنبهات الموسيقية. ويصفون إليها. تقول الأبحاث إنهم يتمكنون الفرة الموسيقية. تماما مثل الكبار. هم لا يميزون فقط الاختلافات بين النغمات الشبيهة. إنما هم يحسون الكثير للحن ويتذكرون. ويستحسنون في ذلك استراتيجيات البعين في الاستماع. فيتميزون بالعلاقات بين طبقات الصوت قبل النغمة ذاتها. ويتشعرون بالتغيرات في الإيقاع. ويدركون للحن أيا كانت سرعة أدائه. وهذا كله ما يقوم به الكبار عندما يعاجلون الموسيقى. الأطفال قبل من المرسنة ينهمكون في الغناء في أثناء اللعب. وفي مظهرهم أن يؤلفوا أغانيهم الخاصة. وأن يؤدوها. أن ينفذوا قطع. الأم تغني لوليتها بنفس الطريقة. في طبعه صوت عالي. بسرعة متعجلة. بنغمة ميمية. وكل ثقاة. لكل قبلية. صعداتها لا تتغير. وفي جميعها متشابهة. حتى تستعمل أن الموسيقى ليست من ابتكار الإنسان. وإنما هي فطرية. الأمهات اللواتي يغنن الموسيقى. يهدن أطفالهن بشكل أسهل. والطفل الذي ينام بسهولة دون جلبة يغلب أن يحيا حتى سن البلوغ. لأسبما في القبال البدائية التي تسكن الأحرار. أن يصدر الطفل قبليه الفترسات. إذا ما طهر الاستعداد الوراثي للموسيقى مبكرا في البشر. صفة هي من نسل من يتعاط بالغة الموسيقية ضد أكبر. ليسهم أكثر في بناء القبيلة. وتنتشر الصفة مع الأجيال.

أما ننهد حالات تحرى فيها الموسيقى في العائلة؟ أما نسمع من أطفال في عمر ٣ سنوات يستطيعون العزف على الآلات الموسيقية؟ ويضمهمون الموسيقى الكلاسيكية جيدا؟ أهاك حين نعشق الموسيقى؟

الموسيقى على ما يبدو صفة ذات علاقات بيولوجية هي تستوفي شرط القدم ليعمل لها التطور وهي تفسح عن نفسها في الأطفال قبل أن تتأثروا بالثقافة السائدة حولهم. دة تجربة مشيرة نشرت مؤخرا (سبتمبر ٢٠٠٤) أجريت على مدى ٦ أعوام في أكثر من ٣٠٠٠ من الأطفال الرضع قبل خروجهم من مستشفى الولادة مع أمهاتهم. كانت التجربة من التمييز في الأذن بين ما يصنع من كلام ومن الغناء. دفنا ذرى أولا كيف نسمع.

كيف نسمع؟

عرف العلماء من زمان طويل أن المناطق السمعية بتسمى المخ تختلف في تصنيفها

أحمد مستجير

من بيتهوفن

للأصوات: النصف الأيسر يسود عند تلك
مخالفات الكلام وغيره من الإشارات
الصوتية السريعة الغريبة بينما يسود
النصف الأيمن في معالجة الأنغام
والموسيقى؛ فيه من كثافة الأعصاب
يزيد عن النصف الأيسر مما يسمع
بتشغيل أكثر تفصيلاً لثروات صوت
الموسيقى، وسبب طريقة تشيكة
العصبيات فإن النصف الأيسر من المخ
يتحكم في الجواب الأيمن من الجسم،
والأذن اليسرى ترتبط بالأنف من الأيمن
من المخ، ونحن بالطبع يفترض أن الأذن
اليمنى والأذن اليسرى تعملان بنفس
الطريقة. لكن كيف تعمل الأذن؟ كيف
تسمع؟

تتحرك الموجات الصوتية على طول قناة الأذن، حتى تصطدم بحبلة الأذن، وهذه الحبال هي فيصل الأذن الخارجية عن الأذن الوسطى. تهتز طبلة الأذن وتتحرك الاهتزازات إلى ثلاث عظام صغيرة في الأذن الوسطى (طبلة العنق، المطرقة والسندان والركاب)، فتدق بتمسير الاهتزازات إلى شفاء يسجيى رقيق على مدخل الأذن الداخلية يسمى النافذة البنيوية. تتحرك هذه النافذة لتحرك سائل في قوقعة الأذن يحتوي على خلايا شرجية دقيقة مرتبطة بالأعصاب، فتتمدد وتتقلص لتضخيم الاهتزاز الناتج من النافذة. تُنقل هذه الاهتزاز عبر عصب السمع إلى محطة بالغ الأوستة، ثم إلى مسلك أذن تنتهي إلى القشرة السمعية. للسمع، مثل النقل عن طريق بوقه أوستة TRPA 1 موجود على أطراف الخلايا الشرجية يقوم بتحويل موجات الصوت إلى إشارات كهربائية. الخلايا الشرجية التي لا تحمل هذا البروتين لا تستطيع أن تولّد الإشارات الكهربائية استجابةً للاهتزاز. الفريبن أن قوقعة الأذن لا تحمل من الخلايا الشرجية إلا نحو 300 خلية فقط، مقارنة بنحو مائة خلية من خلايا مستقبلات الضوء في العين. تسرب هذه الاهتزازات المنخفضة أيضا عنده إلى الأذن التي تظهر تسمى «الشاهيرة الأذنبة» السمعية، وهذه يمكن رصدها وقياسها بسهولة عن طريق يوضع في قناة الأذن (تسمى السمرة، في الرضف).

الأذن اليمنى ليست كائسرى

هوجي العلماء إذ وجدوا أن الأذن اليسرى للرّسّع تقوم بتضخيم إضافي لنغمات الموسيقى، بينما تقوم الأذن اليمنى بالتضخيم الإضافي للأصوات السريعة (كالكلاب) **الْحَقِيقَةُ** (بديل الكلام) تضخّم أكثر في الأذن اليمنى، بينما تقدّم الأُفْحَان زبَاد تضخيم أكثر في الأذن اليسرى وهذا يَناظر طريقة عمل

لعل عند معالجة الكلام والموسيقى، هذا من خلقه، يميز الطفل عند ولادته. الخ نهياً منذ الولادة للتمييز بين الموسيقى والكلام. والأذن أيضاً. الأذن اليمنى ليست كالأذن اليسرى. هناك من الأبحاث الأقدم ما يحسد هذه الفكرة، فقد اتضح على سبيل المثال في بعض التجارب على الأطفال أن كان يعاني من ضعف السمع في الأذن اليمنى يواجه مشاكل أكثر في التعلم بالدراسة مقارنة بمن يعاني من ضعف السمع في الأذن اليسرى.

الموسيقى والمجتمع

ثمّة مَنْ يقول إن الموسيقى تلعب دوراً خطيراً في تعزيز الروابط الاجتماعية، فهي تقوّي الروابط على المستوى الفردي بين الأم ووليدها مثلاً، وعلى مستوى جماعة أيضاً. فتباعد الناس عن التشاجر



التقاليد فيما بينهم. ثم إن الغذاء الجماعي الذي كان يضيح الصالحين عند سيد المرسلين، فمؤسسة العمل تشهد الآن لا مزيد من قيام مجموعة من العمال يعمل شاق. والموسيقى التي تروى الويل في الأفراح في المناسبات العائلية العاصرة بعد أن تآثرت أعدادها أصبحت الداعية بين الجنسين أمراً صعباً. نحن نرى في الغالب أنها تعزز الفحش، أصبحت سلوكاً فائزاً يفسر افتتاح دورين أغانى اللغو. لقد كتب شارلوس وايتون، في سنة ١٨٧١ يقول: جسد من المختل، من أكلة الإنسان، كدوراً أو هما هما. قد حاولوا قبل أن يتكسبوا القصة على التعبير عن الحب بالانغماس في جسدنا. في تلك الأيام، كان

هناك إذن من الشواهد الكثير مما
وحي بأن الموسيقى تكيف تطوري قبل أن
تكون تماماً ثقافياً، هي جزء من بيولوجيا
الإنسان. كل فرد مِنَّا له القدرة على أن
يصنع الموسيقى، يصوته أو بالألّة، بعض
ننظر عن موهبته أو مهارته. سوى أن أمر
بيولوجية الموسيقى لن يستقر تماماً حتى
نتفحص بالتجربة أن مفعمة ما موسيقية لها
أساس في مادتنا الوراثية.

إدراك طبقة النعم

صفة الإبراك الصوري (الخلق حبة)
 الخلق (Perfect Pitch) هو القدرة
 والبصر ولكنها مميزة جداً، وتحلى بها فرد
 بعد من بين كل واحد من ١٠,٠٠٠ فرد (الفضل
 يذهب للنسبة إلى واحد في كل عشرة آلاف)
 يستطيع حاملها أن يميز اختلاف في تردد
 التردد بـ ١٢ هرتز فقط. يبدو أن نصف البشر
 يستطيعون حملوها. تصعب اللغة المنطوقة
 على السمع الموسيقي لديهم وأولئك هم «
 محسن ديرك» (أو «أذن مثلاً» صلا، أم
 محسن موضوعة، «هرماني» لا تستمتع إلى
 اللغة أخرى مميزة يقاس عليها، نصف صفة
 قد تشبه إمكانية قياس الكسبي من الشعر
 دون ما دراسة. أكثر أننى قرأت ذات يوم بعيد،
 وكان كيمبري حو في سنوات إعلان في إحدى
 الحالات، تسمى من «موتة» في صفة من
 السجلاني يقول الإعلان:
 فلينا واحد من أسوء
 يشتري ضامعة في مكان

[illegible]

يبدو أن كل فرد منا يؤيد ومعه هذا الحضيصة، لما إنه يعقد ما من تقدم العمر، حيث أننا عندما نتحدث إلى أطفال من تلك العمر، نحاسه الهنيئة للسمع، الطفل كما إنه يرضع الصلصا يحتاج إلى الإدراك البليق لجدة الصغامتات يصاحبه حتى يتعلم الكلام، فإذا ما تم له ذلك من بعد، فإنه حاجة إلى هذه الحاسة الهنيئة، فيعقد ما بالإجمال، هذا إلا أنه تمكن مثل هذه الفلغات الأساسية التي يُلحظ، فيها نفس الصغامتات أحيانا في ملبثتين (من) ليتمثل كلمتين تتخلطان في الحسي، أما على ملة مع اللغة الفرنسية (المُتَفرِين): Mandarin، أم، أو (أمرأة) سلطة اللسان، أو حصان، أو (قُبْ، قُبْ، الصوت) بعد أن يُلحظ بها في أنها تعد الحسي، أما من يتعلم من الأطفال المرفق على أنه موسيقية في الصغامتات البكرة جداً من العمر إلى سنة كبيرة منهم تبقي محتفظة بهذه الحضيصة، لا يفوتونها، ولعلهم أيضاً يفتقدون فُحْ من تلك اللغة، إذ تظل هذه الصلة عامة في حياتهم، يدركون بها مثلاً صوت عربة تتحرك، أو خُلى شخص يمشي أو سحبت.

قد تكون هناك إذن جهنات تحدد الإدراك التلقائي للنغمة، لكننا قد نجد دليلاً أوضح على علاقة الموسيقى بالجينات إذا تَحَصَّنَا دِيتَلَامُزْ (Williams syndrome)، وعشرين في المائة ممن يحملون هذه المتلازمة يحملون أيضاً صفة الإدراك التلقائي للنغمة.

متلازمة ويليامز

يولد به طفل بين كل عشرين ألف ولادة، اكتشفه سنة ١٩٦١ طبيب فيزيولوجي اختصاصي في القلب اسمه J.C.P. Williams، ونشر عنه ورقة علمية، ثم اختفى ولم يُعثر له على أثر. تظهر المتلازمة في الذكور وفي الإناث على السواء، وفي كل الأعناس. أطفال ويليامز قصار القامة عادة ويعانون من ضيق في الأروطة والأوعية الدموية الرئيسية، ومن لثقل في القلب، وتخلخلة ذهني، إذ يبلغ معامل الذكاء لديهم ٥٥، ١٠٠، ومعهم يقل في الحجم من الطبيعي بنسبة ١٥. وهم يشبهون ميكرو، ولا يستطيعون أن يقوموا بأبسط العمليات الحسابية. لا يستطيعون مثلاً أن يجمعوا ٢+٢ كما أن قدرتهم على التكيف الملائكي منخفضة، إذ مشوا خارج المنزل بضع دقائق فقد لا يستطيع العودة. دراهم الحركية صعبة. الكثيرون منهم يقضون سنوات حياتهم الأولى في التردد على مستشفى القلب. وهم متناوون في التعرف على الوجوه، وفي التحدث، فهم اجتماعيون للغاية، إذ استمتع إلى واحدة من هؤلاء فنش ساءلت عن جوه ما تعنيه بكلمة "دكا"، وهم للأسف يعرفون ما يكمن كي يعرفوا أنهم مستحقون، ويتحلمون. عارفين مضايقات رفاق الدراسة، والنظرات المخذلة، والوحدة. استمع إلى واحدة من هؤلاء تقول عن حياتها مع أقرانها بالدراسة، كتبت أتعجب إليهم أحياناً وأسألهم، كيف تتردون أن تعرفوا ما هي ولماذا أعشى بهذه الطريقة؟ ولماذا أبدو هكذا؟ البعض ينظرون إلى في أسى، فأنظروهم إلى شخص مريض غامض، هذا أولي، زيجتي، لذلك لا نستطيع أن نتحكم فيما يفكر فيه الناس أو يفعلون. لذلك لا نملك أن لا نجبهن. وجوههم غامضة. لا يقفون من الانتباه، معواطف غامضة وضخمة. يحبون الناس ويترقبون منهم ويركزون أحزانهم. ويعتقدون أنهم في عشقنا. ملاقاتهم بها متينة وصعبة. قد لا يركزون طويلاً في أي شأن من شؤون الحياة، لكنهم يتفنون الصناعات والسماعات بلا ملل. يتبعون إلى الموسيقى أو يمزقونها، شغفهم بالموسيقى لا يحد. واحدة منهم، جلوبيا غينوف G. Lenhoff استطاع أن تلحن ٢٠٠ أغنية من ٢٥ لغة، من بينها اليابانية والعربية والعبرية. مرةً وقعت في الحان نفسي بالغة البونية أمام حمال بوسي، فاختلعت بيكي.

يولد طفل ويليامز وقد انقلب مقطع طوله ١٥ مليون قاعدة يحمل نحو العدد الثاني والسبعين. يناير ٢٠٠٥

١٧ حيناً، من الذراع الطويلة لإحدى شخصتي الكروموزوم السابع من الجينوم. اكتشف ذلك عام ١٩٩٢. من بين هذه الجينات المكتسبة بين اسمه ELN يشفر لبروتين الإيلاستين Elastin. المسؤول عن مرونة الأوعية الدموية، والذي يشكل نحو نصف الوزن الجاف للشرائح، بدأ يقصر السبب في إصابة أطفال ويليامز بأمراض القلب، فالنسخة الباقية من الجين الموجودة على النسخة الأخرى من الكروموزوم السابع لا تكفي لتفسير القدر الكافي من الإيلاستين. من بين ما يجعله المقطع المقتضب من جينات هناك الجين ١ LIMK، وثمة علاقة معروفة عن تحكمه هو الجين ELN في القدرات البصرية الضاربة، التي يعاني من تلوهها أطفال ويليامز. بالمقطع المقتضب أيضاً جينان آخران هما WSCR ١ و FZD 3 ويمثلان مع 1 LIMK المخ، فيظهر أثرها في تطوره وعمله.



أم عرضه؟ السؤال بلا معنى، لا هنا وحده ولا ذاك، هما سوياً. فيرون إيهما لن يكون ثمة مستطيل. ٨٥٥-٤٠، فهل الرقم ١٠ بحده الرقم ٥ أم الرقم ٩٨ السؤال لا معنى له. كذا الأمر بالنسبة للوراثة والبيئة في آثارهما على الصفات البشرية، ولاسيما السلوكية منها. كالندوق الموسيقي أو الملكة الموسيقية أو الإدراك الفوري لطبقة النغم. والبيئة. ولعنى بها كل ما يؤثر في الصفات خارج ما يعمل عليها من جينات. تؤثر في كل خصائصنا المتعلقة بالموسيقى، صوت الموسيقى يصل من الآن إلى المخ، والمخ، الذي تحكمه المادة الوراثية، يحدث الأثر.

الموسيقى والمخ

يولد الطفل وهو يحمل البلايين من

الخلايا العصبية في مخه. النورونات وفي خلال الستين ليلة الأولى من عمره تنشأ الروابط بين هذه النورونات. تصبح هذه الروابط أقوى كثيراً في فترة المخ إذا نشأ الطفل وهو يستمع إلى الموسيقى. أعرف طفلي، غش له روضة وأطفال، واترقيات على لوحة مفاتيح البيانو تحسن كثيراً من نوع الذكاء المطلوب للمستوى الرابع من العلوم والرياضيات. غناؤك تحت الدش، ينشئ حكا. حرف من زمان إن الغناء ينشئ (إذ كنت تسمع وتنفذ) فأنشأت في حالة نصية طيبة، الأغنية تهج من مباحج الحياة، أيا كانت طريقة غناؤك. تنسك متابعك، واتمس معها بالراحة والأمان. الطفل يتعلم مواده الدراسية بصورة أفضل من ذلك عن طريق الأغنية. يتذكر المادة بسهولة. عن إذن كلما استطعت، وحيلما تذكرت، أن نشأ صور التحجير بالصوت تنشئ. الغناء، الصفير، الترتيل، الدندنة، الههمة، لغاء الشعر، الكلام، بل وحتى قولك.....! Lol

حكة الخ

هناك بعض الأغاني الصليبي، برعوسا، وتنبس حكة الخ، وهي حكة لا يمكن أن تهترش. إلا بأن تكرر اللحن وتعيد مرة وراء مرة. حتى وأنت تسير وحده في الشارع. تشفى مثل هذه الأغاني باسم "حكة الأذن". قد تأسرك هذه الندوة وقد ترجعج. هي مثل الهستامينات سوى أنها تستجيب للمخ وما من طريق إلى الهرش، سوى بأن تكرر اللحن في عقلك وتكرره. معظم الناس معرضون لهذه الندوة. يعاني منها حتى كبار الموسيقيين. مونتسرت كان يعاني منها، وليس في طريقة نهرها تخلفنا منها. لكن الملكة أن البعض منا أكثر عرضة من غيرهم، النساء أكثر عرضة من الرجال الموسيقيون أكثر عرضة من غيرهم، فهل للواقع عن أسود الأذن علاقة بالوراثة؟

الموسيقى والتغير الفسيولوجي

تستثير الموسيقى فينا استجابة عاطفية. شامون بالمائة من كبار يستجيبون فيزيولوجياً للموسيقى، بالعرشة، أو الضحك، أو الدموع. الموسيقى تستثير منهم العواطف والانفعالات. سجل معدل النبض وضغط الدم ومعدل التنفس، وغير هذه من المقاييس الفسيولوجية، أثناء الاستماع إلى قطع موسيقية مختلفة تعبر عن المساعدة وعن الخوف وعن الزور. فالتحج أن كل لحن نمط من الموسيقى نمطه المختلف من التغير الفسيولوجي. وعندما سجل العلماء مباحج الموسيقيين الذين تتعلمهم الموسيقى عند الاستماع إلى الموسيقى، الوضع أن الموسيقى تشنط نفس أجهزة الإدانة بالمخ التي ينهبها الطعام والحسن والخدرات.

الموسيقى والقشرة السمعية بالمخ

تتم معالجة الموسيقى كما قلنا في القشرة السمعية بالمخ، التي تتألف من طبقتين من خلايا الأرسيل التي تدركها وهي الجزء من المخ التي تجري به عمليات التفكير. والروابط بين خلايا المخ مع مفتاح عمله. واستجابة الموسيقيين للموسيقى في هذه القشرة أكبر، إذ تصبح لديهم أكثر اتصافاً. حبه القشرة عنهم يزيد بمقدار ١٣٠. عنه لدى غير الموسيقيين، يرتبط هذا الزيادة بمسوى التدريب الموسيقي، ما يشير إلى أن تعلم الموسيقى يزيد عدد الروابط بين النورونات في نعالج الموسيقى ثم إن مخ الموسيقي يخصص

مساحة أكبر لتحكم الحركي في الأصابع التي تُستخدم في العزف على الآلة. المناطق من المخ التي تتلقى الدخالات الحسية من أصابع اليد اليسرى الأربعة، من السبابة حتى الخنصر، هي المستخدمة في عزف الكمان. تكون أكبر بكثير في عازفي الكمان. هل هذه الصفات جميعاً تقع أصلاً تحت تحكم اليدين؟

كيف، يسمع، الصم؟

يُحس الصم باهتزازات الصوت بنفس المطقة من المخ التي يستخدمها غير الصم في السمع، الأمر الذي يُفسر كيف يستمتع الصم بالموسيقى، ويفسر كيف البعض منهم يصبح عارفاً ومؤلفاً موسيقياً. عرض أياي عدد من الطليعة الصم، ومجموعة أخرى من الطليعة الطبيعيين لاَهتزازات متقطعة. نسلت في كلتا المجموعتين نفس المنطقة من المخ التي تتألف فيها الاهتزازات الطبيعية. لكن الطليعة الصم أظهروا نشاطاً في منطقة بالقشرة المخية لا تنشط عادةً عند الأفراد الطبيعيين إلا أثناء التنبيه الصوتي. لم يظهر هذا الأثر في غير الصم. هذا يعني أن اختلاف الخبرة يمكن أن يؤثر في تنظيم عمل المخ. مخاض الصم تعيد برمجة نفسها لتسمع الموسيقى؟

ظاهرة مونتسارتي

صاغ ألفريد توماسيس A. Tommasius مصطلح «ظاهرة مونتسارت The Mozart» ليعني به ما يحدث من زيادة في تناسخ مخ الأطفال تحت سن الثالثة عندما يستمعون إلى موسيقى هو لمصلحهم إسماعيل مونتسارتي (W.A. Mozart) (أو موزارت). ولقد أصبح الآن مصطلحاً شاملاً يشير إلى قدرة الموسيقى على تحسين الصحة والذاكرة والانتباه والإبداع، وعلى تحفيز التفكير والقلق. عندما انبثرت عام 1978 بجامعة كاليفورنيا في سانتا باربارا تجربة على ست وثلاثين من الطليعة لدراسة أثر الاستماع لمدة عشر دقائق لموسيقى البياثو K 448 لـ مونتسارتي. قالت النتائج إن هذه الصوناتا تعزز التفكير المكاني (أي القدرة الذهنية على معالجة الأشياء) في الفترة ثلاثي الأبعاد) الذي يقبضه اختبار ستانفورد، بينما، بلغت الزيادة ٨.٠ فقط، وكانت هذه أعلى زيادة تُدرج عنها في أي بحث. لكن هذا التعزيز لم يستمر إلا ١٠-١٥ دقيقة. قشرة الخخ، بجانب إسهاماتها في التفكير النظري المجرد، وفي التخطيط، تُسمم في التحكم في الحركة والفعل والذاكرة والسمع. ربما كانت الموسيقى تُخففُ التقلبات العصبية

داخل قشرة الخخ، ومن ثم تحسّن الأداء الذهني المكاني. أظهرت تجارب تالية على الفزران أن ادعائها الذهني تحسّن إذا استمعت إلى نفس الصوناتا. هي تستطيع في سرعة أن تجد طريقها في تعقيدات المناهات. وقالت نتائج البحوث بعد ذلك أن هذه الموسيقى ترفع من تعبير جعنة جينات ذات علاقة بالارتباطات بين خلايا المخ. يستخدم مخ الإنسان مع الاستماع إلى الموسيقى مجالاً عريضاً من المناطق الأيسر من المخ، والجروس واللحن بالنصف الأيمن. والمناطق من المخ التي تستخدمها في الهمم الكلاسيكية الرومانسية تتراكب بالفعل مع مناطق معالجة الموسيقى. ويتبرح البعض أن الاستماع إلى الموسيقى يركز على مناطق المخ التي تتخصّص بالتفكير المكاني. أمل الباحثون أن تساعد هذه النتائج في تصميم علاجات للمصابين



رهبة تَرَأَى، والمطر ينهمر بقزارة. غير أن العروض بيتوهوفن على فراش موته لم يكن يسمح. كان قد أصيب بالالتهاب البورى أثناء عودته إلى فيينا من إحدى رحلاته في ديسمبر ١٨٢٦، فأضاف إلى ما به من مرض. سنته من مجيئه كانو حول سريريه. أقنعوه أن يسمح للكاهن بأن يؤدي طقوسه المسيحية. عندما انتهى الكاهن من صلواته رفع بيتوهوفن قبضة يده إلى اعلى وقد أطلق أصابعه وهو يشهد الربيع بخريد بالخارج، ثم همس بأخر كلماته: «هللويا يا أصدقاؤ، لقد انتهت المعاناة، ومات. مات الموسيقيين الكلاسيكيين وأول الموسيقيين الرومانسيين. كان على سرير موته قد حفظ سمفونيته العاشرة والتفعلت في رأسه، لكنها لم تَرُ النور أبداً. يا خسارة! ماتت معه، موسيقياً كان الرجل حتى آخر لحظة في حياته. اسمه لودفيج فان بيتوهوفن، وكلمة

عاه بالفلمنكية تعني «ابن»، وهو من أصل فلمنكي (وهي ليست دفون) الألمانية التي تشير إلى النجالة). أما كلمة بيتوهوفن نفسها فتعني بالهولندية «حبيبة البجر»، وأيد في مدينة بون في ١٧ فبراير ١٧٧٠، وأ كان هو يتوق إلى ميلاده الحقيقي كان عام ١٨٢٧، أما ١٧٢٠ فهو عام ميلاد أخيه الأكبر الذي توفي زرعياً وكان اسمه أيضاً لودفيج. لم تكن طفولته سعيدة. كان والده شحياً فقراً، قرّر أن يصبح أبته في عبقريه مونتسارتي الموسيقي. أن يكون «مونتسارت الثاني». يبدأ إن في صورة يدير أبته في عمره سنوات على العزف على الكمان والبيانو. كان هذا الولد فقيراً سكيراً. كان يعود سكراناً مع أحد أصدقائه في منتصف الليل ليوطفأ، أثناء الطفل كان يعزف لها على البيانو. وعلى عمر الثامنة كان على الصغير أن يتكسب من العزف. وفي عام ١٧٨٧ زار فيينا لينحس ليحضر سدي مونتسارتي. كان عنه مونتسارتي فيما بعد: سوبركول هذا الشاب يصمته على العالم، لكن بيتوهوفن عاد سريعاً إلى بون عندما

عرف أن والده تحته، يرجع ثانية إلى فيينا عام ١٧٩٢، حضر مكالمة حتى آخر عمره. في أوائل عشرينيات عمره، في عام ١٨٠١، اكتشف بيتوهوفن أن سمعه يطف. عليه ذلك، مثلما عذب ما يسمعه من طنين مستمر وصغير. كتب عام ١٨٠٢ رسالة المدينة المقدسة، وقد عثر عليها بعد وفاته. وفيها يفصح بالموسيقى عما لاقاه من عذابات في بدايات صممه. ومع تفاقم حالته، أصبح سريع الغضب والانفعال. فقد معظم أصدقائه المقربين، ولم يبق له منه إلا قلة. لكنه استمر في كتابة الموسيقى. وعلى عام ١٨١٩ كان قد بدأ يسمع تماماً. لم يعد في إسمائه أن يعزف فيينا عزف المهر الصانع، لم يعد يسمح للأفغان إلا في علقه. انزل من الناس، أصبح وحيداً. اتجه إلى الله يبحث من العزف والسكون العروسي. قال «أسألك في السماء». كتب وهو صم سمفونيته التاسعة التي تُوج بها منجزاته الموسيقية.

عندما انتسب العرض الأول لسمفونيته التاسعة هذه (عام ١٨٢٤) انخرجه جمهور المستمعين في تصفيق مجنون. كان بيتوهوفن يصف وظفهم للجمهور. لم يسمح شيئاً. أثارته وأدته من الفرقة الموسيقية ليواجه الجمهور. الحثي شكر. رأى التصفيق، لم يسمعه. سمعته كل شيء، سمعته العالم، وسمعتي السمفونية التاسعة، هذا ما قاله ميكائيل باكوفين M. Bakunin.

في ٢٧ مارس ١٨٢٧، اليوم التالي لوفاته بيتوهوفن، وصل إلى فيينا موسيقى يهودي شاب عمره ١٥ سنة، يدعى فيرديناند هيلر F. Hiller، في صحبة يوهانس هوميل J. Hummel، ليقبها النظرة الأخيرة على بيتوهوفن. كان هيلر قد زار يوم ٢٠ مارس، قبل أسبوع، وسمعه يقول: «إنني أعتقد أن ساشتر قريباً إلى رحلتي إلى السماء، كان عام عاده أصدقاء المُنشقين في ذلك الأيام أن ياخوتوا، تذكروا، خُصلة من شعر هيلر، وكان رأس بيتوهوفن عندما وصل القيد. ربما كان أيضاً صاعداً. كان يناجيه قبال العديد من الأصدقاء. شكّن هيلر من الحصول على خصلة من شعر بيتوهوفن واحتفظ بها حتى ١ مايو ١٨٨٧، عندما أعدها إلى أبته باول Paul، الصحفي، في عهد ميلاده. من اختفت الخصلة من تاريخ موت باول عام ١٨٢٦، حتى ظهرت ثانية عام ١٩٢٢، عندما اتضح أنها قد أهديت كعكافاة إلى الطبيب الألماني كريس أوكزندر فرميج K.A. Femming، الذي ساعد اليهود كثيراً أثناء الحرب العالمية الثانية في تهريبهم بحراً إلى السويد. عندما مات الدكتور فرميج، ألت خصلة الشعر إلى ابنته باتشلي، التي أرسلتها، بمصر ضائقة مالية، إلى سويسرا، في العدد الثاني والسبعون، يناير ٢٠٠٥ م

بعض الأمراض العصبية كالصرع والألزهايمر. ثمة أبحاث عن الصرع بيت مخراً ويوضح أهمية ظاهرة مونتسارتي الاستماع إلى موسيقا K 448 قبل أن الخصائص الإيقاعية لموسيقى مونتسارتي تحاكي الدورات الإيقاعية التي تحدث من الإنسان. قامت شكوك كثيرة حول ظاهرة مونتسارتي، فلقد أعيدت التجربة على أيدي علماء آخرين ولم يتوصلوا إلى نفس النتائج الإيجابية. قالوا إنه إذا ما كانت موسيقى مونتسارتي تحسّن الصحة، فلماذا كان مونتسارتي نفسه كثير المرض. إذا كان الاستماع إلى مونتسارتي يرفع الحالة العامة لا يكون أذكى الناس وأكثرهم روحانية من المتخصصين في مونتسارتي؟

خصلة من شعر بيتوهوفن

في فيينا، عاصمة النمسا، وفي أصيل يوم ٢٦ مارس ١٨٢٧ كانت عاصمة رعدية

لندن، لتباعد هناك بالزاد العلني بيعت الخصلة في ديسمبر سنة ١٩٩٤ بمبلغ ٣١٠٠ جنيهًا أسترلينيًا. اشتراها امرأة من الأمريكيين ينتمون إلى جمعية بيتوهوفن الأمريكية. أصبح ما لبوا في السنين الخمسة الأخيرة يبيع خصللات من شعر الشخصيات التاريخية والعامة، مثل ابراهيم لنكولن، وزوجته ماري، وثابليو. وندري فورد، والفيس برسلي، ومارلين مونرو.

في عام ١٩٩٦ رأت الجمعية الأمريكية أن تقوم بتحليل بعض الشعر من خصلة بيتوهوفن (وهي تضم ٥٨٢ شعرة) لفحصها كيميائياً وراثياً، في محاولة لمعرفة الكثير من الأسرار التي تكتنف حياة بيتوهوفن. ما السبب في موته المبكر نسبياً (٥٧ عاماً) وربما أيضاً لمعرفة شئ عن جينوم فناني عصره. كان بيتوهوفن يزور الطبيب بعد الطبيب بحثاً عن علاج لأعراضه. كان يعاني من سوء التغذية، ومن الأم مرضته في البطن. ومن حدة الطبع، ومن الاكتئاب. كانت ألامه الجسدية هذه تقلقه كثيراً، حتى يكتب لأخويه رسالة قبل وفاته ببضع سنين يقول فيه: «عندما أموت، وإذا كان الدكتور شملت لم يزل حياً، فأسالاه باسمي أن يكتشف مرضي، وأرفقا هذه الوثيقة المكتوبة، بتقريره عن مرضي، فقد يضلحني العالم». على الأقل بعد موته. تحليل الشعر يعطى دلالات مهمة عن حياة صاحبه. ولقد تذكر قصة التحليل الكيميائي لشعر فابليون. خللت من شعر فابليون خصلة أخذت من متحف كيب تاون، وكان قد أهداها إليه فيس من جزيرة سانت هيلانة، حيث حبس فابليون، ليبحث بها ست سنوات إلى أن توفي في ١٥ مايو ١٨٢١ وعمره ٥١ سنة. أثناء تحليل الشعر لمعنا مكتوب McCrone ليبحثون فابليون لم يمت كما قيل من التسمم البطني بالزرنيخ، الذي اتهم أحد معاونيه (الكوك) شارلي من مونتولون أخذت من متحف كيب تاون، وأمره أن يكتشف في طعام الرنء على باطل من الملك فينيس، الدين كانوا يخبون من عودته ليقود ثورة جديدة. ولقد أجرى أيضاً مثل هذا التحليل على شعر الملكة الروسية أنستازيا Anastasia ماتت سنة ١٩٦١، إذ فتح تابوتها عام ١٩٩٦، وحلّل شعرياً، واتضح أنها ماتت مسمومة بالزرنيخ. الشعر يجمع الاسم أكثر من أي جزء آخر من الجسم.

الإجراء الاختبارية الكيميائية والوراثية على خصلة شعر بيتوهوفن، كان من الضروري بذل أي دءه التأكد من أنه نامعل شعر بيتوهوفن! أخذت عينات من عظام جثته وفورنت تتابعها دنا DNA (البيانات) بها بتتبعها دنا السمجات الموجودة بصيلات الشعر. كانت هناك ٨ شعرات تحمل البصمات بالفعل، واتضح أن الشعر لبيتوهوفن.

خلّت شعرات في معمل ماكرو، وست شعرات في معمل أرجون Angome. أعلن ويليام وولش W.A. Walsh، رئيس مشروعه بيتوهوفن الجسد، الانتقال في مؤتمر صحفى صدى يوم ١٧ أكتوبر سنة ٢٠٠٠، أظهرت النتائج أن الشعر الصلياني كانت جميعاً تحمل مستوى عالياً للغاية من الرصاص، يبلغ في الحق نحو مائة ضعف التركيز المعروف في شعر الأفراد الطبيعيين. ربما كان التسمم بالرصاص هو السبب في مرضه. وسلوكه. لقد عرفنا الآن السبب في مرضه الزمن، والذي طلب هو يوماً من طبيب أن يكشفه. إن تكن قد تأخرنا نحو قرنين من الزمن.

لم يظهر بالشعر أثر من الزنيق. كان مرضى الزهري في تلك الزمان يماجون بمرئيات الزنيق. الرجل لم يصب بالزهري بالفعل كما يقول كل دارسيه، ولم يظهر



أيضاً أن بيتوهوفن كان يتعاطى أية مسكنات، كالأفيون، يخفف بها ألامه في الفترة الطويلة التي قضاها على سرير الموت. إن كان الرجل على ما يبدو قد قرر أن يحفظ معه صاهيا للموسيقى. ألم يكن يفكر في سيمفونيته العاشرة؟ حدد تحليل الدنا جنداً كبيراً من التركيب الوراثي لبيتوهوفن، وستأخذ البيانات للبحث في قضية التميز الوراثي للعبارة. إن كان ثمة تميز، ولتبحث في أمر إصابة بيتوهوفن بالرصاص، وهل كان هذا صعباً وراثياً، فقد غدا أمر معروف.

بيتوهوفن؟ إذا تجسبت الموسيقى كانت هذا الرجل، قاسى كثيراً في حياته. في حياته على ما يبدو، كان الصمم. لكن ابتصره على تميزه، فترتب على التأليف الموسيقى بعد أن فقد سمعه، كان معجزة من معجزات الفنان. كان ثمة أكبر من ألامه. أكان ثمة في حياته؟ أم هل قد فتحت ألامه زلزاله عبقريته الموسيقية؟ كل ما نعرفه هو أنه ذات يوم حزين وأعب، انفلت

من جسده وألامه، من وراثته ومن بيته، وأحمل معه سيمفونيته العاشرة بعيداً إلى عالم الأرقام الأرحب.



كتب أحد العلماء يوماً من الموسيقى، فقال إنها، مثل غيرها من ضروب الفن بلا فائدة. إذا استغنى الإنسان عنها فقل موت. التذكر يوماً سالتني فيه عن مهني الحب، فأجبت: لا معنى للحب، لا معنى. أنزاني هنا أود لو أقول: لا معنى للموسيقى، للموسيقى هي المعنى؟

العبقرية والوراثة

إذا سلّكت، لو أن بيتوهوفن كان قد تزوج وأنجب، فهل تتوقع أن يكون ابنه

عبقرياً في الموسيقى مثله؟، فالأغلب أن ستكون إجاباتك بالنفي. لماذا؟ خيّرناك الحياتية وقراءاتك ستقول إن هذا مستبعد. بل سمعت عن شكسبير أكبر غير ويليام شكسبير؟ العبقرية؟ العبقرية، البشري كانت دائماً مشكلة صعبة التفهم، هناك من يعزوها إلى البيئة والوضع الاقتصادي الذي ينشأ فيه المصنف. وهناك السلوكيون المتطرفون، وكان منهم من قال: أعطني عشرة أطفال أصحاء، وأعطني ما أطلبه من إمكانيات لتربيتهم، وسأضمن أن المتطرفون، وكان منهم من قال: أعطني عشرة أطفال أصحاء، وأعطني ما أطلبه من إمكانيات لتربيتهم، وسأضمن أن أنتقى عشوائي أي طفل منهم وأدربه لمعجم ما أطلبه، محامي، فنانا، تاجراً، بل وحتى شحاذاً أو لصاً، بغض النظر عن عواطفه أو ميوله أو قدراته أو كفاءته أو سلوك أسلافه. الأمر كله أمر بيده هناك من يرى أن العبقرية ليست سوى نتيجة التركيز المفرط في العمل. كان داروين يقول إن كل كائن، باستثناء البهائم، لا يختلفون كثيراً في الذكاء وإنما في الحماس والعمل الجاد. ولما سئل نيون كيف توصّل إلى اكتشافاته

المذهلة أجاب: «إنني أصغ الموضوع أمامي طول الوقت (وأفكر فيه) وانتظر حتى تتكشف الصورة أمامي قليلاً ... قليلاً، الممارسة الجادة المتعمدة، لا الفرق في القدرة الموروثة، هي التي تميز هذا الفرد عن ذلك. هناك الرواية التي يحكيها عالم الرياضيات هاردي عن زيارة قام بها للرياضيات رامانوجان Ramanujan، إذ وصل إليه بالأكس متشاملاً لأن رقم التاكسي كان ١٧٢٩، فإذا برامانوجان يقول إن هذا رقم عجيب وفريد لأنه أصغر رقم ينتج عن حاصل جمع مكعبين، وطريقتين. (أجهد نفسي حتى عرفت الحل، هذا الرقم هو حاصل جمع مكعب الرقم ١، زائداً مكعب الرقم ١٢، وهو أيضاً حاصل جمع مكعب الرقم ٩ + مكعب الرقم ١٠). كيف توصّل الرجل إلى هذا؟ لأنه كان يفكر دوماً في الأرقام؟

لكن هناك حكاية أخرى من طلع اسمها كارل فريدريخ جاوس C.F. Gauss، في عمر ١٠ سنوات كان في صفه بالمدرسة، وكان مدرس الفصل قد تغيب، فدخل آخر، كان فيه هو إسكان التلاميذ، طلب منهم أن يجمعوا الأرقام من ١ حتى ١٠٠، هذا سيسببهم حتى نهاية الحصنة. بعد دقيقة لاحظ أن جاوس قد جلس صامتاً، فسأله كم حاصل الجمع؟ أجاب الطفل ٥٠٥٠. الإجابة صحيحة! كيف توصّل إليها هذا الطفل؟ الإجابة: (١٠٠٠) = (٩٩٩) + ١ = (٨١٠٠) + ١ = هناك خمن عملية جمع كهذه، فحاصل الجمع هو ٥٠٥٠ + ١ = ٥٠٥١ كم من الأطفال لا يرى يمكنه أن يفكر هكذا؟ إنه «فلة»، «عبقرى»، والأشك، دون تفكير في المشكلة طويل مبيع مركز استطاع أن يحلها.

العبقرية، إذا أمكن تعريضها لآب أن تكون صفة كمية يؤثر فيها عدد كبير من الجينات، تنتج عن توليد من الجينات تتفاعل مع بعضها بعضاً (ومع البيئة). حدوث هذه التوليفة أمر بالغ الندرة، فإذا وقعت فإنها لا توثق لتعني المفعول، بل الفرض لا يوثق لتركيبي الوراثي، إنما يوثق لنصفه فقط، فكل التوليفة الوراثية لتجسّد النسل على بنية مادته الوراثية من الوالد الآخر. حال شعر بيتوهوفن، نعم، وضجنت بدقة في خلاياه بقايا مادته الوراثية الموروثة، لكنها أبداً لن تتكمن من السر الوراثي لمعيرته، هذا إن لم نحال، حتى لو عرفنا التشريح الجزيئي لجينومه كاملاً، فكيف لنا أن نعرف الجينات الخاصة بالعبقرية التي تتشكل لتوليفته المتشيرة؟ وأنى لنا أن نعرف العوامل البيئية التي تفاعلت معها؟ العبقرية سر أكبر منّا. ■

مفهوم التبرعات المبرية

محمد فؤاد الزاكري

❦ يسكن في جبل عاتش في بني سعيد . كان حبيب التحار واللسفر وفي إحدى رحلاته فاجأته عاصفة للبحج شديدة ، اختفى بعدها ولم يثر له على اذ وبش ، ولما وجدوا متابعاً خطى والده وهافة في التحار ، واثت لاية كان يرتاح بجانب صخرة وهشت لما رأوا فقد احس بالخطر إلى المارة ، فكن عينيه اكثر من مرة وادام النظر ، كان ينظر إلى نفسه ، إلى صورته الشخصية مطروحة تحت الثلج وارك اخيراً ، كان ينظر إلى جثة والده المفقود والتي حفظها الثلج جيداً من أي فساد ، وفي وضعيتها التي توقف عندها الزمن ، ما عد ان ذلك كان يحفظ بشضارة الشيايب ، الا ان ذلك ظهرت عليه امارات الهرم ، وللمرة الاولى اصبح الوالد اصغر من ابنه .

تشهد الساحة الثقافية في الوقت الحاضر نهضة تراثية علمية إن صح التعبير، تتمثل في الإقبال على تحقيق ونشر كتب التراث كما تتمتع بنسبة معقولة من القراء.

ونشأنا جميعاً بما يشوبه هذه المعلومات التزيانية والتي لم تكف عن قنابها إلا لتفيلنا من معلومات ومعييات مهمة لا تغير نظرتنا لكثير من الأمور؛ فالتاريخ العلمي العربي على حد حقيقته في خزائن الكتب وفي بطون المجلدات والأوراق تدعى على حالته الأولى كما ذكره أصحابه، وسنرى نحن أبناء هورثنا هذا التاريخ الجديد على الألبان والأرددة كانوا أنضر شرباً وحبوة وأكثر دقة على الاستنباط والحوارة وأكثر تسامحاً وبؤفة وكل ما هو مطلوب من أبناء العصر الحالي: أن نحسن (أعني) أن نعلمه.

الثراث الملطى العربى، حىال أوجه، هذ حقيقة لا ريب فيها، ويذكر الجميع أن بداية إصرارنا التراتى التراتى من مشفرة ليست متوطنة، كثر النقاش حول هذا الاتجاه الجديد الذى لم يسبق التعرف إليه على صعيد عامة التراء التى كانت تزود بمعلومات بسيطة كذا... وهم أول من فعل كذا... إلى آخره بدون الدخول فى تفاصيل مهمة ومفيدة.

إن البدايات البزرى البعض بتأثير من دوافع إيديولوجية مبسطة وبمقصر نظر تاريخى محض لها معة الترات الملطى (علم العربى) بأنه إزى لثقات، وبأن هذه الأعمال التراتية تصلح لعرضها فى المتاحف فقط، أو من باب الترف المكرى. وحاول البعض أن يلتزم بموقف موضوعى متوازن بأن يؤخذ من التراث

العلمي الأشياء (الجيدة المفيدة) وينبذ ما
عدا ذلك، بحسب المعايير المعاصرة
الأحكام المسبقة.

وليد من القول إن التراث العلمي العربي يمثل تاريخ الفلسفة، وتاريخ العلوم، والتطورات التي مر بها الفكر العربي على مدى العصور الوسطى أو ما قبلها. ولعل من الزمن الحاضر، ومستمات دراسة تاريخ العلم والحضارة شيئاً قابلاً للمساومة. إن هؤلاء الأفراد يتطلعون، من التعمية الانتماء (الفردي للمجموع حسب تعبير أستاذنا (رضي الله عنه)، فهم انتماءوا عن هذه العقيدة، ويتبنون كل نظرية ويؤيدونها، وهو من حيث التجربة والتطبيق وبداية القرن السابع عشر، والعلم العربي هو خزان حفظت فيه العلوم اليونانية القديمة (الهنسية).

والواقع غير ذلك، فالعلم العربي هو
(عالمى) بمصادره ومنابعه وطوره
واسماداته، غير بطريقه كما فرامه على
الإنتاج العلمى القديم (فلك، رياضيات،
هندسة، جغرافيا - ملاحة - زراعه -
خلافه) الا ان العلم الذى كانوا يكتسبون
بفهمهم الا (اسرىانى - اسرىانى) -
سنسكرونى) كانوا يقومون به بأنفسهم
وتكليف غيرهم ذلك من مؤلفاتهم إلى
العوميه، انى أصبحت هذه العلم بدءا من
القرن التاسع الميلادى واخذت تبنى
فلم تعد لها التعقيب عند العرب بل لعده
فصوي، بل لظرف ثقلها (واحد مئيه)
بل لفة كل العرف، انى يقم (ابن سينا)
البحرن الأصل بكتابه مؤلفاته العظيمه
بالغة العربيه وكذلك فع (الرازي)
الأصل وهكذا من العالم العربى

طرقاً جديدة، وامتد إلى حقول علمية جديدة ومكن من التقاء وتزاوج تيارات علمية مستقلة في ذلك الحين.

وكيف يحسن فهم واستيعاب تطور العلوم الحديثة إذ غاب عن بالنا العلم العربي ورواد الجبال التي لعبه، لقد استعاضنا هؤلاء من الهند والصين إلى اليونان وأضافوه إلى إرث البابلي ومصر وخطاكية وبلاد بابل وترجموه وطوروا واستخرجوا بعض أخصى معلوم علم العالم على امتداد سبعة قرون ولهم عهد العالمة وعناية الباحت التراسي من جملة ما يعاينه الحصول على صور المخطوطات القديمة القيمة للتحقيق والدراسة، فاستقر العرب دونه أفراد من مختلف أصناف العالم من بخاري ومسلم وقبطي والأندلسي وبيدند واليهودي والمغربي، جموعاً صائرة تفرهم وتناجح فيحرفتهم على الورق وشأت الظروف أن تنتقل إلى الأرواق والمخطوطات على رحلة العلم الطويلة إلى أماكن أخرى وتكتسب فيها وتجتعب فيها ما ولعن له مثل أوروبا وأمريكا وبلاد أخرى. وبقيت مشكلة الحصول على صور أولئك من هذه المخطوطات فيض العمل يعتبر أن ذلك محطاً كنز قومي، إلى درجة أنه لا حظ لها مما كان عليه صنعة المخطوطات على الإطلاق عليها، وهذا بل المشكلة كيف يمكن أن تقدم تراثنا للعالم إذ لم تكتسب لها مهمة، بل قد حصل على صور المخطوطات من تقص من قيمتها بعض الخطوط الأصلية شيئاً بل على العكس ينحط العمار والنسيان عنه ويهدد إليه برقة القديم ويؤذي من قيمته الخالية

كما أن هذه المخطوطات العلمية بما تحويه من معلومات ومعطيات، هي إرث إنساني عظيم، ومنها أسلافنا لكل الناس وتنتفع منها البشرية قاطبة ولا تدخل أبداً في نطاق المعلومات السريّة أو المحظورة ولا يحق لأي جهة مهما كانت مؤسسة أم أفراد، أن تحجبها عن الاطلاع والدولة حتى لو كانت مالكة للنسخة الأصلية. إن هذا الفعل يقع تحت نطاق المجاسرة والمساءلة الجارية.

وفي المجال يجب الاعتراف بالجهود
بعض المؤسسات الثقافية العربية تبذلها
الأمر أمام الباحثين وعلى رأسها،
معهد التراث العربي الذي يحرص عليه
الشيخ فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
بإبوظبي، مركز جمعة الماجد، دبي،
وعبرها. على أن تزداد البحوث المتكثرة
منها يحتاجه من المخطوطات النادرة
لديها، ولكن هناك الكثير من المخطوطات
القديمة في كتابت العام مازالت حبيسة
فيها، فبطبيعة الحال تحتاجها إلى
الباحثين لهذه، على أن لا يتحقق
مشروع على أن تقوم به منظمة (أورسكي)
أعبرها بشرى ضروري للمخطوطات التي
بالتك تبصير جميع الباحثين
ومصادف الأبحاث في جملة متابعه
أفراد يشغلون مراكز حساسة في مؤسسات
التراث العربية، وقد تبصيرهم بأمور
للتراث ولكن على وجه إلى ما يعانون
فيصنعه، وقد ذلك لهم الكلمة الفصل في
الأصو السريالية إلى الصبغة الأدبائية
وتواوحد في متابعهم بعد فاعل وضع
أن تطلق عليهم (مصنف للثقافة والتراث)

Antiquity & Heritage

ويضطر الباحث للتعايش معهم بحكم تواجدهم في مناصبهم السياسية وعرفاً أن يكونوا عوناً لثأرهم وسامعين له. إنهم يخشون العجايب والأصاويل مرتلة مسيرة الباحث وتوضع الصعي في الحالات بل لا يتوقعون من الضيق والإنذار، بل هم صامدون لعناني المتعلمين ذلك، إنه إدارة الحياة بعيشها بعض المؤسسات الثقافية في الوقت الحاضر، فقد أعطى أسلافنا وهدموا لإنجازاً تاريخياً عملياً لا يفهمه بعض، وقد يتفقدوا المكاسب والأرباح المادية كما يعمل البعض، إن البحث التاريخي الأرشيفي العلمي وتبادل المعلومات والمعارف كما يتطلب المجهود وبمعايرة أخرى التخصصية في سبيل رسالة الباحث بقدميتها وشروعيتها.

إن هؤلاء الباحثين مشغولهم المادية، أثناء الحضر العملية التاريخية



يصادف الباحث في جملة متاعبه أفراداً يشغلون مراكز حساسة في مؤسسات تراثية عريقة، وهم بطبيعتهم معادون للتراث ولكل شيء يمت إليه ولا يؤمنون بقضيته ومع ذلك لهم الكلمة الفصل في الأمور التراثية ذات الصبغة الإدارية وتواجدوا في مناصبهم بفعل فاعل ويصح أن نطلق عليهم (مضاد للثقافة والتراث)



وشموليته، ويمقدار ما تمكن من استكشافه، تكون الفرصة متاحة للوصول إلى رؤية أكثر صواباً. وبالتالي نحن مطالبون بالبحث في كل ذلك الكم الضخم من المصادر الموروثة والمراجع والمخطوطات باحثين عن أوجه النشاط العلمي العربي، وإن تكون جزءاً من محاولة اكتشاف كيف كان يشكر (السابق) وطريقة تفكيره ومهنيته، ومن ثم الانطلاق نحو رحاب بعض حتى نصل إلى نتائج محددة، ولكن أوسع الباحثين كما نصادفهم يتراجعون بين تيار وآخر بدون هدف، كحباب ليل يحمل كل ما يصادفه ويتخبط بين شجرة وشجيرة، وبما يعكس بلاء صورة عن تبديد جهود مضنية لتبيان من الباحثين، لاجراء انطلاقهم في تبش التراث العربي عبره والخرج بنتائج تعموها الموضوعية والنقطة العلمية، من مواقع زلزال الفعل الموجه،

أما إلى الأخر المتجسسي على الحضارة العربية أو إلى التشكك في أصالة التراث العلمي العربي، مستعدين أنهم بذلك يسدون خدمة جليلة لعروبته، وما هم فاعلون. إذ ليس في الحضارة العربية الإسلامية ولا في العرب والعلمين، البحث التراثي على أسس متناقضة معادها البحث الإنجاز العلمي من مبادئه، والتاريخ من أسلافه، والخلط بينهما.

إن التراث العلمي العربي يمكن أن يماهم إلى حد كبير في (حوار الحضارات) بين الشرق والغرب، ويبدو دواء في تريب وهيات النظر المختلطة والمتناقضة، فهو صفة احتكاك وتلاقي ثقافات وحضارات عدة استطاع أجدادنا إيجاد صياغتها وانغامها فأصبحت نسخاً متداولة ليس مقطوع الجنون، ولكنه ترنة حضاري مهم ومتشعب لا يستغني عنه في مسيرة الحضارة والادبية عبر التاريخ.

قال تعالى: **وَلَقَدْ أَنشَأْنَا لَكُمْ فَسْخًا** ومن كثر فإن الله شئ حميد، (سورة لقمان: ١٢).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. ■

المصادر والمراجع

١. تاريخ الجغرافيا العربي - الفناطيس عثمان كوكبيكي، نقله عن الروسية صلاح الدين كرامت مامم ببيت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٨٠/١٩٨١ م
٢. موسوعة تاريخ العلوم العربية - إشراف رشدي راشد، بيروت مركز دراسات العربية ١٩٩٥ م

الشمالية وساحل أفريقيا الشرقي وتركوا وصفاً مفصلاً لجميع البلدان من إسبانيا غرباً ومصب السند شرقاً مع وصف دقيق للأماكن المزروعة وأماكن وجود المعادن وجذب اهتمامهم الجغرافيا الطبيعية والحياتة الاجتماعية والصناعات والزراعة واللغة والتعاليم الدينية، ولم تقتصر معرفتهم على بلاد الإسلام وحدها بل تجاوزت بصورة ملحوظة حدود العالم كما عرفه اليونان، ولكم يوكد المستشرق الروسي كراتشوفسكي بأن البحث العلمي أثبت أهمية المعلومات التي جمعوها حتى من بلاد نائية مثل أرخبيل الملايو وجنوب أوروا.



إن البحث التراثي يتطلب نظرة إنسانية شاملة تلمس الجميع ولا تترفع عنهم والطلوب أن تتعلم وتختبر من أخطاء وهفوات السابقين وليس من الضروري أن نبني (حاجتنا) وإنناقص ونسفيه جهود السابقين، وعدم وجود أسماء علمية متخصصة في تاريخ العلوم وفلسفتها في المراحل الجامعية الأولى في مختلف الجامعات العربية أدى إلى حالة ضبابية عربية في التراث مدى وأهمية التراث العربي، وغنى عن البيان أن الحصول على شهادة جامعية علمية متخصصة في أحد الفروع العلمية على اختلافها لا تؤول حاملها للتحصيل الصحيح مع التراث وقضايا المتشعبة، فالأمر يتطلب وعياً قرائياً فكرياً تراكمياً لا يمكن إزائه من خلال الحصول على صور تذكارية وتبادل الأحاديث الجانبية في الندوات والمؤتمرات.

إن الإشكالية الحقيقية تتعلق بجملة قضايا متعمرة أبرزها: مفهوم التراث العلمي العربي والمواضيع والحقول المعرفية التي يغطيها وتعرض لها، والمنهجية العلمية الصحيحة في البحث التراثي، أو التوازن الدقيق بين باحثيها في الألفية الثالثة وحاول استكشاف عقول مجموعة من الأفراد أصدوا عن أوقات بعيدة مختلفة وكشف علومهم والكأبرهم بموضوعة وسعاد، ولأبد من التصريح بأن الباحث التراثي، قد لا يتنبأ أو يبالغ عن بعض الآراء والمواضيع التي يتناولها، ولكن الوصول للحقيقة يقتضي العرض الحايث التوازن والتكامل.

ومن أكبر الصعوبات التي تواجهنا، أمام التراث العلمي العربي بعموميته

عربية، ويعتقدون أنها نقطة الانطلاق الأساسية في كل الميادين وهم بذلك يريدون إثبات الفضل لجيش نابليون في بداية (عصر علمي جديد) بدأ في أوائل القرن الثامن عشر يعبر عنه (بانهضة العربية) بدأ والتشرق من مصر إلى باقي البلاد العربية، ويشكل خاص في بلاد الشام التي كانت تصنف ضمن هذا الاتجاه بعيدة عن كل تماس علمي مع الغرب وتأسيساً على ما ورد، اعتبر أن تأسيس المدرسة العلمية في (أبي زعبل) عام ١٨٢٧ بإشراف فرنسي (كلوت بلك) هو بداية علمي عربي جديد وإن أول كتاب علمي هو كتاب (أقول الصريح في علم التشريح) تأليف الفرنسي (بابيل) وترجمة (يوحنا عنخوري) (الطبيب) في بوليا ١٨٢٣، ولكن الأبحاث الحديثة بدأت تكشف بعض النواقص في هذا الشأن وأظهرت أن الطبيب الصيني (صالح بن السلمان) المتوفى عام ١٢٧٠ م سبق تلك الترجمات بفترة طويلة إذ قام في النصف الأول من القرن السابع الميلادي بدراسة وتلخيص وترجمة معظم أفكار أحد أعلام مؤسسي النهضة الأوروبية وهو (إراسموس) التوفى ١٥١٦ م عن طريق كتابه (الطب الكيمياء الجديد) (والكيمياء الكليكية) وهكذا كان لأن السلوم الحلبي الأساسية في نقل التيارات والنظريات الطبية التي برزت منذ القرن السادس عشر للميلاد إلى العلم العربية في مؤلفاته، وكان واسع الاطلاع على تلك التيارات الطبية الجديدة بالإضافة إلى معرفته بنظريات الطب التقليدي.

هذه الدراسات الموقفة ولعمرة تظهر بشكل عفوي غير منظم، ولكنها تساهم في تغيير كثير من المفاهيم والنظريات التي نستعمل ونتميز بها وبزدها ونستعيرها من المصطلحات والبيهيات ولكن ذلك لا يكفي فكيف يساهم التراث العلمي العربي في (إعادة كتابة التاريخ) هذه الدعوة القديمة الجديدة التي يتبنى الجميع تحقيقها بدون أن تصدى لها أحد. أدرك أنكت أجدادنا بأن العلوم ليست مقصورة على حصاره دون سواها أو شعب دون آخر أو أمة دون أخرى، وعرفوا حقيقة غالية بأن توالي الزمن جدد بجمال نظور التراكيب العلمي مع مرارة التطور المعرفي والأدوات العلمية المتوفرة في كل زمن، كذلك عرف العرب والعلماء العرب القادسي أوروا باجمعها وتكتوا منها باستثناء أقدم شاملياً يعرفوا النصف الجنوبي من آسيا، كما عرفوا أفريقيا

وحصر كاتب في مدينة (سائلجند) في شقة وحيداً معزولاً، تحت وابل الخناقص والقتال، كان يتوقع الموت في كل لحظة، ولم يكن يوجد لديه سوى كمية كبيرة من التبغ، بدون الورق الخاص المطلوب للنف التبيغ وتدخينه، وفشش طويلاً، ولكن لم يكن لديه سوى ورق كتابي المخطوط الذي أتى ويحصل حصيلة جهد سنوات من عصره، وهو النسخة الوحيدة لديه وحار في أمره... إذا كان لايد من الموت القريب فما هو الأفضل بالنسبة له تدخين السجائر أم تركه للكتاب بل يمد، وهكذا بدأ بالتدخين مستخدماً ورق كتابي المخطوط حتى أنهاه كله.

هذه المروعة القاتلة عبر عنها (أبي على البصير) الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، فقد كان والفا بباب الجوسق، وكانت الموكاب ترم أمامه فيسأل أصحابها فيقال: هذا فلان التركي، وهذا فلان الخزري، وهذا فلان الفرجاني، وهذا فلان الدليمي، ولا يذكر له أحد من العرب والكوريين ولا من أبناء المهاجرين العرب، لأنهم يقول: يا بني النعمة، أصبروا لهم كما أصبروا لكم.

مشاكل تراثية

وفي منحى آخر يتعلق بالفجوات العلمية والقراءة الخاطئة، يبرز تساؤل يشكل تحدياً حقيقياً يتعلق بالتواصل الجديد للحقول المعرفية في التراث العربي، فقد خرج المؤرخون على تقسيم فترات التاريخ العربي لأدوار ضف ووقت، متناوية ومتكررة.

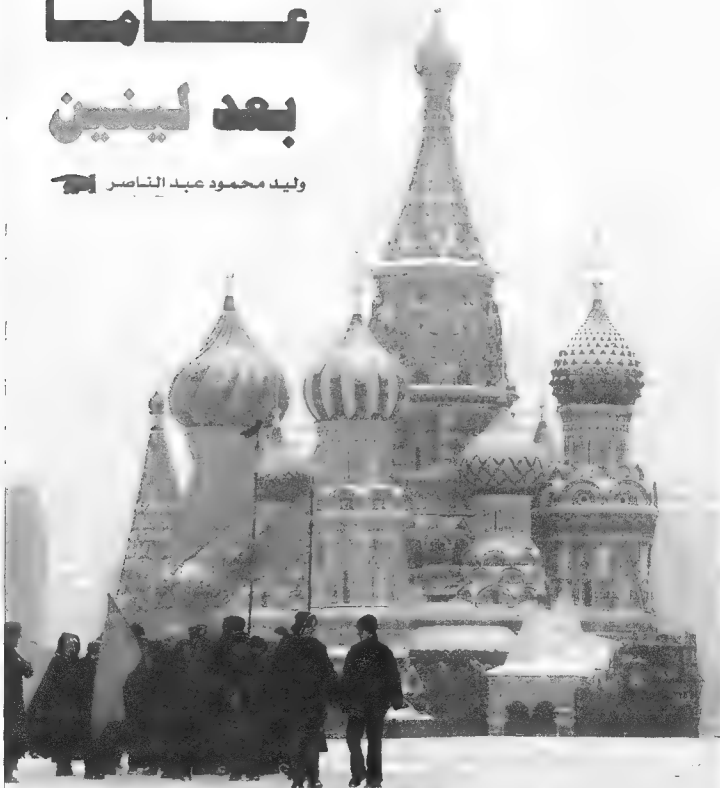
وإدب مجهره من الباحثين على تقييم المؤلفات والصادر التراثية بحسب منه الترتيب الزمني المصطنع الذي تثار حوته أكثر من علامة استفهام، فوصف بعض الفترات التاريخية بالضعف العلمي لا يتسم بالدفقة أبداً، فالأحكام تتلظى جزأها (استعداد) على ماوى بعض المستشرقين أو كدوافع سطحية ضيقة مجال الرؤية فيها خطن متوازيان محددان ليس إلا، وإسقاط معاصر خاطئ لواقع قديم شئ، أن أي فترة تاريخية في تراثنا العلمي، تتعلق بنا وتواشينا، يجب أن تتردد في دماغنا بشكل موضوعي ولسنسترجع منها الأحكام والاصدار المطلوبة بدلاً من القفز إلى اصدار الأحكام المسبقة. هللى سبيل المثال يعتبر البعض أن طلفات المدافع الفرنسية أواخر القرن الثامن عشر كانت بمثابة دافع لخطئة



ثمانون عاماً بعد لينين

وليد محمود عبد الناصر

رسم روسي يقوم بتعدد جدارية ضخمة
تصور وجه لينين
وهي ذكرى الثورة البلشفية. عدة
آلاف من الروس يخرجون في مسيرة
بالأعلام الحمراء عبر الميدان الأحمر
في الطريق إلى مروج لينين.





دخان صفوف الحزب بحجة وجود حالة الحرب الأهلية. وفي نفس المؤتمر الثامن للحزب عام ١٩١٩، عبر ممثلو المعارضة عن رفض استبدال إدارات سياسية ذات طابع بيروقراطي بالجانجان المحلية للحزب، باعتباره ذلك يستهدف السيطرة على الطبقة العاملة بدلاً من توفير قنوات المشاركة السياسية وتصعيد آراء القواعد والرأي العام على مستويات المصنع والمزرعة والحق إلى القيادة. ورأى ممثلو المعارضة، وبسبب للدعاية السياسية من أعلى إلى أسفل دون ضمان ردود فعل من أسفل إلى أعلى.

وفي المؤتمر التاسع للحزب عام ١٩٢٠، واصل «الديمقراطيون المركزيون» والمعارضة العمالية، انتقادهما ضد النظام، حيث هاجم الفصيلان البيروقراطية المركزية وسلطة الصرد سواء على مستوى التنظيم السياسي أو إدارة الشروعات الصناعية. وبدلاً من ذلك، دافعوا إلى سلطة جماعية في الحزب وفي المؤسسات الصناعية. وفي ضوء التمثيل القوي للمعارضة في مؤتمر الحزب، قرر الفصيل تشكيل «جان سيطرة» للدفاع عن المصالح الأيديولوجية والطبقية للقواعد في مواجهة هذه المؤسسات. إلا أن بحلول عام ١٩٢٢، قدرت المعارضة أن النزعة البيروقراطية تتصاعد داخل الحزب، وجمعت بيروقراطية الحزب مسؤولية اندلاع شرذمة «كونشاد» في مارس ١٩٢١، وهو أول شرذمة بلشفيكية ضد السلطة يأتي من خارج الحزب.

وجاء المؤتمر العاشر للحزب في مارس ١٩٢١، حيث عكست مناقشاته وقراراته التناقض غير المحسوس والتوازن النسبي بين المعارضة واللينينيين. ففي ذلك المؤتمر، تم تبني قرارين متناقضين، الأول حول الحزب من سلطة معاقبة أو طرد أول فصيل أو فرد من أعضائه من الحزب، وذلك في ضربة موجبة لفصائل المعارضة ومعابقتها بالديمقراطية، أما القرار الثاني فحضر إلى الديمقراطية العمالية وحث على ضمان مشاركة العمال الفعالة في أنشطة الحزب وعصبي صنع القرار به، وطالب أيضاً بانتخاب المسؤولين الحزبيين وبحرية النقش داخل الحزب على حدود الديمقراطية المركزية. وفي نوفمبر من العام نفسه، وفي إطار التحضير لمؤتمر الحزب في موسكو تحت فصائل «المعارضة العمالية» والديمقراطيين المركزيين، ومجموعة «جيتانوف» اليسارية في

عقب نجاح الثورة البلشفية، أى في مطلع عام ١٩١٨، فإن المعارضة، العمالية، والديمقراطيين المركزيين، انتقدوا تزايد النزعات السلطوية والبيروقراطية في الحزب الشيوعي، وهو ما تم تبريره حينذاك بظروف الحرب العالمية الأولى

بلشفيًا آخر هو الأتروفيست (المضاد) تشكل إطراره التنظيمي بشكل عفوى في صفوف الطبقة العاملة وقام بعملية تنقيف سياسي للعمال. وقد هاجمت تلك الفصائل في عامي ١٩٠٩ و ١٩١٠، ما أسمنه بجهود لينين لتقوية هيمنته الفردية على الحركة الثورية. كما انتقدت أوجه القصور في أسلوب قيادته للحركة البلشفية مما أدى -حسب وجهة نظره- إلى إجهاد فجوة بين القيادة والجماهير. إلا أن تلك الفصائل التي راهنت على «ثورية» الجماهير، أمنت بضرورة إقامة حزب وطني من المثقفين والمحترفين الثوريين ليوجه ضربة للظلم

القائم بما يشجع الجماهير على بدء انتفاضتها التي ستأخذ بديمقراطية الشعب الإحتكورية. وعقب نجاح الثورة البلشفية، أى في مطلع عام ١٩١٨، فإن المعارضة العمالية، والديمقراطيين المركزيين، انتقدوا تزايد النزعات السلطوية والبيروقراطية في الحزب الشيوعي، وهو ما تم تبريره حينذاك بظروف الحرب العالمية الأولى. وخلال المؤتمر الثامن للحزب في مارس ١٩١٩، تم تأسيس الكتبت السياسية الحزبية، وهو ما شكل علامة على النزعة اللينينية تزيد من المركزية. وقد ردت المعارضة على ذلك باقتراح زيادة التمثيل العمالي في اللجنة المركزية للحزب وتوسع عضوية تلك اللجنة لضمان الديمقراطية ومجابهة النزعات البيروقراطية في المستويات العليا للحزب. وكان يتم حينذاك تبرير المركزية المتزايدة وقمع الممارسات الديمقراطية

الثورة البلشفية عام ١٩١٧ وحتى وفاة لينين عقب ذلك بسبع سنوات. ولئن كانت الضربات التي لحقت بهذه الحالة التعددية قد بدأت في حياة لينين، فإن الضربة القاضية لها جاءت بلا شك على يد ستالين وخلال فترة حكمه. فالكتاب بعد يعد أحد أهم الكتب التي تحدثت منذ تاريخ مبكر عن التعددية التي كانت موجودة خلال الفترة الأولى من تنظيم وإطلاق ثم حكم ثورة أكتوبر ١٩١٧ البلشفية في روسيا، خاصة تلك القوى والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي كانت لها روى ثقاف داخل مرعب الثورة. وقد أكد أهمية هذا الكتاب، بالإضافة إلى الدراسات والكتب التي صدرت مؤخرًا في الغرب أساساً، القليل من الكتب التي صدرت في عالمنا العربى ومنها كتاب الأستاذ جمال البنا «المعارضة العمالية».

وقد تناول المؤلف أولاً مسألة مركزية، ألا وهي الديمقراطية. ففي عام ١٩١٠، أى بعد أربع سنوات من قبول البلشفيك كفصيل معصم في حزب العمال الديمقراطي الاجتماعي الروسي، فإن أحد فصائل البلشفيين، وهم الفيدراليون (الفيدراليون)، طالبوا بالتعبير الديمقراطي عن آراء القواعد الشعبية والسماح لكل الفصائل بالتعبير عن مواقفها داخل حدود الموقف البلشفيكي المعصم. كذلك، فإن فصيلًا

لم يكن من المستغرب أن تصدر عشرات الكتب في ذكرى مرور ثمانين عاماً على وفاة الزعيم والفيلسوف السوفيتي الراحل فلاديمير لينين، أوليانوف الشهير باسم لينين. فلم يكن لينين مجرد رئيس دولة من الطراز العادى بل كان قائد ثورة ومؤسس دولة زالت من الوجود عقب وفاته بحوالى سبعة عقود، ولكن بعد أن تركت بصماتها على التاريخ الإنسانى وبعد أن أثرت في مسار العالم بأسره وقدمت طرحةً أيديولوجيةً مفاهيمًا لما كان سائدًا من قبله، قد تختلف معه أو تتفق، ولكنه بالتأكيد أضاف أبعاداً فكرية وتجارب عميقة أثرت في نهاية الأمر مسيرة البشرية في القرن العشرين وما بعده. إلا أنه مما لفت نظري في العديد من هذه الكتب أنها سمعت للجنرال بقدر لا بأس به من الموضوعية والتزهد عن التحيز والتجرب العلمى والحياد التاريخى لأحداث جرت في الاتحاد السوفيتى السابق، خاصة في مرحلته التأسيسية الأولى. وفي هذا السياق، ظهرت العديد من التقييمات المنحازة في بعض هذه الكتب عن هذه الأحداث مما ساعد كتابها على إلباسه من المنهج الانتقالي والاستفادة من مصادر كانت تعتبر إلى عهد قريب من الغرب عن المحظورات وتعرضت للارباب بالانحياز للماركسية أو الترويج للشيوعية. ومن هذه المصادر التي اعتمدت عليها هذه الكتب ذات الطابع الموضوعى كان كتاب ROBERT VINCENT DANIELS المفسر -مضمبر- للثورة، THE CONSCIENCE OF THE REVOLUTION الصادر أصلاً في طبعته الأولى عام ١٩٦٠، وذلك في أعقاب انتهاء حكم ستالين بسنوات قليلة، ومستفيداً من معلومات ورتت في شهادته خرجت من الاتحاد السوفيتى السابق عن فترة حكم لينين وستالين بعد وفاة الأخير عام ١٩٥٣. وانصف الكتاب بالتالى بنقل هذه الشهادات كمصادر أولية، وساعد على التزامه الموضوعية كانت الأوجه العامة في ذلك الكتاب، وأكثر افتتاحاً على الاتحاد السوفيتى عما قبل وأكثر تشالاً بقدم خريفاتق والأجل في الغرب بقباهه بإحداث اشتباك سياسى واقتصادى وثقافى في الاتحاد السوفيتى السابق. وقد صدرت طبعات لاحقة من الكتاب، إلا أن ما يعيننا هنا هو تناول الكتاب لحالة التعددية الفكرية والسياسية - داخل الإحزاب الماركسية - التي سادت روسيا في ذلك الوقت المبكر للثورة، وتحميداً منذ انتصار



الجماعية أو الفردية، ويبدأ نفس المسألة، ووقت النقابات العمالية وبعض تنظييمات الحزب المحلية التي كانت واقعة تحت سيطرة المعارضة بقوة لدمج جماعية الإدارة عبر مجالس الإدارة، وفيما يتعلق بمسألة «الجيش الشعبي»، فمن المفارقات أن لينون تروتسكي -الذي صار لاحقاً معارضاً يمينياً- هو الذي فرض سيطرة القيادة العسكرية المركزية على حرب العصائب وجماعات القتال البلشفية التي كانت تقاوم كلا من الألمان من جهة وملاك الأراضي والبورجوازيين الروس من جهة أخرى، وهي حرب كان يقودها اليسار البلشفي حتى عام ١٩١٨، كما أن تروتسكي أيضاً هو الذي أنهى الممارسات الديمقراطية داخل الجيش والتي كانت تتمثل في انتخاب الضباط وغير ذلك، وأعاد التسلسل الهرمي للجيش.

وهي ختام هذا الجزء، نقول أن المعارضة الثورية في روسيا البلشفية في الفترة محل الدراسة في كتاب «ضمير الثورة» نافلت من أجل إدارة جماعية للأعباء والأمكان العمل والإنتاج، ويهدف إيجاد روح جماعية لدى الجماهير وهي دور كثر تلك المعارضات المناهضة لثأر روسيا وكستويها. كما أن المعارضات عمت إلى إنشاء جيش شعبي، ولكنها رأت أن يكون هذا الجيش من العمال فقط.



المسألة الثالثة التي يتناولها روبرت دافيناز، فهي كون القيادة الثورية والقمة في أيدي خارج نطاق معسكر المعارضة. ففي الحالة الروسية، يعتبر المؤلف أن لينين كان معادياً للضرعات اليسارية واليهودية في صفوف البلشفيين حتى قبل ثورة ١٩١٧. وفي ١٩١٨ هاجم يسارياً «بوخارين» التي أشردا إليها أيضاً باعتبارها «عراقاً»، وكتب: «اليسار الشيوعي» فوضى سيئانية، وقارن فيه بين ما أسماه جمود خصومه اليساريين «الذين لا يربطونهم» مع موقفه التنكيسي صاحب النظرة بعيدة المدى، خاصة فيما يتعلق بالأبحاث والعلاقات خارج روسيا السوفيتية في ذلك الوقت، وانتقل لينين من تأييده السابق الثورة البلشفية إلى تقويض كل تقرير للمصير للأمام والقوميات ودعا إلى معارضة الصير تجاه التطلمات الوطنية للقوميات المختلفة في ضوء ما أسماه بإمكانات روسيا ذات الطبيعة الخاصة

يمجيء مطلع عام ١٩٢٠ قبل مؤتمر الحزب مبدأ التسلسل الهرمي في الإدارة وهو ما تزامن مع التوجه نحو مزيد من المركزية. وبعد هذا القرار تراجعاً واضحاً عن مبدأ مشاركة العمال في إدارة وسائل الإنتاج

بأماكن العمل الصناعية تم إنشاؤها في عدد كبير من المصانع، وفي صيف نفس العام بدأ اليسار البلشفي في إنشاء ما سُمي بـ «لجان فضاء الريش» حتى تستولى على الأراضي الإضافية التي كان يملكها الإقطاعيون (الكولاك) أو تحتين ملكاً الأراضي الريفيين من المجتدين للطبقة الوسطى. وبالرغم من حل هذه اللجان في روسيا بواسطة اللجنة المركزية للحزب بحلول نهاية ١٩١٨، فإن عدداً منها بقي حتى عام ١٩٢٠ في أوكرانيا حيث احتفظ اليسار البلشفي بالأغلبية في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي.

ويحول نهاية عام ١٩١٩، تم إنشاء لجان عليا لحرمة اللجان العمالية، وجمعا منها في الإدارة الاقتصادية للمصانع. إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن مجالس الإدارة -وليس المنيرون من الأفراد- هي التي أدارت المصانع في ذلك الوقت، كما أن ممثلي الحركة النقابية العمالية شاركوا في عضوية هذه المجالس. إلا أنه بموجب مطلع عام ١٩٢٠ قبل مؤتمر الحزب مبدأ التسلسل الهرمي في الإدارة، وهو ما تزامن مع التوجه نحو مزيد من المركزية. وبعد هذا القرار تراجعاً واضحاً عن مبدأ مشاركة العمال في إدارة وسائل الإنتاج -وهي تلك الوقت- بدأ أن الديمقراطية المركزية، ثم جهموا أمرهم، فقد اعتدوا تقويضهم العام لإدارة جماعية لتتخلص ممن أسموهم بـ «الخصميين البورجوازيين»، إلا أنهم دعوا في نفس الوقت إلى معالجة كل حالة على حدة من حيث المفاضلة بين الإدارة

وربما احتلت مناقشة المسألة الديمقراطية جزءاً كبيراً من هذا البحث، إلا أنني أزمع أنها كانت مسألة مركزية للمعارضة التي أمنت بالحاجة إلى توزيع واسع للسلطة السياسية للقوى الثورية وللجماهير الشعبية، وحاربت من أجل مجتمع لا طبقي تحققي فيه سيطرة طبقية، أو قهر طبقية لأخرى، أو هيمنة مصالح طبقية معينة. وكان الهدف هو تحقيق السيادة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للطبقة العاملة لتفنيذاً لتوصية شيوعية كارل ماركس.

أما المسألة الثانية التي تعرض لها المؤلف فهي مسألة اللجان الشعبية والجيش الشعبي. فنجد أن أول مؤتمر للسوفيئات في كل روسيا والذي عقد في مارس ١٩١٧ قد دعا إلى منح الشعب الفرصة لممارسة الحريات الديمقراطية من خلال السوفيئات المحلية والجالس المنخبة شعبياً في مواقع العمل، باعتبار هذه المجالس واللجان هي صعب السلطة الثورية، وهكذا يجب أن تكون. كما طالب المؤتمر بإنشاء «محوس أحمر عمالي» لقيادة النضال ضد الحكومة المؤقتة التي جاءت إلى الحكم بعد ثورة فبراير ١٩١٧. وأما كانت هذه المطالبات تمثل بالأساس مطالب المعارضة اليسارية، فإنه بحلول مارس ١٩١٨، دعا «الميسقراطيون الماركسيون» إلى أن يكون لشأن أعضاء مجالس الإدارة لشرقيات المناصب من العمال المتجنين، إلا أن مؤتمر الحزب قبل فقط أن يكون لكث الأعضاء من العمال. وفي العام نفسه -أي ١٩١٨- تم تأكيد السيطرة العمالية من خلال لجان

موسكو إلى حرية التعبير في الصحف، وفي مؤتمرات الحزب، وهيئاته وداخل السوفيئات، كما طالبوا بتواصل السوفيئات مع الطبقة العاملة، وحثوا قواعد الحزب على ممارسة الضغوط لإجبار بيروقراطية الحزب على احترام الديمقراطية العمالية واستقلالية المنظمات العمالية.

وبما زاد موقف الجناح اللينيني في الحركة البلشفية سوءاً أن عامي ١٩٢١ و١٩٢٢ جاءا إلى الساحة السياسية بفصيلين جديدين ينتميان إلى المعارضة. كان الفصيل الأول هو «مجموعة العمال» والذي دعا إلى حرية الصحافة والإدارة الديمقراطية للصناعة عبر نقابات العمال وطالب بالقرار حق الإضراب للعمال. وبالرغم من أن هذه المجموعة بدأت داخل صفوف الحزب، فإن زعيمها «ميسينكوف» طرد من الحزب عام ١٩٢٢ حيث ألهم بالترجيع للأفكار لخدم البورجوازية، وانتقلت مجموعته للعمل السري. أما الفصيل الثاني فكان «الحقيقة العمالية» (وابوشايا برافدا) الذي عارض الطبيعة البورقراطية للنظام ودعا إلى تأسيس حزب عمالي جديد يكون قادراً على توفير ظروف ديمقراطية تمكن العمال من الدفاع عن مصالحهم. ورأى في المواقف المتطرفة نسبياً لتهذين الفصيلين ما يوضع الانكساعات السلبية لعدم تسامح اللينين تجاه الآخر، ورأى، مما دفع المعارضين تنظيمياً للعمل من خارج الحزب، أو حتى الاتجاه للعمل السري، وإيديولوجياً إلى التشكيك في جدوى الحزب الشيوعي كحزب يبرر يصدق من مصالح وطموحات الطبقة العاملة.



وفي ختام هذا الجزء من موقف المعارضة الثورية في روسيا السوفيتية تجاه المسألة الديمقراطية، يستطيع المرء أن يرى بسهولة أن الأطراف الكونية لهذه المعارضة كورت باستمرار نفس مطالبها منذ ١٩١٨ وحتى ١٩٢٢، وهو ما يدل على أن الإصلاحات الديمقراطية، التي اقترحتها مؤتمرات الحزب المتتالية لم تر طريقها إلى التورسوسب تجاهل سكرتارية الحزب ذات الطبيعة اللينينية. المسألة الأخرى التي لا يتوجه تجاهها هي رؤية المعارضة لـ «الطبقة» بوصفه ضرورياً ولا يتناقض مع «ديمقراطية الطبقة العاملة».



أما المسألة السادسة فهي درجة اتساق وتجانس وتكامل مواقف الأطراف المكونة المعارضة. فقد انتقل الأفراد والجماعات المنتمية المعارضة من موقف إلى آخر عبر فترات قصيرة نسبياً، بل إن الأفراد

وفي ختام هذا الجزء، يمكن القول بأنه في الحالة الروسية، فإن القيادة الثورية استخدمت الشعارات ذات الطابع المثالي -وإنما الرومانسي- وذات الجاذبية الشعبية، ولكن من خلال التمسك بالنصر الثوري، ولكن بمجرد تحقق النصر للنورة، كانت القيادة في حاجة إلى دعم ثابت وصارم وقبول دون منازعة لتلك القيادة، كما أن القيادة التي في حاجة إلى تنظيم مبني على ركز يرتكز على ذعة مركبة وبها طلبة صلبة تضمن



وخلال المؤتمر الثامن للحزب، أعرب
بوخارين عن تفضيله دفع الثورة العالمية
إلى الأمام على الحفاظ على الدولة
الاشتراكية الواحدة في روسيا، ومن
جانبيه دعا ممثلو المعارضة خلال نفس



2018

أوضح تروتسكي أن الثورة الشعبية
المعادية للرأسمالية والإمبريالية في أوروبا
هي شرط لبقاء الثورة الروسية والحفاظ عليها.
إلا أنه بحلول منتصف عام ١٩١٨ بدأ لينين ميلا
إلى التوصل إلى تسوية سلمية مع المانيا
ومعارضة فكرة الحرب الثورية



سطحتها الجيدة قلب انتصار الثورة، كما كانت تحتاجه الفدائي في تلك المراحل كان حتماً مهرباً ومركزياً وفي دود العقلية التي تملأ من شأن سلطة والوالا من جانب الاتباع ما يعزز طاعة تلك الفدائيات بأى وسيلة. على حساب الحقوق الديمقراطية التي تمتصت تلك القيادات بها شعبوها في مراحل سابقة. فكانت إذن هذه الشخصيات والتمسكت بسلطانها بعيدا عن المجالس الشعبية أو هضبة الحوارات الفكرية والنقاشية فيما بين الفصائل الاجتماعية والسياسية والصكرية المختلفة التي كان من شأنها بالضرورة عدم مركزية وربما زعزعة استقرار تلك النظم القويوة المشككة حديثا في ذلك الوقت.

المؤتمر إلى ممارسة حق تقرير المصير للطبقات الكادحة داخل كل أمة، وذلك كحل وسعدهم اقتراح لينين إلا أن العناصر القومية المتطرفة رفضت هذا الحل التوفيقى، ودعا «بيلياكوف»، إلى سيطرة مركزية من جانب الحركة الشيوعية العالمية على كافة التنظيمات البوليتارية في العالم باعتبار أن مصالح الثورة الاشتراكية العالمية يجب أن تعلق على مصالح الطبقة العاملة في دول جميعها.

وكان اليساريون البلشفيك هم الدين
عارضوا اقتراح لينين بمركرزية الحزب
الشيوعي، وكان سببهم في ذلك هو أن
من شأن هذا أن يؤدي إلى تقييد حرية
الحركة لمنظمة الحزب الشيوعي في
أوكرانيا التي كانوا يسيطرون عليها
وكانوا يأمون بها أن تشكل قاعدة
مستقلة يبدؤون منها حرباً عالمية
دولة على الدولة بعد أن سياسات لينين

الحجرة والحرصة.

وقد أوضح توريتسكي أن الشبهة الشعبية المعادية للإمبريالية والامبريالية في أوروبا هي شرط لبقاء الثورة والنسبة والحفاظ عليها. إلا أن بحلول منتصف عام ١٩١٨، بدأ لينين ميلا إلى التوصل إلى تسوية سلمية مع ألمانيا ومعارضة فكرة الحرب الثورية حيث أنه أدرك أن روسيا لن تلتقي أي دعم فوري من البلشفيين والبروليتاريات الأوروبية. وشرعية نظره هذه بأن واجب روسيا هو الاتحاد للثورة في أوروبا وليس القيام بهد الأعداء المباشرة. رغم ذلك الأوروبيين.

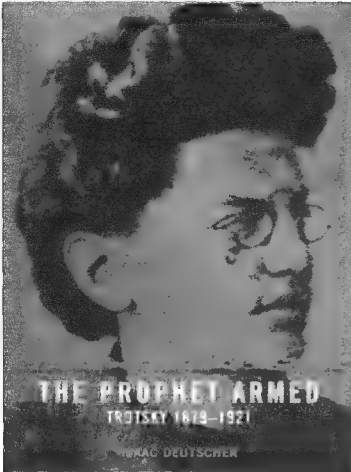
وقد عارض اليسار البلشفيكي هذا السلام المزدبر في روسيا وألمانيا باعتباره إجراءً احترازيًا، وليسًا نظرًا إلى أن الخصومات والبلوغيات لم تنته بعد، وكانت صراعات الرأسماليين والأطفايعين والبرجوازيين، وتبين اليسار البلشفيكي بأن الثورة الروسية سموت إلى ما لم تقم الحرب الثورية في أوروبا، وهي نبوءة لم تتحقق في حينها، وكانت المعارضة داخل الحزب الشيوعي مدعومة من قبل بواخزين، التي دعمت عام ١٩٢٢ مقالته القويمايت بحقوق ويدرجة متعصنة من الحكم الذاتي، وذلك في مواجهة من دعوا إلى مساهمة شيكية فوضوية.

عقب هذا العرض والتحليل لما ورد في كتاب روبرت دايالز الهام «صميم الثورة» فيما يتعلق بالتعددية الفكرية والمياسية في روسيا السوفيتية، فإنه يمكن للمرء أن يلحظ نمطا من الأسباب التي دفعت إلى فشل هذه التجربة التعددية قصيرة العمر، مع التحفظ

صوف قواعد الحزب وكوادره وتحول المعارضة داخل خندق القوى الثورية إلى مجرد أفكار وآراء يعبر عنها في بعض الأحيان بعض القادة الحزبيين أو الشخصيات النقابية والعامّة مع الافتقاد لأي قاعدة اجتماعية

وربما نجد عوامل ضعف في المعارضة من داخل صفوف الثورة في روسيا من واقع قرار كتاب بصورة الثورة وغيره من الكتب التي تناولت نفس الموضوع، ومن ذلك الصراعات ذات الطابع الشخصي أو الفصيلي التي ارتدت، وتعددت. خدمت فقط مصالح السلطة. كذلك فإن تحول مواقف المعارضة بذلك بعض القضايا بين فترات قصيرة نسبياً من الزمن عنى أحياناً تحول في مواقف شخصيات وعصائل الحزب في اتجاه التحالف مع مواقف القادة في مواجهة فصائل معارضة أخرى. كما أن التزام المعارضة في أغلب الأحيان وصارها زرع الاستمرار داخل صفوف الحزب، الليبراليين، سامهم بشكل نسبي على تأثيرها وعلى هامش حرية الحركة الخارج بها أن ثبت في نهاية المطاف أنه يصعب تصالح لينين الذي كان في الأساس متصلاً من أجل سيطرة الحزب، كما ثبت هذا الخوف أنه شكل ضرورة قاضية للمعارضة على المدى الطويل.

الآن فصل المعارضة في الوصول إلى السلطة أو الاحتفاظ بها والتوزيع
بمراعاة ما على الأقل إقناع المجتمع
والقبول بمبادئ تداول السلطة فيما بين
القوى الخيرة أو الديمقراطية الديمقراطية
البناء عليها ، لا يجب أن يحل محلها
تجاهل التأثيرات المكررة والتأثيرات بعيدة
المدى لفكره هذه المعارضة ، سواء كانت
أو كمصدر للدراسات التي يستعملها
أصحاب أيديولوجيات أخرى وأتباع
حركات سياسية واجتماعية أخرى
التقليل من دلائلها العلمية على
حدوث هذه التجربة في التعددية
المكررة والسياسية على الأقل الواقعية
لنستفيد من سياق ثورة وتجربة أخرى
الكتير عن عبر العالم يصنعونها لعقود
بشكل مطلق بالانبياء والتسمية ودون
الشفرة في مراحل تطورها المختلفة
ودون الابتعاد تلك المرحلة التي تعرضت
لها هنا والتي يمكن وصفها بـ«تجربة
الديمقراطية في روسيا السوفيتية» وهو
ينبغي أن يكتمل ■



المسـالـح الأعـزـل المشـرد

ثلاثية تروتسكي: مرثية

هناك، أيضاً، من يرى أن الثورة الحقيقية، كانت ثورة هبرابر ١٩١٧، وأن أكتوبر، بعد بمثابة، الانقلاب الانتهاري، لقد كان لينين هو الذي أسس لا حثرك البلاشفة للسلطة السياسية. وهو الذي وضع سابقة شجب كل انتقاد لهذا الاحتكار باعتباره «ثورة مضادة، وشجع البلاشفة على الاعتقاد «الميت، بأنهم يمثلون الطبقة العاملة، كان لينين هو الذي أوجد آلة العظم غير الإنسانية، التي استمر ستالين في تشييدها على نطاق واسع. وهو الذي أجاز «الترويع الأحمر، ضد أعداء الطبقة العاملة، وإذا كان لينين هو الذي وضع تقاليد تحقيق الأهداف بالقوة، فهل يمكن إعطاء أهمية كبيرة لمن كان سيخلفه: ستالين أم تروتسكي؟، خاصة إذا وضعنا في الاعتبار طبيعة تروتسكي المندفعة، وإسهاماته في «الترويع الأحمر، خلال الحرب الأهلية، وإذا كان عمالقة الثورة الثلاثة، في الشر سواء فلفاداً يكون لتروتسكي أهمية خاصة ١٩ الباحث التاريخي، حيث التخرج، يزن الثوار مميّزان إنسانى بسيطاً، هل

إخفائها تحت القميص. إذ يصل وزنها إلى ثلاثة كيلو جرامات). وخلال سنوات «glasnost» وحتى عام ١٩٩١، كانت مصدر إلهام للعديد من الذين تطلعون إلى ديمقراطية سوفيتية جديدة تسع الجميع، لكن هؤلاء سرحان ما اكتشفوا أن المياه كانت تجري في الاتجاه المعاكس

لا أحد يجادل في أن الثورة البلشفية اعتبرت أهم حدث وقع في القرن العشرين. لكن هذا الأمر يثير الال الكثير من الجدل. ويكاد الرأي السائد يجمع، بعد ٣٠ عاماً من انهيار الاتحاد السوفيتي، أن هذه الثورة لم تحقق شيئاً من أهدافها الرئيسية. وأن النجاح الوحيد كان هزيمة هتلر العسكرية بفضل سياسة التصنيع التي فرضها ستالين على روسيا.

وطهر المجلد الأخير في عام ١٩٩٣، وقت أن كان «الاتحاد السوفيتي، لا يزال يبدو قوياً واثقاً، وكانت الأمال لا تزال قائمة (ليس عند اليسار فحسب) في إمكانية أن يأتي اليوم الذي تتخذ فيه إصلاحات تزدى إلى تحقيق الرؤية السوفيتية للاشتراكية الديمقراطية. اليوم تعيرب الأحوال. لكن الجيلين كانا على حق سواء فيما يتعلق بـ «الاتحاد السوفيتي، أو بكتابات دوتشر عن حياة تروتسكي، التي أعادت «دار فيرسو، Verso البريطانية، نشرها في ثلاثة مجلدات، تجعل قارئ اليوم يقف أمام قوة عميقة محدقة في تغيرات عمرها أكثر من ٤٠ عاماً.

قبل سنوات مضت، كانت هذه الثلاثية، تعد أجمل هدية يمكن أن تُهرَّب إلى متحف شرق أوروبا (رغم صعوبة

حظيت أعمال «إيزاك دوتشر، Isak Deutscher، عن حياة «تروتسكي Trotsky، باهتمام جليل، الجيل المعاصر من أفضل الأعمال في مجال السيرة الذاتية صدر المجلد الأول في عام ١٩٥١. بعد وفاة «ستالين، Stalin بفترة قصيرة،

ثلاثية المؤلف Isak Deutscher عن حياة تروتسكي

(1) The Prophet Armed. Trotsky 1879- 1921

النبى المسلح ١٨٧٩ - ١٩٢١
(2) The Prophet Unarmed. Trotsky 1921-29

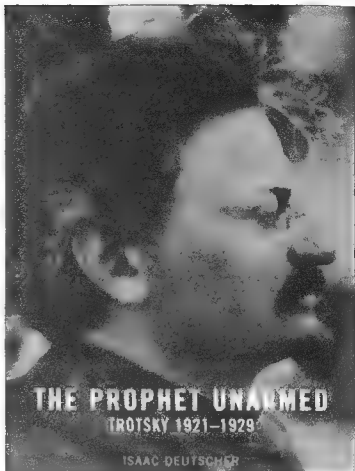
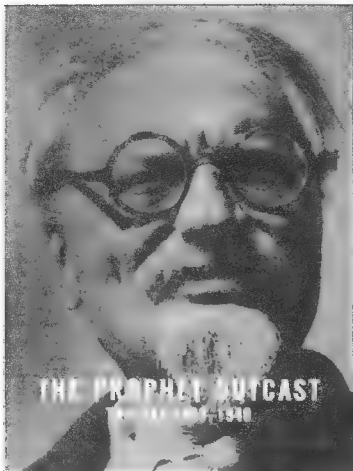
النبى الأعزل ١٩٢١ - ١٩٢٩
(3) The Prophet Outcast. Trotsky 1929- 1940

النبى المشرد ١٩٢٩ - ١٩٤٠
وقد أصدرت دار نشر Verso طبعة جديدة من هذه الثلاثية عام ٢٠٠١ وكانت الطبعة الأولى قد صدرت نهاية الخمسينيات

بتعليق مع: London Review of Books

ترجمة جمال اسماعيل

نيل اتشورسون



انتصار في هزيمة

مقت ستالين والتابعين له فحسب، بل اتفقا أيضا في التحليل النهائي للوضع القائم في الاتحاد السوفيتي خلال الثلاثينيات، وأن الثورة قد أدت إلى وجود دولة ممسوخة للعالم.. وأن هدفها المتمثل في إزالة سلطة رأس المال وإلغاء الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج ظل بغيراً، فلم يمس، في ظل ديكتاتورية بيروقراطية في البنية السوفيتية، ورفاعة وإرهاب دولة. رغم ذلك، ظل دوتشر، وإلى أن رحل في عام ١٩٦٧، متمسكاً بشأن مستقبل الاتحاد السوفيتي ومثله مثل تروتسكي رفض التسليم بأن الستالينية كانت، ببساطة، شكلاً من أشكال الدولة الرأسمالية ولنضعة طبقة مستعبدة جديدة، لكنه اختلف معه فيما يتعلق بدور واجب الدفاع عن الدولة السوفيتية، حتى وإن كانت دولة ستالين.. وعندما أكد تروتسكي أن غزو ستالين لأراضي أجنبية (مثل شرق بولندا عام ١٩٣٩) يجنب التهريب به باعتباره «هفأً تحريراً، وأن الغزاة» ألغوا الملكية الخاصة، وجد دوتشر أن موقف تروتسكي يمتد المنطق والاتساق.

استلهم دوتشر عناوين
٦٩ صحف

ولم يتفق معه في كثير من سياساته، لكنه كان يرى فيه التجسيد الشام لاقتصاد الراسخ ان الاستبداد السبالي. لم يكن الشكل المعك الوحيد للثورة الماركسية. لقد اعتبرت تروتسكي - مالمعل - أحد أبرز القادة الثوريين. في كل العصور، كمناضل ومفكر وشهيد، لقد بذلت قصارى جهدي كي أنصف شخصية البطل في ترونسكي، والتي لم أجد ما ينظرها في التاريخ لكنني صورته أيضاً في الكثير من لحظات حيرته وارتباكها، مثل «تيتان» Titan وهو يتربع ويجعل ويتحصن، ثم يخرج لكي يلقى مصيره..

لقد جلت دوتشر بعيداً وهو يتحدث عن معاملة تروتسكي الضارية لأعداء الثورة. وقت أن كان قائداً للجيش الأحمر، ويقول: «حتى في هذه المرحلة كان الاشتراكي الحر حاضراً داخله، وفي معظم أفعاله القاسية وكلماته الأحاد، كان توجهه الإنساني الدافئ يميزه عن معظم فاضلي النظام والأصفياء، هل كان الأمر كذلك؟ وهل شعر بهذا الدهء هؤلاء الدين واجهوا فضائل الإعدام؟

لم يبق دوتشر، مع تروتسكي، في

من أجل روح الثورة، ومن أجل تعهدهما بوضع نهاية لعصور الفقر والعوز، ويده أفعية جديدة لحرية وسيادة كل البشر. وهكذا ظل دوتشر يمتد في استمرارية هذا الصراع حتى بعد سقوط وموت بطله، وإلى أن يأتي اليوم الذي ينهض فيه نضر من شوار روسيا الحدد لإيجاد «كتوبر» من مستنقع الاستبداد والاستغلال الذي قادها إليه ستالين وإعطاء ماركسيته هذه نكهة عالية، لم تكن مجاعة أن يصور دوتشر تروتسكي وكأنه «بروميثيوس Prometheus» بحوض الصعاب من أجل مستقبل البشرية، وليس مجرد ممثل في دراما سياسية روسية. ويكاد العمود الفقري، للثلاثية، أن يكون مراقبة أخلاقية عن تروتسكي. رغم أن دوتشر لم يكن «تروتسكياً» بل كان ثورياً ماركسياً مستقلاً، طرد من الحزب الشيوعي البولندي في عام ١٩٣٣ لانتقاده ستالين (وكان محظوظاً إذ إن ستالين، وبعد طرده سنوات قليلة، دعا جميع قادة الحزب البولندي إلى موسكو وأعدمهم رمياً بالرصاص).

لم يلتق دوتشر، تروتسكي، في حياته.

قتلوا الكثير من الصحابا إذا كانوا قد فعلوا فهم إشرار، والقول بأن بعض القتلى، كان أكثر سعة للدماء من هاتيه. لا يغير من الأمر شيئاً لأن الوسائل الشريرة لا يمكن تبريرها بالغايات، مهما كانت نبيلة.

يرى دوتشر التاريخ من منظور معايير تحكمه معايير تختلف عن تلك التي تحكم منظمة العفو الدولية. كل شيء عنده يقاس في ضوء الدافع الثوري، والسؤال الأهم لديه هو: هل ساعد هذا التوجه، أو ذلك الفكرة، على إنجاز الثورة أم جرفها بعيداً عن هدفها الحقيقي؟ لقد تحلى دوتشر بإيمان راسخ في قيمة الهدف النهائي الذي كثيراً ما هبر عنه تروتسكي وقال، وهو في منفاه السيبيري وكان عمره وقتها ٢٢ عاماً: «سأظل أناضل من أجل المستقبل طالما بقيت حياً. هذا المستقبل المشرق الذي يصبح فيه الإنسان قوياً قادراً على التحكم في تيار التاريخ وتوجيهه إلى أفاق لا محدودة للجمال والفرح والسعادة.

هكذا تحولت سيرة تروتسكي، بين يدي دوتشر، إلى رواية ملحمية للصراع

ثلاثية السيرة الذاتية لتروتسكي من ميكايليلي الذي لاحظ، وكان مخطئا، أن «المسلمين من الانبياء هزموا، والعزل منهم رموا». وقد أشار ميكايليلي أيضا إلى الطابع المتباينة البشر وقد يكون من السهل إقناعهم ولكن من الصعب الإقناع عليهم في حالة اقتناع دامت ومن الضروري اتخاذ إجراءات تدفعهم إلى الإيمان إذا فتر إيمانهم، هنا تكمن المعصلة الأخلاقية التي واجهت الثورة البلشفية المتتصرة، والتي لم يجد تروتسكي حلا لها. الأمر هنا لا يتعلق بـ «الوسائل والغايات»، فحسب، لأن البشر، «الطبيعة العاملة، لم يكن عليهم مجرد الطاعة، بل كان عليهم، أيضا، أن يؤمنوا، وعندما فتر الإيمان كان لابد من إعادة تشييعه في صيغة حزب يزعم أنه يمثل البروليتاريا، التي لا تستطيع الحفاظ على السلطة إلا بالديكتاتورية» كان تروتسكي أحد أوائل النصار الذين عارضوا مثل هذا، «التعميل الشياي»، وقد حذر منذ عام ١٩٠٤ من أن الحزب إذا فرض نفسه لتعميل الطبقة العاملة فإن منظمة الحزب سوف تفوض نفسها عن الحزب ككل، ثم تفوض اللجنة المركزية نفسها عن المنظمة ثم ينتهي الحال إلى أن ديكتاتورا واحدا يفوض نفسه عن اللجنة المركزية.

بعض هذه التناقضات تحقق بدقة مبعة، لكن تروتسكي نفسه ساهم في تحقيقها، وبعد الثورة، بهام واحد - تقريبا، تبني مبدأ أن الحزب يجب أن يتولى البروليتاريا وقت الأزمات، وفي عام ١٩٢٣، وهو يدافع عن الديمقراطية البروليتارية ضد السلطة الثلاثية بقيادة ستالين، غير ما يتناهى وزد إلى موقفه القديم، لكنه - وقتها - كان مؤثربا إلى درجة لم يتمكن معها من التعبير عن رأيه بشكل حاسم، والواضح أن التزام تروتسكي بالحزب البلشفي كان التزاما شائعا؟ وربما يكون الرجل الذي قد «الناشئة»^(١) في يوم من الأيام، قد غاب حماسه، الديمقراطية، وفي عام ١٩٩٤ وصلت «رومانسية الالتزام» إلى درجة جعلته يبلغ المؤصر الثالث عشر للحزب بأن «الره لا يستطيع أن يكون على حق إلا داخل الحزب، وبعبر الحزب ولا يوجد سبيل آخر لتحقيق الاستقامة».

في «التيي المسلح» - المجلد الأول - يتناول دوتشر صعود تروتسكي وتناقصه من مولده عام ١٨٩٦، لعائلة يهودية بالقرب من أوديسا، وإلى وصوله إلى قمة المد والناشئ مع نهاية الحرب الأهلية في عام ١٩٢٠

يصف المخطا لانه كحمزب اشتراكي في المدن الأوكرانية، وتخرجه في السجن، والمنفى السويسري، وهروب والتحاقه بالتيي في لندن، وقتها، وبعد توهج الصراع السياسي في المجر، عاد إلى روسيا المنارة في عام ١٩٠٥، حيث

أخطأ عندما ظن أن المد الثوري سوف يستمر ويصل إلى أوروبا الغربية، إضافة إلى أوروبا الشرقية، وأن ما حدث في أعقاب الحرب العالمية الأولى يمكن أن يحدث في أعقاب الثانية، يمكن خطأ التقدير هنا في تسكك بنظرية «الثورة الدائمة» التي تجسد، إلى اليوم، ماهية التروتسكية.

يهدد النظرية تحدي تروتسكي، القوانين الحديثة للتطور التاريخي، حسب مفهوم الماركسية «التقليدية»، بأن «الثورة البروجوارية، لابد أن تسبق «ثورة البروليتاريا، وفي روسيا، التي لم تخضع، بعد، ثورة بروجوارية، مثل فرنسا، ألمانيا وبريطانيا، تصبح الثورة الاشتراكية فيها مستعجلة، وبمباراة أخرى، وحسب وجهة نظر الماركسيين «التقليديين»، لا يمكن للاشتراكية أن تتحقق إلا في مجتمع متطور ومزدهن وأن الغشل هو مصيرها إذا ما طبقت في مجتمع زراعي متخلف يفقد، إلى طبقة عمالية حقيقية تكون قاعدة طبيعية للاشتراكية.



كان ليبين، ومعه تروتسكي، على دراية قامة بالمعضلة، لكن تروتسكي لم يحتل الستار عن رؤية علمه «روسيا الاشتراكية» يتحقق في حياته، ويوجد في نظرية «الثورة الدائمة»، إمكانية إسقاط المرحليتين في مرحلة واحدة، ثورة للطبقة الوسطى تطيح بالأوتوقراطية، ثم تأتي جماهير البروليتاريا، وحزبها، للانتقال بها - مباشرة - إلى الاشتراكية عبر تحالف العمال والفلاحين (الذي يتحقق بالإصلاح الزراعي).

كان تروتسكي - في القلب - ماركسيا تقليديا، ورأى أن هذا «الهجين الروسي» الفريد، لن يصمد طويلا، وقد تطيح به ثورة مضادة، أو يتحول (كما حدث) إلى قلعة معزولة يحكمها الخوف، لكنه، وفي إطار إيمانه بنظرية في «الثورة الدائمة»، رأى أيضا أن هذا «الهجين»، يمكن أن يتقدم إذا هبت الطبقة العاملة العالمية إلى إنقاذه. لقد اقتنع تروتسكي نفسه بأن هذا على وشك أن يحدث، وأوقات من عام ١٩١٧، اقتنع لينين أيضا بأن «هذا على وشك أن يحدث، وبعد وقت طويل من فقد معظم رفاقه الأمل، وتسليمهم بوجهة نظر ستالين عن «اشتراكية في دولة واحدة»، ظل تروتسكي، المهزوم والمنفي، يبحث عن مؤشرات تعيد بأن الثورة الدائمة على وشك أن تجتاح المصالح والنقد الاتحاد السوفييتي من العزلة والديكتاتورية.

كانت النظرية مترابطة، لكن تقديرها لا «ضالية الطبقة العاملة

أصبح رئيس مجلس نواب العمال البلشفي في بطرسبرج. وبعد ثورة جديدة في السجن والمنفى، وهروب إلى الغرب وإقامة معظم الوقت في فيينا، وإلى وقت اندلاع الحرب ثم عاقبته، ثورة في إلى النشاط الثوري مرة أخرى، حيث سعى إلى دفع الجاسي السوفييت الحلييات الحزبية، بإتجاه العصيان المسلح الثاني، الذي جاء بأبلا لاشعة إلى السلطة، وكعضو الحديتون للتطور التاريخي، توجه إلى «بريست ليتوفسك، وأدهش العالم بوفقه للحرب. من جانب واحد، مع ألمانيا، كعضو لشئون الحرب، أسس وقاد الجيش الأحمر الذي واجه وشتت «الجيش البيضاء» والقوات الأجنبية المعاصرة.

وإذا كان لينين، صلابته وصرامته، هو جع «محور عريضة الثورة، فإن تروتسكي كان هو عريضة الهادة، وفي ذلك العصر المتطور، كشف عن مجموعة من المواهب قبل أن توجد - مجمعة في شخص واحد. كان منظما هاد، لديه القدرة على إحلال الانضباط محل كل بليلة أو ارتباك، وخفييا يارعا يستطيع الاستحواذ على انتباه وتطاعا الآلاف، وأديا مفكرا لا تزال كتاباته، في الثقافة والتاريخ والفلسفة والسياسة والعلوم العسكرية، مستغلة جديتها وتآلقها، وكان قائدا عسكريا نادر الوجود، جمع ما بين براعة السيطرة على سير المعارك وتحريك القوات في الحرب، والقدرة على رفع معنويات الجنود واستنهاضهم، بشخصيته الفاتنة الساحرة، وفي بلد آخر، فإن رجلا له مثل هذه المواهب ما حلم لأحد أن يقف في طريقه إذا ما تم باسطاء الجواد الأبيض والوصول إلى قمة السلطة، لكن تروتسكي لم يكن يعتبر راجي الخيول البيضاء أضحوكة فجة فحسب، بل كان يبدو، أيضا، وكأنه لم يفكر أبدا في «السياسة»، وسيلة إلى سلطة شخصية، وكان كثير الشك، شديد الإدانة، عندما وجد أن بعض زملائه يفعل ذلك، هذا الموقف قد يكشف عن نزاهته الثورية والالتزام بالديمقراطية، لكنه يكشف أيضا عن نقاط ضعف، وعن حيرة حقيقية عاها ويدت معها كل قدراته الإبداعية «خارج الخدمة» وخاصة عندما توسل إليه زملاء الحزب أن ينضم إلى هذا الفريق أو ذاك في الصراع على خلافة لينين.

يصور «التيي المسلح، تروتسكي وكأنه «كورولان»^(٢)، وفي «التيي الأزمل»، المجلد الثاني، ذراه وقد تحول إلى «الملك»، ولم يكن «كليا» متوافقا، كان، وعلى صعيد الشؤون المؤسسية، صاحب بصيرة منهشة، توقع، وقيل أن تقع الأحداث، صعود الفاشية الأوروبية واندلاع حرب عالمية ثانية، وهجوم ألمانيا النازية على الاتحاد السوفييتي، لكنه

المسلح

الأعزل

المشرد



لسم يكن

على الطبقة العاملة

مجرد الطاعة

بل كان عليها أيضا

أن تؤمن.

وعندما فتر الإيمان

كان لابد من

تصنيفه في صيغة

حزب يزعم

أنه يمثل

البروليتاريا



الأوروبية، لم يكن في محله. وبدا الأمر وكأن لا مدخل من الاشتراكية في بلد واحد، وفي منتصف العشرينيات حكم ستالين قبضته على الحرب وتحوّل تروتسكي - ببساطة - إلى المعارضة، كان مكرماً، لكنه أراد أمور نفسه براءة من منطقتي النظير، وأصبح الكثير من المرص: فشل في الإجهاد على ستالين، المكشوفة مساوئه في عام ١٩٢٤. وأساء إلى حلمانه عندما طالب بتسخير العمال، وبالصمغ على الفلاحين، من أجل زيادة الإنتاج، ألزم الصمت عندما طالب ٤٦ عضواً من الحزب برفع الحظر المروض على التجمعات داخل أروقة الحزب. ويقتل أيضاً، داخل اللجنة المركزية، في معارضة إعاقة تنفيذ وصية لينين وما تضمنته من أحكام فاضحة لستالين، وعندما انقلب ضد القيادة الثلاثية، في عام ١٩٢٥، وحاول رينو هيف وكيمافيتا تنحية ستالين، بدا تروتسكي وكأن في الأمر مفاجأة أذهلت، رغم أن التحضير لهذه الخطوة، والتحريض عليها، ارتكز إلى ما أقره هو من مبادئ. وفي المؤتمر الرابع عشر، عندما أصبحت، وبمقرطانية الحزب المهددة، قضية مطروحة، نصحاب للحرية الأولى والأخيرة، ظل تروتسكي على صمته. وفي الحلقة الأخيرة من الصراع ضد ستالين، ما بين عامي ١٩٢٧ و ١٩٢٦، أصاب تروتسكي ابتاعه بالشلل التام بأن عارض أي تحالف مع بوخارين ضد ستالين، على أساس أن الأول كان من انصار الملكية الزراعية.

هذه السلبية تظل نقطة غامضة في حياة تروتسكي، وصلته هو، والمعارضة، إلى خاصة وطريق مسدود تحركت فيه الأحداث ببساطة باتجاه الأبهاد والترحيل، في ١٩٢٧ إلى ألبا أتا Alma Ata في كازخستان، والطرد إلى استنبول، تركيا، في عام ١٩٢٩. وفي الفترة الحرجة (١٩٢٤، ١٩٢٧) بدا تروتسكي وكأنه هاميل، وليس أحد أبرز شخصيات التاريخ، وقد يكون السبب في انضمام مرضى أو في غطرسة الخلق الذي يرفض التنافس مع من يعتبرهم، في سريرة نفعية. أدنى منه، ومن المؤكد أنه كان مغروراً، وثالثاً، الضحك، على ذلك أنه جلس مرة يقرأ رواية فرنسية ما بين اجتماعات اللجنة المركزية ولم ينتبه إلى نظرات الاستياء من حوله. وكذلك وصفه للاشتراكيين الأمريكيين بأنهم مجموعة من «البابتيين» (Babbits) الذين يكملون أذهلتهم التجارية بتأملات باهتة أيام الأخاد، في ميليل مستقبل الإنسانية، وقابل من أحد قادتهم أنه «المحدث الأسترالي الخالي لأطباء الأسنان الناجحين». كما أن قضاظته المتقاعسة إراء ستالين حولت النقصور إلى حقد قاتل. وقد أبلغه مرة، على الملأ، بأنه «حمار قهر الثورة».



يرصد، الثاني، المشرق، المجلد الثالث - سنوات النفي إلى جزيرة ترويتون قرب استنبول، ومنها توالى الرحيل - إلى الدمار كما ثم فرنسا ثم الترويتون، إلى أن عرض عليه وعلى زوجته، الجبهة اليسرى في المكسيك عام ١٩٣٧. هناك وبعد ثلاثة أعوام لأخمة، أقدم «راون» ميركادير، على ملته بأداة حادة وأرداه قتيلاً. ويمكن البدء - عند قراءة الثلاثية - بالمجلد الثالث وذلك لسببين: الأول يكمن في بنائه المأساوي للحكم والتصور البديع لحالة النية القريبة من نية، والحب الثاني يكمن في أن تروتسكي، وفي فترة النية هذه، أيقظ العالم بأدانيته الصارخة لحاكمات موسكو، ووصف ما جرى فيها بأنه محض جنون واغتراء، وفي أيضاً الفترة التي كتبت فيها أفضل ما يذكر من حياته، وفي مقدمتها - حياتي، وحيانة الثورة، - حدث صرح العمال في الوقت - كما يبين دوتشر - لكي يطور من أفكاره ومغامراته.



إنها - باختصار - الفترة التي يصبح فيها الجزء أكثر اقتراباً من تروتسكي، من تفكيره، ومن شخصيته، كانت مرحلة «القصور التام»، أيضاً، في الوطن. فسخت المعارضة بعد عام ١٩٢٨ عندما تبنى ستالين - فجأة - مطالبها فيما يتعلق بالتنصيص وسيطرة الدولة على الزراعة. وخلال أقل من ثلاث سنوات نفذ حكم الإعدام في الألاف من معارضيه. وفي الوقت الذي كانت فيه محاكمات موسكو - تريل القناع عن المخربين المشايين ومن ورائهم الخائن تروتسكي..

أما في الخارج فقد فشل تروتسكي في إنقاذ «وحدة الشيوعية الدولية»، المناهضة للنازية، ولم يفعل شيئاً لتوقف التناحر بين فريق مسانديه الذي تمكن عملاء ستالين من اختراق صفوفه، وصعقوا الدوائر القريبة من تروتسكي، وربما من قتل ابنه الخلف، ليفيد سيلوف، باليس، في عام ١٩٢٨. وعندما قتل هو في عام ١٩٤٠، كان قادة الغرب الذين فتقوا له وفترعو منه، لا يدركون شيئاً عنه

تحمل ثلاثية تروتسكي، بلحاظ غير عادية لفرحة الجدل بالحياة، وهو يصطاد - بمسادة - غزاة في الجبال القريبة من «ألبا أتا» أو وهو يجمع الصبار في صحراء المكسيك، وهو يرتدى سترة ريفية فرنسية زرقاء اللون وتكعكع ظلال هيبته بحدة فوق الصخور والهواء يهتج بشعر رأسه الأفيد، أو وهو يستجم كل طاقته لكي يتعلم كيف يرس الشباك، على يد صياد شاب في بحر مرمر.

كان رجلاً نادراً واستاذ قلم وسيط، وعكس رفاقه، كان تروتسكي يهتم الثورة ليس باعتبارها مهمة بناء لم كان يراها حركة متدفقة وطويلة، «الطريق من ما قبل التاريخ إلى قلب التاريخ»، والقصة الكبرى من الحاجة إلى الحرية، ولم يبق معه إلا غير الركون باعتبارها شهود عيان، على عصره. أما الاتحاد السوفيتي، سواء المسحوق أو المرح، فقد ذهب، وذهبت معه الثورة اليسارية لم يعد أحد ينظر إليها باعتبارها الحد الرئيسي في القرن العشرين التي لم تعد التضحية بالخاص من أجل المستقبل، مقبولة. ولم تعد العدايات التبتلية مبرراً كافياً للوسائل الشريرة التي سمحت لتروتسكي بأن يأمر بقتل الكثير من الأبرياء، وهذا هو الحال مع بعض أحكام دوتشر نفسه الذي انتقد قتل القيصر وعائلته لسبب واحد هو «أن ما حدث صرح العمال من متساعمة أهم محاكمة درامية».

يريد دوتشر أن يوحى - في ثلاثيته - بأن الأصل لا يزال قائماً في «شيوعية سوفيتية قابلة للإصلاح» وكل ما يمكن أن يقال هو أن المناخ «الطائفي» لعودة مثل هذه الثورة، إذا تحقق وتحققت معه الثورة البعيدة المثال فإن الحبل المصاع من رجال ولساء الثورة سوف يستفيد بقرارة «الثلاثية». والأمل أن يقدر على ما لم تقدر عليه، فهم تروتسكي ودوتشر معا. ٨

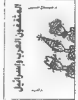
هوامش للمترجم:

- (١) جلاسنوست: Glasnost حرمة الوانين تخدينا الحكومة السوفيتية، نهاية المناهيات وبدنية التسميات، «أجر» مجموعة إصلاحات سياسية واجتماعية واقتصادية
- (٢) Promotey هو، سارق النار من الأبهة وعمل البشر استعمالها، في الأسطورة الإغريقية المصدر: ويسر
- (٣) Titan أحد أفعال السماء والأرض في الأسطورة الإغريقية (وعنده ١٢ عضلاً) وسطحهم ألبا أولمبيا بقيادة زيوس Zeus ما قبل العصر الهليني، المرجع السابق
- (٤) المشقة: Menshevik، جاح من الحزب الديمقراطي الاشتراكي الروسي قبل الثورة وخلالها، من تحقيقات الاشتراكية شكل تدريجي، وبالطرق الرأسمالية مخالفاً بذلك سياسة البلاشفة
- (٥) Conolatus هو الشبل والصدى للحارب في الأسطورة الرومانية الذي نعى لاصطهاده العامة، وقاد جيشاً قاصداً أبواب روما القديمة لكنه توقف ولم يكمل رحلته بعد نصيحة من أمه وزوجته
- (٦) هامتل: نطل، وعنوان: «السرقة» التي كتبتها شكمبير ما بين عامي ١٩٠٢ و ١٩٠٣
- (٧) البابتيون: Babbitt، وتطلق على رجل المهن التي لا تحتاج إلى أعمال الفكر الذين يمسكون الطبقة الوسطى اجتماعياً وأخلاقياً
- (٨) الملك ريجل وعنوان: المسرحية التي كتبها شكمبير ما بين عامي ١٩٠٥ و ١٩٠٦

تهتم وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالية. وتشكر الناشرين والكتاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك. وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ❦

التفوق العرب وإسرائيل

د. جلال أمين
القاهرة، دار الشروق الطبعة الثانية
٢٠٠٥، ٢٦١ صفحة



فتحت حرب ١٩٦٧، الباب أمام المشروع الصهيوني لكي يعمس قسما في شفاء الإمبراطورية الإسرائيلية، من خلال السيطرة على العالم العربي، وفي نفس الوقت كان غزو العراق للكويت والحرب التي تلتها وموقف التفوق العرب منها وما جرى إبان هذا كله والازوال يجري من محاولات لتسوية العقل العربي، خطوطا لثانية لبناء هذه الإمبراطورية

ويؤكد الكتاب أن هزيمة ٦٧ كانت لها تأثيرات خطيرة على العقل العربي سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وثقافيا، وأثارت كبر لآزلا سيق من هذه الهزيمة حتى اليوم، وهو كوني السد في القضايا السالفة على الساحة العربية منذ الأمد بسياسة الانفتاح الاقتصادي وتورط دول عربية كثيرة في الشؤون، والأصنام السكنا والحد العدلي، والاتجاه نحو الصلح مع إسرائيل وغزو الكويت وحرب الخليج، وقبل ذلك كله حرب ١٩٦٣، وتضاعف أسعار النفط، وتضاعف ثروة البلاد المنتجة له وتأثيرات ذلك على معدلات التنمية وحركة الهجرة من البلاد العربية

يستعرض د. جلال في كتابه عددا من القضايا المهمة منها قضية الاصلية والمهاجرة، وكيف نظر إليها المجتمع وكيف وقع بعضهم في تلافيف رهيب في حلها رغم أن هذه القضية مطروحة على العقل العربي منذ أكثر من قرنين كاملين. يلقى الكتاب أيضا الضوء كاشفة على تداعيات غزو الكويت وكيف تعارست مع الصالح العربي وكيف فتح الطريق أمام التدخل الأمريكي في المنطقة. ويحذر الكتاب من أخطار السوق الشرق الأوسط، رغم أن بعض المصالح منها يرون أنها محفوفة بآثار لا محالة شاء الحرب أم أبوا، وأنه من الممكن الاستعانة بها اقتصاديا، ويؤكد د. جلال أن وجود إسرائيل نفسه - كمستقر اقتصادي إقليمي - أن يسبح بأي ميوه للصناعات والاقتصادات العربية بشكل يحقق تنمية عربية حقيقية. في خاتمة الكتاب، يرصد المؤلف مخططات مهمة في الصراع العربي -

الإسرائيلي خلال نصف قرن ويشير إلى أن قرار التقسيم كان ظلما من الأساس لأنه أعطى الفلسطينيين ٤٧٪ من الأراضي وأعطي اليهود باقي الأراضي الفلسطينية. رغم أن العرب كانوا يشكلون ٩٢٪ من هذه الأراضي. كما أنتمى مسية المسلمين والمسيحيين ثلاثة أضعاف اليهود. ويؤكد أن العرب دافوا طعم الهزائم أمام إسرائيل لأنهم لم يتصرفوا بإرادة حرة في أي وقت من الأوقات طوال الخمسين عاما الماضية. وأن إسرائيل خاضت معاركها ضدهم دائما وفي خلال وسط يملك القوة العسكرية والسياسية والاقتصادية ورغم ما يتبع في الكتاب من حزن، فإن المؤلف يؤكد أنه لم يفقد الأمل قط في العدم. فالتأنيب والنشأت الدين يلتقي بهم يوما بعد يوم في العديد من جامعات مصر يمثلون لأمل ويتأفون بالذم والحيوية والثقة بالنفس. وهم لا يكون من غلب الأمل من جديد في مستقبل الأمة العربية

سيرة نعل

عبد الله محمد الأسمر
بروت ر. ناصر لبرس للكت والنشر
٢٠٠٤، ١١٧ صفحة



هذه المجموعة القصصية تقول كلاما كبيرا بأقصى درجات الهمس والهدوء، يجمع بينها خيط شديد الرقة شديد القوة في أن معاً... وهو ما يميز عنه ذلك الحنين الملح للحنانة الأولى، للفرجة بوصفها مكان الطفولة طموح الرجل وطموحه البشر... وهو أيضا صوت من الصحراء وواحتها وبخيلها وسرايها. تضم المجموعة ١٩ قصة، كانت أولها بعنوان إشارة مرور. تدور حول حشد، المرأة الفنية المتروكة من أحد الأثرياء وتعيش في القصور، وإثباتها دكرات غامضة عن ماضيا الذي لا تذكر تفاصيله، وفجأة يغير من حيا مثل صمبر يبيع المتألمين الزوفية في إشارات مرور تشو بسبب حاله المريرة على نقايد عائنا وتوقها حينما تندفع من ميريتهما على أقدامها زوجها، وهي تفقد لحضض هذا الطفل النابض في صدرها ونيل وجهه العجبر بالدموع أما في قصة سيرة نعل، التي يحمل

الكتاب اسمها فيور من خلالها حوار بين رجل وحذائه يسأله هل يبعده أم لا بعد إصابة - الحذاء بطم - بالثقوب والتشققات. جرح عميق في البطن ويتنهنه بالطفاف لأن يبعده لأحد الأثرياء بمبلغ طائل وسيرة

معتقل كل العصور... حياتي في الوطن

فوزي حيشي
القاهرة دار ميريت، ٢٠٠٤، ٥٦ صفحة



مؤلف هذا الكتاب كان ضيقاً على كل معتقلات مصر لا يخرج منها إلا ليعود إليها مرة أخرى أكثر صلابة وأكثر تحديا وريفة في التغيير الاجتماعي من خلال انغماسه في الحياة السري. فاذ فوزي حيشي في أسرة عصابية، والده المزارع في الأنظمة في سلك التعليم وتخرج من كلية الحقوق وأصبح محاميا فكان موزجا مشرفا لأثالثه، وكان الأول فيون منذ شبابه مقبلا على القارة، وحينما جاء إلى القاهرة ليدرس بكلية الهندسة في جامعة فاذا الأول. كان وكأنه على موعد مع الشيوعيين في شبوا، وعرف طريقه إلى مراكز الفكر الشيوعي في القاهرة. لجنة نشر الثقافة الحديثة ودار الأبحاث العلمية، يوجد لفسه مندمجا في العمل السري يقوم بتوزيع المنشورات ضد الإنجليز، ويكتب على حوافه العمازات والنداءات شعرا للشعر والتحرير. وفي هذا الكتاب الذي كتبه وهو يتأزم الثمانين من عمره الجديد بإيد الله - يتساءل المؤلف هل كان لشيء وإيماني الحار بقضية الاشتراكية خطأ دائما؟ وممرقة مع طواحي فكر الهواء... ويرجيب قائلا: كان لا فالا فالرأسالية التي تغزو العراق ناعوة العاشمة وتزق برصاصها لحم أبنائنا في فلسطين وتهدد كل رقة في العالم العربي... أن توم في أول حسمات الكتاب يبدل حلسنا المؤلف وسط علله السرى الصاخب من خلال حوار رقيق أرسله إلى زوجته المناضلة حيا شكر وهو في معتقل الهايكستب التي قسى فيه عامين كامرين في دنيا الاعتقال والسجون التي لم ينس داخلها تخصصه في الهندسة المعمارية فتراد يصف كل الاعتقالات وصفا معماريا

دقيقا وكأنه يكتب سيناريو لمسرحية ما تتضمن المناظر، يوضع فيها أيضا من راعلمهم في السجن من السياسيين، وصباها خرسا يتشاهمون مع موزدي الطغام، عموالات، ويخفون محاصر إثبات التعذيب حتى لا تستخدم في التحقيق كما يقدم أيضا الوجه الآخر لحياة المعتقلات حين يعتاد الجميع على الحماية الحماعية والتعاون الطبيعى، وأوريع السنويات، والتعايش مع تيارات سياسية مخافرة وفي مقدمتهم الإخوان المسلمون.

يتضمن الكتاب في أحد فصوله طبيعة مناقشات الشيوعيين داخل السجن، وكيف صدر قرار من الحزب الشيوعي المصري؟ ومن عارض هذا القرار؟ ومن سانداه... وكيف تمت عودته عام ١٩٧٤ وإصداره وثيقة انتقد فيها تجربة الحل السابقة. كما يتضمن أيضا جوانب إنسانية راقية لا يخلو بعضها من طراخ، منها حينما أصر فوزي حيشي على ساء ناعورة في دنيا سجن أو رعل، وقامت زوجته شهيد الجبس والأسمنت والبلاط القيشاني، حتى سيج بالصل في بنائها. والكتاب في مجمله، وإن كان يشي من عشوائته بأنه سيرة حياة المؤلف داخل المعتقلات، إلا أنه في وجهه الأخر يحمل لحات ومضات مهمة من تاريخ مصر السياسي وخاصة ما صاحب هذا الكتاب ربما يكون اليسارى الوحيد الذي اعتقل في عهد الملك فاروق وعهد الناصر والسادات ومبارك. وهذه الأفكار لا يكتبها كما يؤكد المؤلف فوزي حيشي من أجل إثبات وجهة نظره فيها معنى والنقض، لكنه يكتبها من أجل المستقبل... وهذا هو شأن المناظرين الحقيقيين على مدار التاريخ البشري كله

كيف يحكي النقاد؟

د. محمد أحمد توفيق
القاهرة دار النسا، ٢٠٠٤، ١٦٤ صفحة



يتناول هذا الكتاب الكيفية التي يسرد بها النقاد محتويات النصوص التي تتناولونها بالتحليل النقدي، المعروض للنشيص لعليمان من الحذف والإضافة والتعديل والتأويل، ويصوغون من خلالها

أما المحور الرابع فيتناول قضايا مطرية، منها موضوع بعنوان ما بعد الرأسمالية - ما قبل الاشتراكية للمعسكر الصليبيات سلامة وهو مناقشة مع د. سمر أمين، وأيضاً مقال لكرم مروه بعنوان كتلة ثابرة جديدة لتأسيس اعمية في تولد جديد - بالإضافة إلى دراسات عن العولمة وعائلة الهويو، ودور العولمة في التماثل، المعاصر، والأجانب الصليبية، العولمة في العولمة، الهيمية والصراع للدكتور أمية رشيد والفرن الحديث بين هيمية التكنولوجيا وحرية التخييل الحاملي ويتناول المحور الخامس قراءات وتعليقات حول قراءة لكتاب «ديكتاتورية رأس المال» للكاتب والفكر ادبي بيتري ونفاقات عصر الإمبراطورية وعوده وعودة المقاومة، وبوباي، ظاهرة جديدة لفكري ليب، والجموعه الصورية المناهضة للعولمة للدكتور ساشيد البحاروي، وكذلك عرساً لبيان الاشتراكيين المستقلين، ووثائق اللجنة المصرية المناهضة للعولمة وبيولوجيا العولمة، بالإضافة إلى مقال لجمود أمين العالم بعنوان إصلاح أمه تبعية... هذه هي القضية؟ ويناقش فيه كيفية وضع خطة تنمية شاملة مستوعبة لحياتية الحداني والتحديثي بها يتفق مع ظروفها المصرية والبيئية عامة، وهي غير انقطاع عن الخبرات المختلفة عالمياً، بما يخص إلى هي عولمة ناسية ديمقراطية بديلة عن هذه العولمة الاستقطابية الأمريكية الهيمية أو التي تسعى إلى الهيمية على العالم

نحو شباب دائم

كبير الشباب... من الخبرة إلى العلم
أ. د. المدوني عمار
القاهرة: الدار العربية للنشر والتوزيع
٢٧٢ صفحة



كان الناس قديمه يلجأون إلى بعض المواد والتراكيب العربية أو الخرافات التي اسعوا، اكسير الشباب، لتعود بهم إلى س الشباب بعد وصولهم إلى الشيوخه ولكن الاكتشافات العلمية الحديثة في علوم التندية و لعت والرياضة البدنية والصحة النفسية، فتحت أبواباً جديدة لتأ جميعاً لتعيش عصر أطول في اعصل صحة ممكنة كما نيل معلم بها من قبل وهذا الكتاب يقدم ليقدم خلاصة لتلك المكتشفات العلمية الحديثة، ويسمى أن اعراض تقدم التبرير لتعتبر الآن عرضاً مركباً، ليس لتجربة تكبر السن في حد ذاته ولكن لأسباب كثيرة تصاحب ذلك

صناف الرأسمالية والعكر الليبرالي الجديد.

في احتفاحه العدد يتناول محمود أمين العالم في مقال بعنوان، الثقافة والديمقراطية والهيمية الأمريكية ارتباط مفهوم الثقافة بشكل عام بمفهوم العمل التثقيري التجديدي، التثقيري، أنها هي الواقع العربي متراوح بين التاجين، الأقاليم، اقتصاد الأقاليم، الراحة لحضارتها العربية الإسلامية بكل توجهاتها وصراعاتها واختلافاتها وصعودها إفرازات خطيرة لتنهضة الصناعية التي اسطقلت منذ قرون من الزمان، فقد ظهر مفهوم المكث حين

كثير صاحب العمل عن أنيابه لدى تعامله مع العمال، غابت العدالة وساد الحيف والظلم، فقد كان صاحب العمل يستغنى عن عمله حتى المرق الأخير ثم يرسي بهم في عرس الطريق، وكان يسرح العمال بدون أية تعويضات إلا ما قبل الطلب وانخفضت الميامل

ويعد نهج التثقيري عاد رأس المال في الانطلاق في مشواره نحو السيادة والسيطرة في محتصات الدول المتقدمة دون أن تقف في وجهه القوى العاملة، فنشأت رأسمالية متوحشة تبرزت بكونها مزرقة بفكر استثماري جديد.

يقول المؤلف إن عدم ظهور حركات إصلاحية هائلة لتجلب استخدام رأس المال المتراكم في الغرب يعود إلى اتفاق عموي للمصالح بين قيادات العمال في الدول الصناعية وبين أصحاب رأس المال على استغلال الطبقة العاملة في جميع دول العالم لصالح الطرفين بدلاً من الانقصار على استغلال الطبقة العاملة الوطنية في العرب وعن المرأة في المنظومة الرأسمالية يؤكد المؤلف أن النظام الرأسمالي اكتشف أهمية المرأة كوسيلة لتوسيع سلمه، فسرهما لتحليل عائلته مستعلاً نورثها في أعمال تتناهى مع الإنسانية.

يقول المؤلف إن شمة تتناول لا يحترق نفسه حول صفة هذا الكتاب، فهل هو تحليل اقتصادي سياسي أم أنه مجرد نقد اجتماعي؟ أم دعوة مثالية لا تخلو من خيال يبتغى نحو العصفلة... ويجب

إلى الكتاب مزج من كل ذلك. والمؤلف مع رفقه التوضيحية ولفاضاً، لا يفكر بالتأني في نصف حرية الاقتصاد ولا في تعكيد ميكانيكية العرض والطلب، ولكنه في الأساس يشجب الرأسمالية المتوحشة التي يعتمدها إفرازات خطيرة لتنهضة الصناعية التي اسطقلت منذ قرون من الزمان، فقد ظهر مفهوم المكث حين كثير صاحب العمل عن أنيابه لدى تعامله مع العمال، غابت العدالة وساد الحيف والظلم، فقد كان صاحب العمل يستغنى عن عمله حتى المرق الأخير ثم يرسي بهم في عرس الطريق، وكان يسرح العمال بدون أية تعويضات إلا ما قبل الطلب وانخفضت الميامل

ويعد نهج التثقيري عاد رأس المال في الانطلاق في مشواره نحو السيادة والسيطرة في محتصات الدول المتقدمة دون أن تقف في وجهه القوى العاملة، فنشأت رأسمالية متوحشة تبرزت بكونها مزرقة بفكر استثماري جديد.

يقول المؤلف إن عدم ظهور حركات إصلاحية هائلة لتجلب استخدام رأس المال المتراكم في الغرب يعود إلى اتفاق عموي للمصالح بين قيادات العمال في الدول الصناعية وبين أصحاب رأس المال على استغلال الطبقة العاملة في جميع دول العالم لصالح الطرفين بدلاً من الانقصار على استغلال الطبقة العاملة الوطنية في العرب وعن المرأة في المنظومة الرأسمالية يؤكد المؤلف أن النظام الرأسمالي اكتشف أهمية المرأة كوسيلة لتوسيع سلمه، فسرهما لتحليل عائلته مستعلاً نورثها في أعمال تتناهى مع الإنسانية.

يقول المؤلف إن شمة تتناول لا يحترق نفسه حول صفة هذا الكتاب، فهل هو تحليل اقتصادي سياسي أم أنه مجرد نقد اجتماعي؟ أم دعوة مثالية لا تخلو من خيال يبتغى نحو العصفلة... ويجب

نصاً سردياً نضدياً موارياً للنص الأدبي بقدر ما يعلق عليه، فهو مستقل عنه. يتجدد الكتاب من كتابات على الراعي وله حبيب وأخو المهادي وغنيص هلال وعباس خضر وجاسر عصفور، شامخ مصورة لهذا السرد النضدي، وفي ضوئها يمسى الكتاب إلى ما يجد طبيعته هلال السرد النضدي وأياته الخلقية، ثم يسائل على مدى منها تأليه الخلق في تحديده مفهوم الأدب ومفهوم النقد ومفهوم السرد، مقترحاً فضاءاً جديداً لتحليل السرديات، تشجيع الناس وخاصة الباحثين على أن يفكروا هذه العملية التي يضطر إليها النقد اسطراراً، حين يصيدون سرده محتويات النص الذي يعلقون عليه ويسمون سردهم عرضاً وتعليقاً وتسمية يستهدف الكتاب كما يقول مؤلفه أن السرد النضدي، والمؤلف يقول إن هذا الكتاب يعطي اللذاز عن حقيقة مهمة وسيطحة، وهي أن السرد الذي يقدمه الناقد ليس ما يترجمه هو - أو على ما يتوهم الناس - بل تخليصاً محلياً، أو عرضاً دقيقاً للنصوص المروءة، بل هو هي حقيقة سرية مختلفة عن النص انشأها الناقد لأسباب تواصلية تتعلق بخطابه النضدي، وهي تصور لنا فهم الناقد للنص وتجلياته لواجه محلياً الناقد مباشرة.

وهذه السردية النضدية تنطوي، بنظر المؤلف، على سرديات تحتية غامرة، وأخرى فوقية ظاهرة، ولذا تتبع مواد الخطاب النضدي في نصه الخاص تأليماً سردياً له بينته الخاصة ويستون أن يكون النص قصة أو حكاية أو لوحة أو قطعة موسيقية أو أي نوع آخر من أنواع الفنون، فإن الخطبة النضدي آخر الأمر يصعب حيايتها مما يتاح له من مصطلحات يمارس من خلالها آداب اليقظ والتوهم، الحقيقية والخيال، بنشاط خصص.

دور المرأة في رأسمالية تستحق السقوط

د سامي عصامية
دمشق ٢٠٠٤، ٣٣١ صفحة



يتجاوز مضمون هذا الكتاب عنوانه على الخلاف الخارجي... فهناك العديد من القضايا التي حالها المؤلف لا تتعلق بدور المرأة في الرأسمالية التي تستحق السقوط، منها، التمييزات الاجتماعية للعمال المزدحمين، وخسائيتهم، القرن الماضي، وأيضاً فريدة الإنسان العربي، وتجربته مع دور النشر في العالم العربي وغيرها...

قضايا فكرية

القاهرة: مكتبة مدبولي، الكتاب الحادي والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ٥٩٩ صفحة

قضايا فكرية



تمت غزوات، «أطرق إلى عولمة بديلة ديمقراطية، حقل هذا العدد من قضايا فكرية، بالاعتماد من الدراسات التي تبحث عن عالم جديد يختلف عما نريد له السياسات الكبريتية ومحاوالتهم للهيمنة على كوكب الأرض بكل أسواقه بترجم من التاريخ الإنساني قد بلغ نهاية مطلقه عند

الإسلام بالقرب من خلال ما عرف
بالصدام والحوار فكان ذلك في تفسير
أشوات والنشأت الإمام الشيرازي حقيقة
تلك العلاقة وأسلوب صحتها باعتباره
موضوعاً حساساً ومطلوباً الإطلاع على
حقيقة التعامل معه على ضوء تلك
المعرفة.

تاريخ القراءات القرآنية

عبد الهادي الفضلي
دار القلم، ٢٠٠٤



يحتوي هذا الكتاب على دراسة
تتوالى تدوين ما يعرف بالفرائض
شأنها وتطورها ومعناها، والاختلاف
في مقبعتها، ومصادرها التي استنبطت
منها، وأسباب الاختلاف فيها، وأساليبها
والفروق بينها، وإمكان كل قسم، ومعنى
الاحتياط فيها، وما إذا قد انتهت
الدراسة في عرض ما شير إليه، في
طريقة عرض تفصيص الأصول للعامة
والخبين في كل مسألة، مقارنة
وبستلا، وقد جاء الكتاب مقسماً
في ضوء ما تقدم إلى الفصول التالية:
الفصل الأول: نشأة الفرائض وتطورها
الفصل الثاني: التصريف بالفرائض
الفصل الثالث: مصادر الفرائض
الرابع: الاختلاف في الفرائض وأسبابه
الفصل الخامس: الاحتياط في
الفرائض، الفصل السادس: القياس
القرائني، الفصل السابع: الفرائض
والتحديد

اليهود من جزيرة العرب، يختار له عموان.
عبد الحلاء الأول.

بالإضافة إلى ذلك كان الشيخ
الساكت يقصر في أكثر الأحاديث التي
يشرحها على متن حديث واحد. وقد
يضيف في بعض الأحيان متوناً أخرى
يشرحها في مكان واحد.

وفي بعض الأحيان لا تتسع
الصحفان المحدودة في المجلة لنشر
العديد من حلقة واحدة فيسرحه في
موضوعين أو ثلاثة، أما ناشئة لعملية
التخرج الأحدث، فكان لابد يخرج
الأحدث بإجمالاً ولم يذكر الكتب
والأزواج ولا سيما أن أكثر الأحداث
التي تتناقش من الصحفيين أو
أهمها. وقد يذكر في بعض الأحيان
طرق الأخطاء كما في حديث: "الحب
الإلهي: إذا علم الله عبداً نادى
جبريل... قال... قال... والشيخان غير
إن مسلماً أفرد يذكر الخطر الخاطئ:
وإذا أعض هذا جبريل... كما
يذكر في بعض الأحيان ماضع أو ما

الحديث: أما ما رويته في الشرح فقد كان
الغرض الصالحات فيكون شرحه في بيان
الفرقات، ثم المعنى الإجمالي، مشيراً إلى
الطائفة الأولى والرسائل، فشرحنا الحديث
بالحديث، مبرزاً الألفاظ المصطلحة التي
تبين معنى الحديث، ومنها في أكثر من موضع
إلى غير ذلك، والجملة والتامين بين
يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم،
وسمهم عن الأئمة الطائفة، ومنها
إلى كثير من الأبحاث الموضوعية، وما
أصل له ما استشهد به النبي السنتي، التي
فيها مضمرة في اختياره لأحاديث
الأحكام، وقد عرض له أثناء شرحكم
للحديث بعض الأحكام الفقهية، فيشكل
عنها يا حضرات، حيلاً من يريد التوسع
في الأحكام الفقهية إلى المراجع التي
أعتمدت بذلك.

الإسلام والقرب. حوار الحروف
وصدام السيوف

راجی انور ہیفہ
دار العلوم للتحقیق والطباعة والنشر،
۲۰۰۹



إن الحضارة الإسلامية، حضارة عريقة أنجبت للعالم المعلمين البارزين في تاريخ البشرية. المعلم الثامن والثالث بالإضافة إلى الشيخ الرئيس والعديد من العلماء والفلاسفة والفكرين الذين ساهموا في صنع الحضارة الأوروبية.

الدخين وشرب الماء بكثرة، والاحتماء
بروح المرح والتسامح وبغلاقات اجتماعيه
طبيه مع ممارسة الرياضة المعتدله
بانظام والكشف الدوري الشامل وخاصة
بعد منتصف العمر .

من ذخائر السنة النبوية

تأليف: طه محمد الساکت
ترجمة: تحقیق محمد بن أحمد مکی
دار البشائر الاسلامیة - ۲۰۰۷

«من ذخائر السنة النبوية»، كتاب يصم
ناقة عطوفة من رياض السنة النبوية، وهي
مجموع الأحاديث النبوية التي قام
شرحها الشيخ طه محمد الساكت في
محلة الأزهر.

وقد بلغت الأحاديث ١١٩ حديثاً نوبياً،
ومجموعها انتقاه الشيخ المصنف في السلك من
سجدهما أو أحدهما، سوى حديثين
فقط وهما حديث: «من حسن إسلام المرء
تركه ما لا يعنيه»، وحديث: «التمس رضا
الربك ما استطعت»، وقد انتقى
الأحاديث التي قام بشرحها في جوامع
كلمه على الله عليه وسلم، ورواها
تواترها، حسب المناسبات المتضمنة
لذلك، فهي انتقاء السليمة الهجيرة مختار
غالبها حديثاً يتعلق بالهجرة النبوية
عامة، مثل حديث: «لا هجرة بعد
الفتح»، وحديث: «لا هجرة بعد
الفتح»، وحديث: «لا هجرة بعد

وَالِي شَهْر رَمَضَانَ يَخْتَارُ فِي بَعْضِ
السَّوَاتِ الْأَحَادِيثَ الْمُعْتَمَدَةَ لِلْإِسْلَامِ
وَيُظَلِّمُ. حَدِيثُكَ كَمَا كُنْتَ تَعْلَمُ ابْنَ أَدَمَ لَمْ
يُصِمْ. وَفِي شَهْرِ رَجَبٍ الْأَوَّلِ يَخْتَارُ
غَالِبًا: أَحَادِيثُ تَحْتَاطُ بِالْمَوْلَةِ النَّبَوِيَّةِ
الشَّرِيفَةِ وَأَحْلَاقُهَا الْحَمِيدَةِ وَشَمَائِلُهَا
الْمُجِيدَةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيُشْرِقُ
حَدِيثُ عِيدِ اللَّهِ بِنِ عَمْرٍو فِي صَبْغَتِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّوَارِدَةِ. وَيُضَرِّقُ
حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ أَبِي سَلَمَةَ بِمَنْزُورٍ، هَذَا فِي
النُّومِ، وَيَكْتُبُ حَوْلَ الْجِهَادِ عِدَّةَ أَحَادِيثٍ
فِي حَرْفِ عَلَى الْجِهَادِ، بِمَنْزَبَةِ الْفَارَةِ

وهكذا ينوع اختياره للأحاديث
ثبوتية، باختلاف الدواعي والمناسبات،
وأحياناً يشرح بعض الأحاديث استجابة
لرغبة يضرر أساتذته وإخوانه
وأما طريقته في الشرح، فكان الشيخ
طه السالك يختار الكثير من العناوين من
تراجم البخاري هي صحيحة كما في
قصة أبي طالب،

وقد يختار عنوان الحديث من لفظه الحديث نفسها كما في أول حديث شرحه، من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه، كما انه يحسن اختيار العناوين التي يربط فيها الماضي بالحاضر ويطبقة على الواقع كما في شرحه لحديث اجلاء

مثل سوء التعدية أو قلة الحركة أو التذحيث أو العصبية وغير ذلك من العادات السيئة. ويستطيع الإنسان إذا ما اتبع نظاماً عادساً وسلوكياً معيناً ومعتدلاً في حياته أن يؤجل ظهور تلك الأعراض إلى ما شاء الله وهو يتمتع بالحياة والنضارة والشباب.

يحتوى الكتاب فصولا عن التعذية
الصحة والهرم الغذائى وهو مجموعة
الغذاء والسكريات ويجب ان يتناولها
الإنسان باقل كمية ممكنة. ومجموعة
البروتينات ويجب ان يتناولها باعتدال،
ومجموعة الخضروات والفواكه ويجب
تناولها بكثرة. ومجموعة الشحائات وهى
تكون قاعدة الهرم حيث يتناولها الإنسان
عادة بكميات اكبر من غيرها كل يوم

كما يتعصر من الكتابات البيهقيّة ما هو
الضادّ لغيره، وأقرّها على طرف أعرض
البيهقيّة إلى التمسك بالاعتقاد دهرام
الاستاذ الطيّب جامعة نيسراسكا،
وهي تنتج خلال استعمال الخلايا
الكاسيخين في الدم القويّود مثل سكر
الجلوكوز، بوجوده في المرقّ، فيقد
بعض جزيئات الكاسيخين أحد
الأيونات، الجزيئات المائية، وهي في
يطلق عليه الضادّ لغيره، أو، المؤكّدات،
وهي السطوة على استنبوغة، كما أنّها
تحدثه الأكدس في الماء الحيدريد ويقدّم
الكتاب البيهقيّ هاموّة، طرّده هذه الضادّة
من خلال أنّها فيتميّات ومعادن مهمّة
على رأسها هيمن: ثا، الفيتامينات
لقاومة الضادّة، بالإضافة إلى
A و B و C و E، مركّبات، والاسيوم
والنيوسيوم والكروم والترك، غسل السجل
في الماء.

ويستعرض الكتاب تأثيرات
ايليا لوتنوف والقهوة والشاي والاعشاب
الطبيعية على صحة الإنسان ويوضح
فوائدها ومبادئ الإكثار منها، ويبين
الكتاب أيضا أهمية الرياضة باعتبارها سر
الحياتة والحبوة

وفي فصل آخر، يقدم الكتاب وصفة علمية لمقاومة ضغوط الحياة، ويقدم أيضاً تمارين تساعد على مواجهة التوتر والالتئاب وتجديد النشاط.

ويولى الكتاب عادة التدخين اهتماماً كبيراً، ويؤكد احتياضها التدميرية على صحة الإنسان وكيفية الإقلاع عن التدخين وكذلك الإقلاع عن إدمان الكحول والمخدرات.

كما يقدم الكتاب أيضاً عرضاً مفصلاً للأمراض والأعراض المرتبطة بالتقدم في العمر وسبل الوقاية منها بالإضافة إلى وصايا عشر للحفاظ على الصحة الجسدية والحيوية والتأهيل لمرضى شتات الكثير من الخصور والفائدة باعتبارها مصدراً طبيعياً يمد الجسم بالمواد الحادة لئلا يسهل مما يساعد على مواجهة الكثير من الأمراض كالسرطان وأضرار القلب ونقص المناعة، مع أهمية تناول كميات اللحوم الحمراء والسكريات، مع الإكثار

الرابع فيدور حول الاحتكار والمنافسة في السوق المصري. ويبحث في الليات نشوء الاحتكارات. والآثار الناجمة عن الاحتكار واليات محاربتة. ويدور الفصل الخامس حول مشكلة البطالة في مصر. وفي آخر فصل من الكتاب يطرح المؤلف تسلاولا مهما حول طبيعة الدولة في مصر: الرأسمالية أم ديمقراطية السوق. ويستعرض فيه عددا من آراء الاقتصاديين البارزين في مصر.

آراء في دفتر الأدب والفن

يسرى حسين
القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠١
٢٤٢ صفحة



هذا الكتاب هو نتاج رحلة طويلة في عالم الكتابة والقراءة المتصلة. قطعها

الأوامر والتخطيط المركزي الذي كان سائدا خلال حقبة الستينيات.

ويؤكد الكاتب أن اقتصاد السوق بشكل عام يمر بإزمات الأمان من نوع مختلف فهي السابق كانت الأزمات تحدث في أسواق السلع ثم تمتد إلى الأسواق الأخرى النقدية. أما الآن فقد أصبحت الأزمة تحدث في أي من هذه الأسواق

يتناول الكتاب في فصله الأول «الجنينة المصرية من التثقيت في سعر صرفه إلى تحريرها، وما شهدته سوق الصرف الأجنبي في مصر من تطورات منذ عام ١٨٣٠ حتى الآن. بالإضافة إلى تقديم عدد من السياسات المقترحة لعلاج الأوضاع في هذا السوق بإصلاح الجهاز المصرفي وشركات مصرفها وغيرها من الخطوات.

ويتناول الفصل الثاني بحث ما يتعلق بسعر الفائدة وأثره على الاستثمار والادخار، والتي ينبغي تحديدها في إطار منظومة كاملة من الإجراءات والسياسات تضمن علاج الاختلالات الأساسية في نية الاقتصاد القومي.

ويتناول الفصل الثالث القطاع الخاص وعملية التخصيم في مصر، وصورة استيعاده على الاستثمارات المتوافقة كما يحدث الآن. أما الفصل

أدب المرأة والكتابات النسوية وأعمال الأديبة المصرية أهداف سوف ولقائاته مع الكاتب الكبير أحمد عباس صالح. بالإضافة إلى دور الناقد الراحل الكبير على الراعي في دعم مسيرة الأدب العربي. كما يلقي المؤلف الضوء على الشعر الإنجليزى من خلال دراسة للدكتورة فاطمة موسى. ويتناول أيضا عبر عدد من العناوين الجذابة قضايا صعبة بأسلوب سهل متنوع منها «دولة الشعر أم رمت الرواية؟»، الذي يطرح من خلاله المؤلف العلاقة بين الشعر والرواية من خلال دراسة للدكتور جابر عصمور. ويخوض كذلك في بعض كتابات نوال السعداوى التي قست ترجمتها للأنجليزية. كما يعطى أيضا على كتاب نشر للكاتب الراحل أحمد بهاء الدين بعنوان «الجنون والسلطة في عالما العربي» والذي كتبه مقدمته محمد حسين هيكل. وأيضا كتاب «ما قبل وما بعول» للكاتب خالد القشطيني. والاشترار وإبطل القومى، للدكتور صلاح فياض. بالإضافة إلى كتاب انتباهات في التراث، للكاتب والصفي العراقي عبد المظم الأسم.

دوريات

الأدب

بيروت ديسمبر ٢٠٠١



تحت عنوان «اللاجئون الفلسطينيين: المسئولية والحلول»، استعرض هذا العدد أكثر من محور في هذه القضية الشائكة في ملف استحوذ على أكثر من نصف صفحات المجلة. ودور حول مسئولية إسرائيل تجاه هؤلاء اللاجئين، ومسئولية الأمم المتحدة وحماية هؤلاء اللاجئين. والبحث عن حل عادل لشكلتهم من خلال نقض قانون العودة الإسرائيلي، وحركة العودة الفلسطينية بين الواقع والطموح. وأخيرا اليوم لا يجن من فلسطين إلى الشتات

ضم العدد أيضا الجزء الثاني من دراسة الحركة الشيوعية العربية لعبد

العازر شكر. بالإضافة إلى ملف بعنوان «الحزبان يعينون مغربية».

أدب ونقد

القاهرة: التجمع الوطني للتقدمي
الرحموي. العدد ٢٢٢



يحتوي هذا العدد على مقالة كتبها الشيخ مصطفى عبد الرزاق شيخ الجامع الأزهر عام ١٩٣٧ بعنوان «مذكرات مسافر» كما تحتوي على دراسة بعنوان «مستقبل الثقافة العربية في عصر العولمة» للدكتور محمد إسماعيل.

أما ملف العدد فيدور حول الكاتب الكبير رجاء النعاش. شارك في كتابة مودة أحمد عبد المعطي حجازي. ود. شهيدة الباز. ود. صلاح السروي وأحمد

المؤلف في تأمل العالم من حوله عبر الناضدة المصرية رغم إقامته في بريطانيا منذ سنوات عديدة.

يستعمل المؤلف كتابه برحلة في المعامل الفكرية والثقافية والإبداعية لدى عدد من الأدياء والشعراء والفكرين منهم العقاد ونجيب محفوظ ومحمد عيسى مطر. وحلمي سالم وسعد الدين هنية ومحمود السعدلى ود. مصطفى بدوي والطبيب صالح وإحسان عبيد القوس وغيرهم. وفي خلال هذه الرحلة يضيء الكتاب مناطق جديدة لدى هؤلاء الأدياء والفكرين في مصاصات كأنها تعيد اكتشاف جوانب غير معروفة لديهم. وقد يكون هذا صحيحا بالفعل من خلال رؤية المؤلف الجديدة لهم وأعمالهم.

ويقدم المؤلف في الجزء الثاني من كتابه أراء نقدية لعدد من القصص والروايات منها المجموعة القصصية «أشباح المزارع» لعبد الله محمد ناصر. ومجموعة ثمة أخرى للآديبة العراقية هيفاء زكّانة وغيرها. كما يطرح أيضا آراءه النقدية حول الأفلام والأغاني والأوبرا والفنون التشكيلية.

أما في الجزء الثالث من الكتاب، فقد عالج المؤلف عددا من قضايا الأدب والاشتباع والتراث، استلهاها بالحدثين عن

إسماعيل وحلمى سالم.

يضم العدد أيضا عددا من المقالات في النقد الأدبي والسينما والترجمات. وكذلك عرضا سريعا لبعض الكتب.

دراسات مستقبلية

القاهرة: جامعة أسيوط. مركز دراسات المستقبل



يشتمل هذا العدد من هذه المجلة القصيلة التي تراس تحريرها د. محمد إبراهيم منصور، على عدد من الأبحاث المميزة، منها بحث بعنوان «التمدد والأمن القومي العربي» للدكتور مخلد مصطفىين الأستاذ بجامعة مؤتة الأردنية. بالإضافة إلى بحث آخر بعنوان «خيار السوق الشرق أوسطية» رؤية تقويمية، للدكتور منير

محمد بدوي الأستاذ المساعد بجامعة أسيوط

مجلة الدراسات الفلسطينية

بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. بيروت. ١٩٢. ٢٠٠١. ٥ صفحات



يستهل هذا العدد أولى صفحاته بعرض ما جاء في ندوة بعنوان «الأزمة الفلسطينية: الرهانة في ضوء تطورات المشروع الصهيوني».

وتتوالى دراسة للدكتور صبرى حافظ. أستاذ الأدب العربي الحديث والأدب المقارن، بجامعة لندن، «ميراث إدوارد سعيد الثقافي في العالم العربي»، كما ضم العدد أيضا ثلاث مقالات عن أحداث غزة.

الظاهرة اليهودية وتحولاتها عبر التاريخ



دفاع عن الإنسان

دراسات نظرية وتطبيقية في النماذج
المركزية
عبد الوهاب المسيري
القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٣

يتنوع حقل الدراسات في العلوم الإنسانية ككل اتجاهين متضادين - أولهما، اتجاه نحو التخصص المتطرف الذي يرس كل ظاهرة بوصفها ظاهرة فريدة لا يمكن أن تتكرر تحت أي معد أو نموذج فلتصبح مستكملة مداتها ومرجعية ذاتها وهو ما يسميه المسيري عبد الوهاب المسيري بالأيثنية، أي تصعب الظاهرة كالأيثنية لا تشير إلا إلى (داتها).

والأجاء الثاني، هو الاتجاه نحو التعميم المتطرف الذي يفقد الظاهرة موضوع الدراسة أي خصوصية حصارية أو الشبه أو القصدية. وكلا الاتجاهين، يشرع نحو التخصص المتطرف، الذي عادة ما يعمر عن معلومة، مادية لا تخدم خصوصية الظاهرة الإنسانية وتسقط في ثأية القانون، (العلمي، على حساب المثنى الخاص بالظاهرة الإنسانية). يجهلنا غير قادرين على فهم الواقع حق العمق وإدراكه بطريقة مركبة وتصويره بطريقة معقولة.

ويرى الدكتور عبد الوهاب المسيري في كتابه، دفاع عن الإنسان، أن التمازج المركبة أدات تحليلية تساهم في تجاوز الاستقطاب والأجائية والتأرجح بين الدماء والخاص السابق الإشارة إليها. والنموذج المركب الذي يطرحه الدكتور المسيري في هذا الكتاب، هو نموذج «الجماعات الوظيفية»، وهو مفهوم تحليلي يمكن أن تصفه بأنه قديم، جديد، فهو قديم، مبرهن أن كثيرا من المفكرين في العصور أن استخدموا دون سميته.

ويرغم أهمية هذه الحلول، ويرغم ارتفاع مقرراتها التصورية، فإن الدكتور المسيري أبدى عداً من الملاحظات أهمها ما يلي:

١- كما هو متوقع، ركز العلماء والدارسون العرب، حبسوا التجربة العربية، جل اهتمامهم على جماعات وظيفية أساسيتين.

(١) الجماعات الأثنية التي تصطلع

مور مالي تجاري من خلال رأس المال البشري أو البروي في المجتمعات القديمة أو الوسيطة وهذا يشكل جزءاً من اهتمام العلماء والدارسين العربيين بتاريخ الرأسمالية العربية (ب) المهاجرون بانتماثلهم الأثني والوطني المتميز، وهذا يشكل جزءاً من اهتمام العلماء والدارسين العربيين بمشكلة أساسية دواجها المجتمعات العربية الحديثة.

٢- أهمل علم الاجتماع العربي المجتمعات الوظيفية الأثنية فلم يدرسوها أصلاً أو قلوا بدراسة وكأنها لا علاقة لها بالجماعات الوظيفية التجارية والمالية. ولذا فهم يتعاملون مع ظواهر مثل الهجرة والهجرات والجوار والماليك والانتشارية والغبيا بوصفها ظواهر غير ذات صلة.

٣- أهمل علماء الاجتماع الغربيون الجانب غير الاقتصادي، للجماعات الوظيفية، مثل علاقتها بالجماعات الشاملة وميلهم نحو الحلولية الكونية، وتركزهم حول دأهم وزيهم للكون، إذ تعرضوا لها بشكل سطحي.

٤- أهمل مصطلح المجتمعات الوظيفية، قام بوضعه الدكتور المسيري، استناداً إلى مصطلحات قريبة في علم الاجتماع لوصف مجموعات بشرية تستجيبها المجتمعات الإنسانية، من خارجها من معضم الأميان، أو تجندها من بين أعضاء المجتمع أنفسهم من بين الأقليات الأثنية أو الدينية، أو حتى من بعض القرى أو العائلات.

ثم يوكل أعضاء هذه المجموعات البشرية أو الجماعات الوظيفية وظائف شتى لا يمكن لعابتيه أعضاء المجتمع الانضباط بها لأسباب مختلفة. والسؤال الذي يطرحه علينا الدكتور المسيري ما هي أسباب وتاريخ تحول الجماعات الوظيفية إلى جماعات وظيفية ولإجاءة من هذا التلاؤل لا يمكن أن تستخدم نموذج مركب يعود بجذور الظاهرة إلى مراحل تاريخية كثيرة وإلى العناصر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

١- يبدو أن المبرانيين، منذ بداية ظهورهم في التاريخ، كانوا يشكلون جماعة وظيفية. فقد كانوا بدوا وحل تجنهم المجتمعات المختلفة للانضباط ببيهم الوظائف التي يأنف أعضاء الأثنية في القيام بها. وكلمة، خابرو، وهي يقال أنها أصل كلمة، عبر، تعني العبد الذي أصبح كذلك بيمض اختياره، أي مرتزق. ٢- كانت الملكية البروانية المتحدة والمملكتان العبرانيان بعدها، دولة ضعيفة غير قادرة على حماية رعاياها.

الأمر الذي أسفر عن أسر العشرات وربما الألوف منهم، حيث هجروا إلى بابل وأشور فتحولوا إلى جماعة بشرية غريبة يمكن تجنيدهم بوصفهم مرتزقة أو مستوطنين. كما أنهم تخلصوا هناك في وظائف يبعثها دون غيرها ٣- استمر العبرانيون في العمل بالزراعة بعد التهجير البابلي، وإن بدأت تظهر بينهم قطاعات من الأثرياء الذين بدأوا يعملون في التجارة وأعمال الصرافة. كما تزايد عدد اليهود المرتزقة. وبدأت بعض الجماعات اليهودية تتحول إلى جماعة وظيفية استيطانية وقائية وتجارية.

٤- ما عاق هذا الاتجاه، وجود كثير من الجماعات اليهودية في الشرق الأوسط وفي حوض البحر المتوسط، وهي منطقة سيطرت عليها كثير من الإمبراطوريات، الواحدة تلو الأخرى، وكانت القوى الإمبراطورية المساعدة تتحالف مع أعضاء الجماعات اليهودية نظراً لعدم خشيته منهم في صفوفها ومتركة مرتزقة أو مستوطنين أو حتى جواسيس.

٥- كانت فكرة الوطن الأصلي، مركز الاهتمام الديني لأعضاء الجماعات اليهودية، لتساعده على إضفاء لملائهم بطونهم الجديد، وعلى تعزيزهم من معتماتهم، وعلى العلاقات على أنفسهم. وكان من الممكن أن تخشى هذه الجماعات شاماً بسلطوهم الهل، ولكن ذلك حدث أن فكرة الوطن الأصلي (الحنيني إلى صهيون)، لا محل الوطن الأصلي، وهو ما أعطى أعضاء الجماعات اليهودية تماسكاً شتياً، ولكنه تأسك، وهو لم يدع هناك مركز فرسي على يحد المعايير الدينية أو القومية.

٦- طبيعة التمتع الإقطاعي في الغرب من أهم العوامل التي أدت إلى تحول كثير من الجماعات اليهودية إلى جماعات وظيفية.

٧- ويرغم أهمية كل الأسباب السابقة، فإن أهم أسباب تحول الجماعات اليهودية إلى جماعات وظيفية هو علاقتهم بالزراعة وملكيتهم الأرض الزراعية.

وبين لنا الدكتور عبد الوهاب المسيري بعض الأسباب المتمثلة التي تؤدي إلى ظهور الدماء للهود: ١- لا بد أن نعرف بأن الدماء للهود، بوصفه شكلاً من أشكال الدماء للأقليات والغبيا والأجانب والأخرى على وجه العموم، وهو إمكانية كامة في النفس البشرية التي تشرع من كل ما هو غير مأثور، وبالتالي هو إمكانية كامة في كل المجتمعات ٢- لعل من أهم الأسباب التي أدت

إلى ظهور معاداة اليهود وانتقالها من حالة الكمون إلى مستوى البشنة والاجتماعية والعمل الاجتماعي أن معظم الجماعات اليهودية كانت تشكل جماعات وظيفية قتالية وتجارية في المجتمعات القديمة. وكذلك في المجتمع الغربي في العصر الوسيط حتى القرن التاسع عشر.

لقد هالج الدكتور عبد الوهاب المسيري في الفصل الرابع لخصية «الحسدية والصهيونية، أهم حركة دينية يهودية في العصر الحديث بوصفها حركة دينية مسيحية يهودية خلقت تربة خصبة لتطور الصهيونية. ويتناول الفصل الخامس أسألة معاداة السامية، والساس معاداة اليهود، تمليك وتركيب ثلاث حالات، والسابع، «العبرية اليهودية»، وتحاول هذه الفصول أن تبين أن من يؤمن بمعاداة السامية ويكره اليهود ويراهم خطراً على البشرية، لا يختلف كثيراً عن مؤمن بمبقرية اليهود ويرى أنهم أهم مصدر خير للبشرية فقللها يخرج اليهود من نطاق ما هو إنساني أو يراه مألوكاً وشياطين

ويتناول الفصل الثامن، وما ساداه بين التشريع العربي والأساطورة الأشرائية، أن كثير من يمين وظف الصهاينة والفة تاريخية مشكوكا فيها، فحولها إلى أسطورة قومية أساسية من خلال استخدام التمازج الأشرائية، ويتناول الفصل التاسع محاولة تفسير الإبداء الذاتية لليهود أوروبا، ظاهرة المرحقة الثائرة، ويشرح تصورها من الحار، وضعها في السياق الغربي الحديث، ثم يبعها في سافها الألمان واليهود.

ويتناول الفصل العاشر، وحالات المرحقة والجماعات اليهودية، وأحادى عشر، للمسوق، ظاهريتين تاريخيتين تشغلان الوجدان العربي في الوقت الحاضر. ويحاول الفصل تقديم رؤية مركبة تدرس العناصر الدينية والاقتصادية والحضارية التي أدت إلى تحريه حالات الفرحنة ضد المسلمين وإلى انتشار المسوق، ويتناول الفصل الثاني عشر والأخير، «التحرف والنامت القومية، إشكالية جديدة بعض الشيء، في العلاقة العربية على إشكالية التي معمار التحرف وطريقة ترتيب مقترحاته بنموذج الذات القومية والأشكالية كان أم مركباً. الكامن وراءها، وقد قصد المؤلف اختيار موضوعات مختلفة قد لا يربطها رابطة، حتى تبين الأهمية التحليلية والتفسيرية للنماذج المركبة.

محمد صلاح يسين غازی

العبد الثاني والمسيون، يناير ٢٠٠٥ م

نتيجة للأزمة المالية التي جلبتها حرب أكتوبر عام ١٩٧٢.

وفي هذا الكتاب ينتقد سعيد قرار الرئيس السادات بإعطاء أولوية للحساب والصناعات الخدمية على التصنيع

ويوضح كيف أن ذلك القرار بإضاعة إلى ريادة الصناد من السبعينيات فصاعداً قد أجبره على تقديم استقالته.

إن دعوة الأزمة جاءت في عام ١٩٨١، حينما أصدر الرئيس السادات قبل اغتياله بأسابيع قراراً باعتقال سعيد ضمن ألف وخمسمائة شخصية دينية وسياسية عامة.

لقد كان رشدي سعيد شاهد عيان على العديد من مظاهر الحياة في تاريخ مصر الحديث، ولكن تأريخه الخاص - أسرته، تعليمه، اهتمامه كطبيب بهجوم الإقياط في المجتمع المصري من الأمور الكاشفة للقيمة في هذا الكتاب الذي يعد دليلاً لكل المهتمين بمعرفة كيف كانت الحياة تسير في مصر في ماضيها الوشيك.

The Mysteries

(الغموض)

Robert McGill

Jonathan Cape 320 PP, £10.99 2004



وربرت المسافر الصمير، يجد لمسه في مدينة صغيرة تابعة لأونتاريو تدعى سانشاين، في وسط أحد التمزجات هناك، يعطيه أحد الغريباء نوتة قدره لونها اصفر كان قد انتقها من الطريق، وطلب منه إعطائها لأمرأة تدعى أليس بيمبرسون. ولكن أليس اختلفت منذ عامين.

وقبل مجيء وربرت يستة أشهر، وجدت بعض نفايا إنسان على الشاطئ الذي القبض على شتودارت هيرمين للاشتباه في القتل.

أما دانييل باري، السذي الرئيط بمعلقة غراميه مع أليس والذي كان قد سافر إلى إنجلترا في الحال بعد اختفائها، عاد بشكل غير متوقع إلى سانشاين.

لروي الرواية، لزم احتفاء أليس، من وجهات نظر عد من أبناء المدينة، وحيث ينكشف العزم تدريجياً، تنكشف معه أسرار سكان المدينة

A Century of Philosophy

(قرن من الفلسفة)

Hanz George Gadamer in

Conversation with Ricardo

Dotton

Continuum, 162pp, £ 16.99,

2004



هانز جورج جادامير هو أحد الفلاسفة الهيمن في القرن الماخر، توفي في مارس ٢٠٠٢، ويحتوي هذا الكتاب بعضاً من آخر حواراته التي أدلى بها، عشرة حوارات تصعب فلسفة جادامير في سياق ما سمي بأكثر القرون مدوية في التاريخ الإنساني. وفي هذا الكتاب يخاطب جادامير أعمال فلاسفة مثل هايدجر، نيتشه، بوهر، فيكو، هابرماس، ووردا، ويحلل الفلسفة الألمانية خلال الفترة النازية.

يعد هذا الكتاب أكثر الكتب في المكتبة الإنجليزية حتى الآن تعبيراً عن حياة وأعمال جادامير.

Science & Politics in Egypt

A life's Journey

(العلم والسياسة في مصر)
(رحلة حياة)

Rushdi Said

AUC Press 2004



كان رشدي سعيد أحد أفضل الجيلين الذين في مصر في فترة حكم الرئيس جمال عبد الناصر، حيث كان موظفاً عاماً ورئيس مؤسسة الفصح القومي، المشغولة مع مسح الصحراء المصرية من أجل الكشف عن مستودعات المعادن الطبيعية.

إن المذكرات الشخصية لا تلقي الضوء المهر فقط على المسوح الجيولوجية ومشايخ التنقيب في المناجم في كل الوقت، ولكن أيضاً على سياسة التصنيع إلى عبد الناصر. كان رشدي سعيد مسانداً حماسياً لها - وتأثير سياسة الانفتاح الساداتية على ذلك التصنيع، والتي وأها سعيد بمثابة

والقابات، يستعيد مايكل حاج الحياة المضطربة للمدينة، شكلها الكورمبوليتانيون و شخصياتها الأدبية

لقد أثارت الإسكندرية دوماً خيال الكاتب، ويضمر هاج بعض الحكايات الحميمة عن فورستر، والشاعر اليوناني قنسطانتين كفافيس ولورانس داريل بحكايات من سكان المدينة

إنه يتذكر أيضاً تجربة المدينة في الحروب العالميتين ويكتشف المجتمعات التي منحت الإسكندرية مثاقها الفريد: المجتمعات اليونانية والإيطالية واليهودية

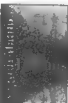
ومعازرة يربط الكتاب بين الحس والعاطفي والحياة الحسية في هذه المدينة العريضة، ويلقي الضوء على التغيرات الاجتماعية والمفاهيم على مر العقود والتي قادت إلى مصر في مرحلة عبد الناصر.

The Dreams

(الأحلام)

Naguib Mahfouz

AUC Press, 2004



في هذه المجموعة من أكثر قصصه جدة وفصراً، يخض الروائي العالمي نجيب محفوظ من الشكل القصصى إلى الفن مستوفاً، مع الاحتفاظ بأصانيدته

المروعة في فن الحكى القصص. وفي إحدى قصص المجموعة يجد رجل أن كل الشوارع في محيط جبرته قد تحولت إلى سربك - ولكن فرحته بهذا المشهد تغير إلى غضب حينما يتبين أنه لا يستطيع الفرار من السربك إلى أي مكان آخر، حتى في منزله الخاص

مجموعة من الأصقاء الحميمين يتقابلون لتبادل النكت في حارة مأوفة - ليوافوا فجأة بفتيات مدمر والذي هو بمثابة انتقام ملكة مصرية قديمة من رجال قاموا بقتل زوجها.

هذه هي بعض الأحلام القصصية المذكورة في كتاب الأحلام عمله الأول الكبير منذ محاولة الهجوم عليه بسكين من قبل بعض المتصمين القديسين عام ١٩٤٤. الحادثة التي اكتفت قدرته على الكتابة لأعوام عديدة إن هذا الكتاب يمثل مجموعة مكتشف بشكل ذري لأكثر من تسعة عقود من العبقرية الفنية والتجربة اليومية.

Upper Egypt

Identity and Change

(صعيد مصر... الهوية والتغيير)

Nicholas Hopkins

And Reem Saad

AUC Press 2004



عالمياً ما يصور صعيد مصر كمصدر للقلق والاضطراب في نطاق النظام المصري الأوسع. لكن كذا الكتاب يصمم الصورة عن طريق رسم النظام في حياة ذي مغزى لأهل الصعيد.

إن هذا النظام مبني على أساس حس قوي بالهوية الإقليمية وأيضاً الهوية الدينية والأسرية، وعلى الجيش الاقتصادية، السياسية، الدينية التي تقدم سياق أداء سكان هذا الإقليم

يحتوي الكتاب على إسهامات من أربعة عشر من المؤرخين والمتخصصين في علم الإنسان (الانثروبولوجيا) يناقشون فيها قضايا مثل العلاقة بين الدين والمجتمع، والكون المتسع من الأسرة إلى المجتمع إلى الإقليم ثم إلى العالم، وموقع القرى، الأقاليم، والقبائل في البنية الإقليمية.

لقد وضع كل ذلك في سياق التغيير الذي أحدثته الرأسمالية، والوسط الذي ضاربه البهرق والطبيعة والسياسة، والأفكار المتطورة عن الهوية الدينية والإقليمية.

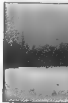
يهدف هذا الكتاب للوصول إلى المتخصصين في مجال الدراسات الاجتماعية في الشرق الأوسط، وكل من يبحث من منجم متجدد لهذه المنطقة البحثية المهمة.

Alexandria... City of Memory

(الإسكندرية... مدينة الذاكرة)

Michael Haag

AUC Press



يرسم هذا الكتاب ببورتيرة أمياً واجتماعياً وسياسياً الإسكندرية خلال النصف الأول من القرن العشرين، وهو ما يمثل مرحلة هامة في تاريخ المدينة. معتمداً على المذكرات والخطابات

كتاب الزاوية

نجيب محفوظ

أصداء من الحكمة

في غمرة الهموم الخاصة المتمتع خفق فؤاد الوطن حقة
اليمة عميقة يموت الزعيم سعد زغلول. شد ما ذهلتنا
واشتلت جوانحنا بنار الحزن والحسرات. حتى طاهر عبيد
وجم وأسف بعد أن أظلت زعامة الراحل الجميع في الائتلاف
الوطني وأحبه الخصوم مع المريدين والأتباع. وكل منا له
حكاية عن الخير في أسرته وما أسال من دموع. كل عين
بكت سعد وكل قلب امتلأ بالشجن. وسال صادق طاهر
عبد:

- كيف تلقى عبيد باشا وإنصاف هائم الحبر؟
فاجاب:

- بالحنن طبعاً، وقال أبى إنه في أعوامه الأخيرة كثر
عن ماضيه وأصبح أباً للشعب والوطنية..
ذهبت جماعتنا إلى ميدان الأوبرا وانحشرونا في الجموع
الحزينة الواجمة ننظر، وعندما لاح النعش فوق المدفع
ارتفعت صرخات الأسمى إلى سماء أغسطس الصافية التي
تقطر حرارة ورطوبة. وجرفنا التيار وراء الجنازة إلى شارع
محمد علي، وهناك اختلطت الهتافات بصوات المطلات من
الزواهد والشرفات. ورجعنا إلى العباسية صامتين بلا سعد.
ونحوض أمواجاً جديدة من تاريخنا المغمم بالحرارة والقلق.
فنباع خليفة سعد ونزق ما يلوح في السماء من نذر
وشائر

عن قشتمر

مثنقو الممارسة ور مثنقو السلطة في مصر،

مرئى أن القراء في العدد الأخير
لمجلة الكتب وجهات نظر، (ديسمبر
٢٠٠٤) عرضاً مطولاً للترجمة العربية
لكتابي «بين كتبة وكتاب. الحقل الأدبي
في مصر المعاصرة، (القاهرة). دار
المستقبل العربي، (٢٠٠٤) ونظراً
للإحترام الذي أكنه لمجلتكم الرائدة
ولقراءها، أجد نفسي مضطراً إلى
التعليق على بعض ما جاء في عرض
الزميل الدكتور حلمي محمد القاعود.
ولا أتصدى في هذا التعليق للأحكام
التي يطبقها الرميل على بحثي وعلى
الكتاب الذين تناولتهم فيه، فهو حر
فيها ولقارئ عرصة، بدوره، كامل الحرية
في أن يقبل هذه الأحكام أو يرفضها.
وإنما يهمني هنا التذكير ببعض قواعد
الكتابة الصحفية والعلمية - التي
أهمها، فضل وضلل معه قراء وجهات
نظر.

أهم هذه القواعد، خاصة ونحن في
صدد عرض كتاب وفي مجلة متخصصة
في عرض الكتب، هي أن يلتزم الكاتب
بالعلامات الكتابية والصياغات التي
تحدد هوية صاحب الحديث. فقد
استشهد د. القاعود بجمل بل وفقرات
كاملة من كتابي دون أن يبين ذلك
باستخدام الأقواس أو الأملء، وبالتالي
لا يستطيع قارئ عرضه أن يحدد إن كان
ما يقرأ ينسب إلى د. القاعود أم إلى
والأدهى أن د. القاعود لا يقر، عندما
يستشهد بكتابين بين حديثي أنا مؤلف
الكتاب والقول أن استشهد بهم من كتاب
ونقاد، فيكتب:.... يوسف السباعي الذي
يسميه المؤلف - في ثيرة ساهرة - جنرال
جيش الأدب، مع أن هذا التعبير ورد
في كتابي (٣٠) بين هلايين ومنسوبا
إلى جموع الأدباء الذين صاغوا هذا
المثب - الساخر فعلاً أو ينقل د.
القاعود وصفين (ساخرين أيضاً) لمقامي
المثقفين استعزتهما من مقالين لمحمد
عفيفي مطر وصنع الله إبراهيم دون أي
إشارة إليهما وكأنني صاحب هذه الأقوال،
وهلم جرا.

والساعة ليست - كما قد يتصورها
القارئ - مسألة شكلية، بل إنها تتعلق
بصميم مجهود ومهني العلمى. فلأن

ترحب وجهات نظر، بما يرد لها من رسائل تعليقية على
ما ينشر بها من موضوعات ومقالات، ونحرص على نشرها.
مع التأكيد على أن ما تتضمنه من آراء، مثلها مثل المقالات ذاتها.
لا تمبر بالضرورة أن رأى المجلة أو هيئة تحريرها

بمصد رصد ما يجري في الحقل الأدبي
وتحليل الخطاب السائد فيه والذي يكون
ما أسميه «العقيدة الأدبية السائدة»
وكلمة عقيدة هنا تأتي لترجمة كلمة
doxa اليونانية والتي تستخدم في علم
الاجتماع للإشارة إلى مجمل المعتقدات
السائدة في مجتمع ما أو في فئة
اجتماعية ما. من الغريب أن كتب د.
القاعود، يبدأ جاكسون كتابه بالتركيز
على حادثة الاعتداء على نجيب
محفوظ (...). ليصل إلى أن الكتاب هو
«ضمير مصر الحى» (...). بينما كتب:
«جميع الأصوات المهمة في صفوف
الانجلنتسيا المصرية وأصوات أخرى قد
تلاققت لتوجيه التحية إلى ضمير مصر
الحى» (...). (١٣ من الكتاب). ومن
البيدهى أدنى أورد هنا تعبيراً شائعاً لم
ابتكروا! بل إن كل ما يشغلي في كتابي
هذا هو تحليل مثل هذه المقلوبات
الشائعة وشرح شروط إنتاجها
الاجتماعية والتاريخية.

والواقع أن د. القاعود، بإفلاسه
المسافة بين خطابي والخطاب الذي
أصبه للكتاب والكتاب، يصل إلى بعته،
ياخترال إلى من يسميه - باختزال
غليظ - لا يستطيع فهم دواخه سوى
فاعلى الحقل الأدبي المصرى الذين
يعلمون موقع د. القاعود فيه. «مثنقو
السلطة، إلا أن د. القاعود نفسه لا
يستطيع سوى أن يلاحظ تلك المسافة
التحليلية التي أضاعها بيني وبين
موضوع دراسى، فيسميها «زعة
استعمارية استعمالية»، وهي صفات
أعجب عليه أن يطبقها دون أن يؤلى بأى
تبرير أو بداية برهنة عليها. ولكن ما
أسهل إطلاق مثل هذه الصفات على
الباحث الأجنبي. وفى الآخر، أشكر
الزميل د. القاعود على الجهد الذى
بذله في قراءة عملى وعرضه على قراء
مجلة «وجهات نظر» واعتز بشهادته،
الواردة في الفقرة الأخيرة لعرضه، بأن
كتابي، يسجل بصورة بالواقعية شاملة
ما جرى في الحقل الأدبي المصرى على
امتداد نصف قرن وقد احتشد لهذا
التسجيل بأدوات ووثائق ومراجع جعلت
له قيمة مهمة.

ريشار جاكسون
باحث فرنسى

كتاب الزاوية



نجيب محفوظ

أصداء من الحكمة

قلب أوزوريس عينيه في الخالدين وقال:

- ها هي حياة مصر قد عرضت عليكم بكل أفراسها وأحزانها، مذ وحدها مينا وحتى استردت استقلالها على يد السادات، فلم لبعضكم رؤية يريد أن ينوه بها؟
وطلب الملك إخناتون الكلمة ثم قال: ادعوا للاستمسك بعبادة الإله الواحد باعتباره المعنى والخلود والتحرر من أي عبودية أرضية.

وقال الملك مينا: والحرص على وحدة الأرض والشعب فالكسبة لا تجيء إلا نتيجة لخلل يصيب هذه الوحدة.

وقال الملك خوفو: على مصر أن تؤمن بالعمل، به شيدت الهرم، وبه تواصل البناء.

وقال الملك تحتمس الثالث: وأن تؤمن بالقوة التي لا تتحقق حتى تلحم بجيرانها.

وقال سعد زغلول: وأن يكون الحكم فيها من الشعب، من أجل الشعب.

وقال جمال عبد الناصر: وأن تقوم العلاقات بين الناس على أساس العدالة الاجتماعية المطلقة.

وقال أنور السادات: وأن يكون هدفها الحضارة والسلام.

وهنا قالت إيزيس: ليلرض كل منكم إلى إلهه أن يهب أهل مصر الحكمة والقوة لتبقى على الزمان منارة للهدى والجمال.

فبسط الجميع أكتفهم واستغرقوا في الدعاء.

من أمام العرش

الكتاب
وجهات نظر
رسائل

الاختلاف (في الوسائط والوسائل) لكثير الناس بعضهم بعضاً في أرجاء الأرض كافة (ولأصاب هذا التكثير الكاتبين طبعاً). وهذا لا يصح عند عاقل متدين كان أم غير متدين.
هـ - إن هذا المنهج في النظر إلى التاريخ بالغ الخطر، ولأسيما في الوضع الذي يمر به العرب والمسلمون في هذا العصر. ونرجو من أهل القلم والصحافة في مصر، والذين نجحهم ونعتز بهم، أن يكفوا عن نبش أوراق ابن تيمية التي عفى عليها الزمن، كما أننا نرى بالمجلة العزيزة «وجهات نظر» عن مثل هذه الهفوة أو العالسة... في المستقبل.

عارف حذيفة

سوريا



مستهلكون وجوعى

لقد قرأت في مجلتكم الموقرة في عددها رقم ٧٠ شهر نوفمبر تحت عنوان «مستهلكون وجوعى» معدة العالم في خطر، قرأت تقرير حالة العالم، في الذكرى الثلاثين لتأسيس هيئة World Watch institute لسنة ٢٠٠٤ للاستاذ رجب سعد السيد، أن هناك مؤتمراً عالمياً تم انعقاده لمناقشة العالم الحد من الاستهلاك في المياه والطعام والطاقة لأن معدلات الاستهلاك وصلت إلى مرحلة تهدد بالخطر بالنسبة للإنتاج ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نقول لهؤلاء المؤتمرين أن الإسلام الحنيف قال رسول الله عليه الصلاة والسلام نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع، وقال في خصوصية استهلاك المياه ما معناه أن الإسلام إلهاماً لا يؤمن من مياه نهر جاري فلا بد أن يقتصد من استهلاك المياه وأمثلة كثيرة لا أستطيع بعلمي الضعيف أن أذكرها ولكن أناشدكم ومن منبر مجلتكم الموقرة أن تقولوا للمؤتمرين طالعوا على سبيل الاستئناس ما أوصى به الإسلام أفراد المجتمع.

بدوى أبو شنب
محام - الأقصر

كفى أيها السادة!

عهدنا مجلة، وجهات نظر، مجلة معنية بالثقافة الرصينة والتثويرية في زمن هبطت فيه المستويات، ونفتحت السطحية والظلامية. ولكننا قرأنا مقالاً في عدد نوفمبر ٢٠٠٠ يتعارض مع خط المجلة المعلن.
والقال المقصود هو الفاطميون... الحكم... الفهر... الإنهاء، للكاتب علام الدين وحيد الذي يعرض فيه كتاباً لتلاستاذ جمال بدوى عنوناه «الفاطمية دولة التفاريج والتثاوير»... وأود هنا أن أوجز بعض الملاحظات حول خلاصة المقال الذي هو خلاصة الكتاب على ما يبدو:

١ - يؤكد الكاتب (والمكتوب عنه طبعاً) أن الاستبداد هو الشر الأعظم الذي نزل بالعرب والمسلمين. ومع أن هذا الاستنتاج ليس بالجديد، فنحن لا نختلف مع الكاتبين على ما جره الاستبداد على شعوبنا في الماضي والحاضر.

٢ - يرى الكاتبين أن الاستبداد كان ولا يزال - نتيجة لازمة لا تصرف الحكام عن العقيدة الإسلامية. وهذا الكلام فيه تبسيط للاستبداد، وتبسيط للعقيدة الإسلامية، وتبسيط للتفاعل التاريخي بينهما.

٣ - إن الفكر الإسماعيلي، الذي أتى به الفاطميون يحتوى، حسب رأى الكاتبين، على عقائد وفلسفات تتناقض مع العقيدة الإسلامية، ومشكلة هذا الرأى هي أن التاريخ يحسبه إنما هو صراع بين الله وأبائنا، أو بين حقيقة خيرة، وباطل شرير. وهذا ما يجعل الكاتبين يقدان في المحذور. فهما قد يطمحان أن الاستبداد في الماضي والحاضر قام ويقوم على تكريس هذا التصور.

٤ - يعتبر الكاتبان أن عهد الفاطميين نجمت عنه مذاهب إلحادية. وهنا أود أن أعلم معنى الإلحاد في نظرهما، فالملحوف أن الإلحاد معناه إنكار وجود الله. ولا أعرف طائفة دينية في الشرق أو الغرب تنكر هذا الوجود. فالاختلاف بين الأديان والمذاهب ليس على وجود الله، بل على وسائله بين الله والإنسان، وعلى وسائل تحقيق العلاقة بينهما، سواء أكان في الممارسة الدينية، أم الاجتماعية. أم الأخلاقية. ولو استمداً هذا

«ما هكذا تورد الإبل»



٣ -

رغم هتافات ثبوت، فتجاوزت. برحمتي من حماس، أو بدوافع ضيقة الأفق، أو حتى تحت ضغط «إحساس، خائف يظلم أو تمييز، تبقى أهمية تذكير الجميع - من هتفوا ومن أزعجتهم الهتافات، بوطنية الكنيسة ومصريتها، وبأهمية أن «أبانا، هنا لا هناك، في عالم تدوب فيه حدود الانتماءات وتتماهى فيه الولاءات.

واحبس أن أقباط مصر يملكون، قبل غيرهم، قصة نضالهم التاريخي من أجل الاستقلال بكنيستهم المصرية، ويعلمون هم، لا غيرهم، الحكايات القديمة والجديدة لبعثات التبشير، القادمة عبر الأطلنطي، ويعرف أقباط مصر، أكثر من غيرهم، من يدفع الأموال لفقرائهم في الصعيد، لغيروا ملتزم، لا دينهم، مبعدين عن كنيستهم «الوطنية»، ليصبح الولاء والانتماء في نهاية المطاف عابراً للحدود، أو بالأحرى، للمحيط، والتفاصيل هنا كثيرة ودالة، والمراقب عن كثب يرى الخطوات المتسارعة، رغم ما يبدو من براءته، واضحة التأثير والنتائج، تختفي كل التفاصيل الهمة، ومما كل القضايا «المشتركة، للوجود والمصير، والمستقبل المهدد، ليمطو على السطح، وتتصدر العناوين، وربما «جداول الأعمال، شؤون مكانها، بحكم التعريف، النضال والقلوب، أسئلة قبطية أو تنميسر مسلمة، تذكيراً، والحاخا على حقيقة أن هناك «دينا على أرض وطن واحد، ولعلي مذكر هنا بما قاله الأستاذ هيكل في هذا المقال قبل أربع سنوات كاملة، منبهاً إلى أن أهمية الوحدة الوطنية لمصر لا تدانيها إلا أهمية نهر النيل تبع الحياة والخصب في أرض الكنانة، مشيراً إلى أن فترات من التاريخ تعرضت مصر فيها لحالات الاختراق، وكان الذي يحدث في تلك الفترات، والكلام للأستاذ، أن الاختلاف في الدين، وهو موجود في كل الأحوال، وغير مرئي مثل خطوط الطول والعرض على كوكب الأرض، يجري التركيز عليه، وهكذا، فإن الخف غير المرئي (في ظروف العافية) يتحول بإشارة الحساسيات حوله إلى علامة ظاهرة أشبه ما تكون بخيط أو شعرة، ثم يزداد الضغط على مواقع الحساسيات، وتتحوّل العلامة (خيطاً أو شعرة) إلى مساحة واضحة تتباعد بين ناحيتين، وتبلغ الأحمال والأطفال مداها، ويتحول الفاصل إلى خط، ويتحول الخط إلى شرخ، ثم إلى فلق، ثم إلى ما يشبه الكسرة ثم يتنبه الكل إلى أن الفتنة استيقظت، ويكتشف الكل قبل أن ينفث الأوان - بشبه معجزة، أنهم تحطوا بحدود الأمان.

ويتهب الأستاذ إلى «مضاعة الفتن في الأزمنة الحديثة، مشيراً إلى أن طول الجدل إلى حد الصخب وتبادل الاتهامات وتوزيع المسؤوليات في حوادث متصلة بالعراق، قادر وحده أن يحول، خطأ غير مرئي، إلى «أخود عميق بلا قرار، وأن يحرك من المشاعر والغرائز ما يجعل الوهم نفسه يتجسد قضية حياة وموت.

٤ -

يحرص الجميع في هذا الوطن، ولا تشكيل مقبولا، على «الوحدة الوطنية»، معنى ومعزى، لا مجرد لافتة على مرآة إظهار بروقوتوية، ولا موضوع لندوات/ مكملمات يجترن فيها المتحدثون حديثاً مكروراً وملاً، لا تسفر إلا عن صور ملونة لشيخ وقسيس يتصافحان على منصة.

يحرص الجميع في هذا الوطن، ولا تشكيل مقبولا، على «وحدة هذا الوطن»، ويعرف الجميع في هذا الوطن قيمة استقلاله ومعنى سيادته، ورغم الإقرار بحسن النوايا، ربما لزم التذكير بالقول القديم الحكيم، «ما هكذا تورد الإبل،

لم نعرف - جيلنا على الأقل - مصطلح «الوحدة الوطنية، أو مقابله «الفتنة الطائفية، إلا مسكوناً بالسياسة.

عرفناه يوم عنوان به السادات قانوناً «خاصاً، فضفاضا كقوانين تلك المرحلة التي مهدت سياساتها المرتبكة - وهي متعددة ومتداخلة وكثيرة - لخريف غاضب، لم تهدأ أعاصيره إلا بالمشهد الدموي صبيحة العرض العسكري الأخير، مياه كثيرة جرت في النهر.

ذهب من ذهب، وأتى من أتى.. وظل الجنى الذي أطلقوه، لخطأ في حساباتهم ذات يوم في، الخانكة، ثم في، الزاوية الحمراء، كما نرى في مقم مسكون بالسياسة. أيما ما كان أمر ما جرى في الأسابيع الماضية، تبقى هناك مجموعة من الحقائق التي ينبغي ألا تختفي في ضباب من «الأشفاقة، بدا كثيفا، أو في زحام زعيق إعلامي بدا غير مسؤول، أو وسط دخان توجب لبراهه مشاعر ملتزمة.. وجهود للإطفاء، تباينات.. فإخطات.

١ -

إن قدرنا من الشفاقة كان كافياً لواء الفتنة في مهدها. ففي زمن الإنترنت والعولمة الفضائية، لم يعد الابتكار ممكناً. كما لم يعد التجاهل يقادر على أن يمنع سريان معلومة، كالتاريخ في الهشيم، بكل ما يعلق بها - عفواً - من شوائب، ويكبل ما يحمله، قصداً، من أطراف لأغراض، أو ألوان لأهداف. ماذا كان يجري لو أن السيدة الفاضلة، بطلة القصة، التي «قيل، أنها اختطفت..، وقيل، أنها غيبت عن الوعي، وقيل، أنها غيبت دينها - لو أنها ظهرت على شاشة التلفزيون المصري، لتبين للجميع: شبابهم قبل شيخوهم، وعامتهم قبل صفتهم، الحقيقة كاملة،، ألم يكن ذلك كشفاً بإيقاف التيار الجارف، المتضارب، من الشائعات.

٢ -

غاب القانون «المجرد، ليسمح المجال للسياسة، وهي بحكم التعريف غير مجردة من حسابات، ولا تدور أهواء، قرأنا من رجال السلطة من يتباهى علناً بالتزوير في أوراق رسمية، بدعوى دره الفن، والتزوير، في القانون «المجرد جريمة» وأربنا من رجال التحقيق من يخرط أو يفرط: مواءمة أو استجابة أو إرضاء، وأربنا من رجال الدين من كانت فتواه عن سياسة، لا عن قرآن أو سنة أو كتاب مقدس.

غاب القانون «المجرد، إذن، ليترك المساحة لرجال أمن أو دين أو أحزاب، ومؤلاؤه أو لملك تحكيمهم، بحكم الوطنية أو الانتماء - حسابات، هي بالتعريف ليست بحيادية القانون أو يتجرده.

أشعل الفتيل الأول للزامة ما قيل وتردد.. وتواتر، أننا بصدد حادثة اختطاف، ومن المعلوم للكتابة أن واقعة، اختطاف أنش.. وبغض النظر عن أي تمييز ظاهري مرفوض، هي في القانون «المجرد، جنابة، تستدعي تحقيقات وتحريرات وجمع أدلة لمعرفة الجاني، إن كان ثمة جريمة، أو لنفي الواقعة من أساسها، وهو أمر، مرة أخرى، لو كان قد حدث لأظهر الحقيقة. أيما كانت، ناعمة، وتزغ فتيل أزمة انتظرت عليها حتى وصلت إلى العاصمة، بزحاما وحساباتها، تظاهرا وصداما واستقواء بقوى أجنبية، يعرف الكبريون كم القريب من تخوم سيادة أربناها مصونة، ويعرف الجميع كم دفع أبناء هذا الوطن بعنصره (وأنا أكره التعبير) ثمتا لذلك.

أبي الصياد

اتكلم دولي ووفر أكثر



لما تتكلم دولي مع المصرية للاتصالات
هتوفر أكثر من أي شبكة ثانية.

| نوع الخدمة | | التكلم |
|-----------------|---------------|------------------------------|
| الخدمة المنزلية | النوع التجاري | |
| ٢,٢٥ | ٣,٠٠ | جميع الدول العربية |
| ٢,٢٥ | ٣,٠٠ | الولايات المتحدة الأمريكية |
| ٣,٠٠ | ٣,٥٠ | كندا - أوروبا - دول الكاريبي |
| ٣,٥٠ | ٤,٥٠ | باقي الدول |



المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

شبكة واحدة .. بتقربنا كلنا

تطبق التعريفة المسائية المخفضة
يومي الجمعة والسبت طوال اليوم
العمدة الزمنية للمسافر بعد الدقيقة الأولى ١٠ ث
للاستعلام اتصل برقم ١١١

www.telecomegypt.com.eg

أحدث إصدارات

دار الشروق

عزمي بشارة



يطلب من مكتبات الشروق

القاهرة: ١ ميدان طلعت حرب - وسط البلد ت: ٣٩٣٠٦٤٣ - ٣٩١٢٤٨٠
الجيزة: مبنى فرست مول - ٥٣ شارع الجيزة أمام حديقة الحيوان ت: ٥٣٠٥٣٧٥ - ٥٦٨٥١٨٧
الاسكندرية: مركز سيتي سنتر التجاري ت: ٣٩٧٠١٤٦ - ٠١٠١٦٣٣٧٠٨
www.shorouk.com email: dar@shorouk.com

ويعرض القاهرة الدولي للكتاب من ٢٦ يناير إلى ٨ فبراير ٢٠٠٥